مقالات في الادب

اعـــــداد

علي حسن العبادي

محمد المنصور الشقحاء



اشراف لجنة النشر بالنادي

مطبوعات نادي الطائف الادبي

تلفون ٢٣٧٧٦

في الأدب والحرب

بقلم : الاستاذ حسين سرحان

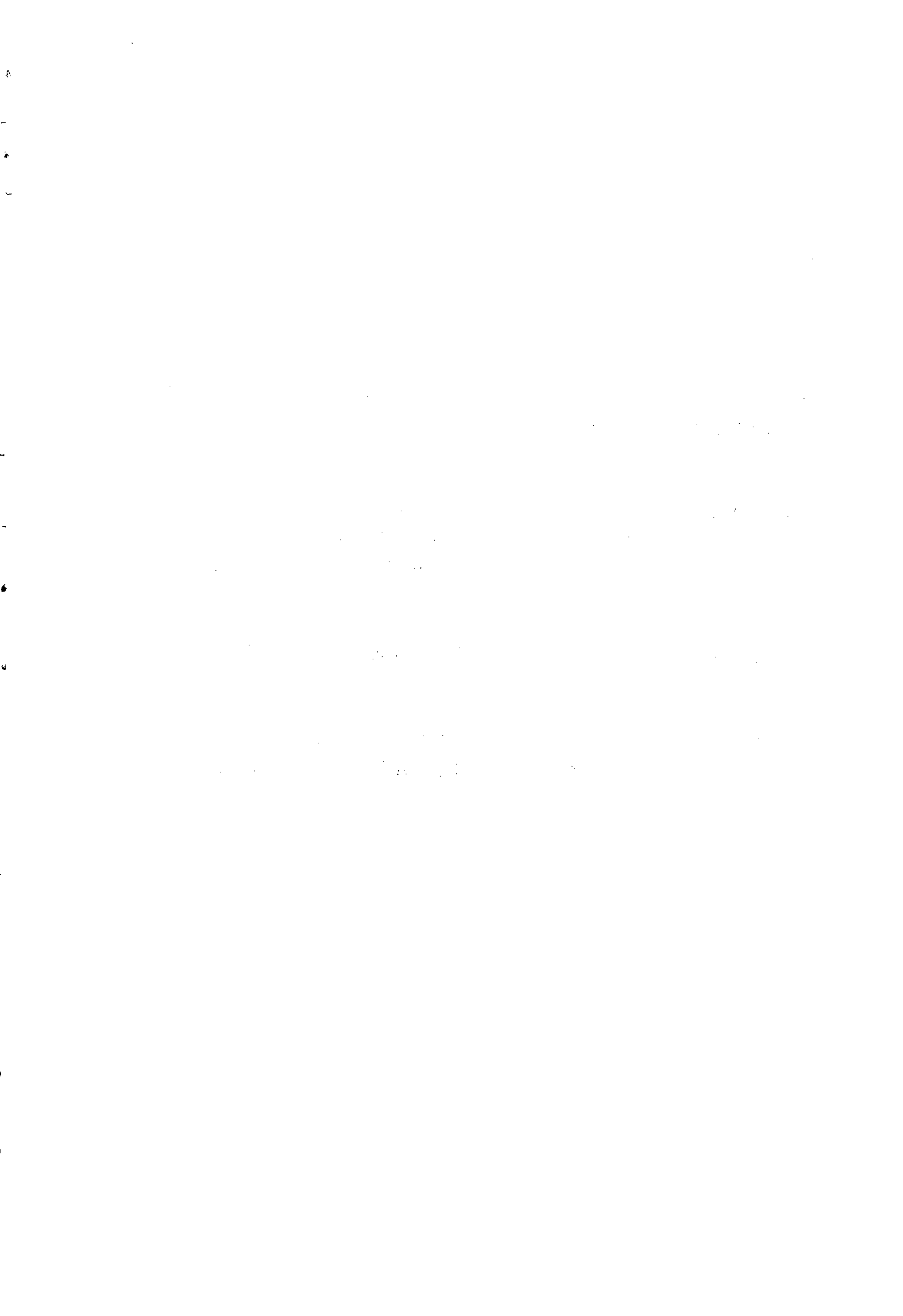
تمهيـــــــــــد

هذه خطرات كانت تجول بالنفس ويشتغل بها الذهن ، لغلبة ذكر الحرب على الفكر ، وغلبة ذكر الأدب أيضا ، وان كان الأدب – في الواقع – لا يهم الناس أكثر مما تهمهم الحـــــرب .

وقد آثرت أن أقيد شاردها وأصيد خاطرها – على حد تعبير ابن الجوزي – وفضلت بعد ذلك أن أترسل فيها ترسلا استطراديا لا ضيق به ولا تكلف فيه ، فذلك كما رأيت خير من تقييدها في قماقم العناوين وحبسها في أبواب وفصول قد تند عنها ولا تجتمع عليها .

وقد سن ذلك كتابنا الأولون كالجاحظ وابن الجوزي ، وسنها في الكتاب المحدثين الدكتور طه حسين وغيره .

وكل ما أستطيع أن أقول فيها أنها كلمات ملقاة على عواهنها ، فلم أترو كثيرا ، ولم أتعمق في بحث الفكرة أو ادارة الرأي على شتى وجوهه واحتمالاته .



(١)

للبطولة معان كثيرة منها اللغوي ، ومنها الاصطلاحي ، فهناك البطولة التي يتحدث عنها ويترجم لها (بلوتارخوس) في كتاب أبطاله ، وهناك بطولة يتغنى بها ويمجدها (هوميروس) في اليانته وهاتان البطولتان متشابهتان ، فقد كادتا أن تكونا خيالا محضا بل كانتا كذلك على خير صورة ، فما الخيال ان لم يكن في الصراع مع الآلهة والتنانين والشياطين وغير ذلك من اغراق وتهويل .

هذه البطولة لسنا منها بسبيل ، وهناك بطولة تخرج من التاريخ وترجع اليه على نحو ما فعل (توماس كارلايل) في تراجم أبطاله ، وهي بطولة حسنة تقوى بالتاريخ وان كان لا يعيبها الا يتحدث التاريخ عنها ، فهي بطولة انسانية واقعية تدخل في نطاق الامكان ولا تسمو عليه .

وللادب العربي قسط كبير من هذا المثال الأخير ، وله كذلك نصيب وافر من المثال الأول تجد خير نماذجه واهولها في حرب البسوس وابن ذي يزن وعلي ابن أبي طالب في فتح اليمن وأبي زيد الهلالي وما الى ذلك من أماثيل واساطير .

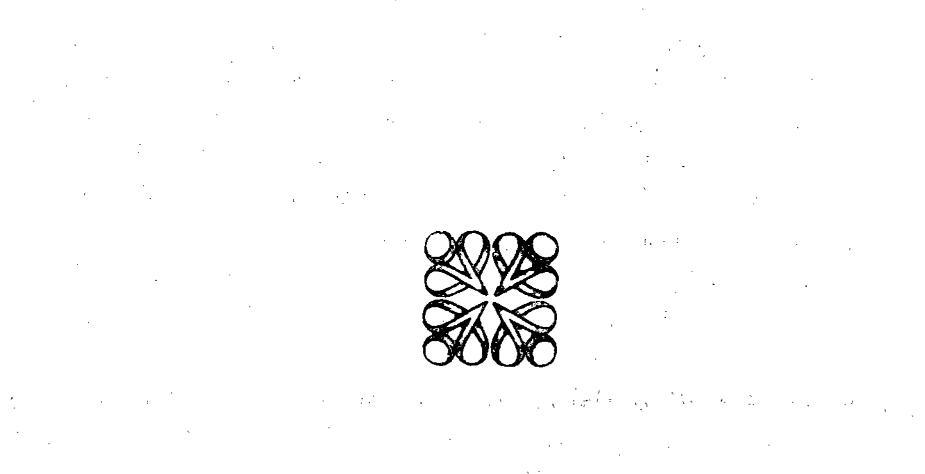
والبطولة — قبل ذلك وبعده — ليست بالموهبة التي لا تتأتى الا بمعجزة ، ولا يسلس عنانها الا بعد اجهاد وتذليل . وما أريد أن اتعسف في البحث والتحليل فأفعل كما يفعل كثير من الكتاب والمؤرخين ، فمن هؤلاء من يرفع البطل الى درجة الاله ومثال ذلك قريب ، فهذا لبيب الرياشي يكتب عن النبوغ كتابا متوسط الحجم فيرفع فيه نابليون بونابرت الى ذرى آلهة الأولمب ويسهب في وصف الدماغ وهيئته وكيفية استقراره في هدوئه واشتغاله بالتفكير ، ومواده السنجابية والنخاعية والشوكية ، وكيف يضطرب الجهاز العصبي ، ومم تتكون خلايا المخ في رأس النابغة — أي البطل — فكل ذلك — ولا امتراء — ذهاب بالبطولة في غير مذاهبها ، وخروج بها عن نطاقها المحدود وحذلقة تسمج بقلم الكاتب ولا تحسن في عين القارىء .
لا اريد ان اصغر من شأن البطولة ، ولكني اريد أن أقول أنها حميمة في الطبيعة الانسانية ، فليست هي بنبوة لا تأتي الا من السماء ، ولا هي بالطلسم السحري الذي لا يأتي الا من العفاريت والشياطين ، وما أحسب ان انسانا بالغا ما بلغ من الجبن والهلع يخلو من قسط — ولو ضئيل — منها ، فان الجبان ليقاتل أشد قتال واعنفه اذا اعتبط في ماله او ولده أو استلب في أهله أو نفسه ، وهو ان لم يقاتل قتالا ايجابيا ، فلا أقل من أن يذهب الى المحاكم ويجأر الى الولاة ، ويعدو هنا ويصرخ هناك ويذهل عن كل ما حوله . فلا يعنيه أي شيء ولا يحسب حسابا لكل شيء .

والانسان مقيد بمكانه وزمانه حيث كان ، فكم من بطل مات مغمورا مجهولا لأن الزمان لم يسمح له بابراز بطولته أو لأن مكانه كان أضيق من أن يتسع لهـــا أو لمثلهـــــا .

فجنكيزخان ــ مثلا يعد من ابطال التاريخ وجبابرة القرون وقد كان زمانه ملائما كل الملاءمة لخروجه ، وكانت كل الممالك في عصره أشبه بدويلات اقطاعية تتراكض سراعا الى هوة التدهور والفناء ، ولكن تصور جنكيزخان لو أنه خرج في عصر عمر بن الخطاب او عصر هتلر وتشرشل ــ ماذا كان ينتظر لمثله ؟ . .

والزمان هو الذي يوجد البطولة والأبطال ، فقد يتقدم الصفوف ويرؤسها بطل مجهول منشؤه مغمور مركزه ضعيف في معرفته وسعة نظره ، ولكن الزمان يصلح له ، ولا يصلح لسواه . وما نحن بحاجة الى أن نأتي بالأمثال ، وان كانت سهلة المنـــــال . .

وهناك بطل ذو ملكة أصيلة واستعداد فطري ، ولكن زمانه يشمس عليه فلا يؤاتيه ، أو مكانه ينبو به ويزور عنه فلا يجريه في مجاريه .



(٢)

النابغة والعبقري والموهوب والمبرز والممتاز والبطل — هذه كلها — في نظري — بمعنى واحد ، فهي مترادفات في اللفظ سواء في المعنى فما البطل ان لم يكن مبرزا على أقرانه يشأوهم فلا يجارونه في ميدانه .

وقد أباح ذلك الكتاب المحدثون ، وتداولوا الاستعمال وتوسعوا في الاصطلاح ، وهم على حق مبين ، فالبطل هو البطل في الكرة أو في السباحة أو البليياردو أو في الطيران أو في الكتابة أو في الشعر أو في القيادة أو في استراتيجية رسم الخطط أو في غير ذلك من الأعمال التي يزاولها الانسان فيحسن مزاولتها حتى يتفوق فيها ، وقد يجوز أن يكون هناك أكثر من بطل واحد في عمل واحد تشعب هذا العمل الى فروع جزئية ، أو لأن درجات البطولة فيه تتفاوت وتتراوح — على نسبة معروفة — بين الحسن فالأحسن فالاكثر احسانا فالجامع لكل قصبات الاحسان ، ففي الطب — مثلا — أبطال كثيرون فهناك بطل في اكتشاف الأمصال ضد الجراثيم ، وبطل في التحليل وآخر في الجراحة ، وغيره في نفاذ الفحص ومثله في المعالجة الى ما لا آخر لـه .

وقد كان هناك بطل في الفكاهة والمنادمة وحسن التخلص من المواقف الحرجة، وهو أبو دلامة المعروف في الأدب العربي وقد ود الاستاذ معروف الرصافي في ديوانه أن تكون الحرب في آخر الزمان على غرار جلاد وقع بين أبي دلامة وقريع له اضطر الى نزاله فنازله وتحدث اليه واكل معه في ساحة المبارزة ثم صرفه بحسن حديثه وحلاوة منطقه وأخذ عليه عهدا ألا يبارز طيلة ذلك اليوم ، وقصتهما مشهورة في كتب الأدب العربي وذلك موقف نادر من مواقف الحرب يحسن أن يكون بين المتحاربين اذا مدت بينهم الموائد الشهية وانقلب ميدان الصيال الى حفلة قصف حافلة .

وهناك بطل آخر في الجبن — وما له الا يكون بطلا في الجبن ؟ ذلكم هو حسان ابن ثابت ، فقد استنجدت به صحابية أن ينزل فيقتل مشركا — أو يهوديا — ساورهم تحت الحصن ، فقال : ليست لي به قوة ، فنزلت الصحابية الباسلة اليه وهرست رأسه بعمود — أو حجر — وقالت لحسان اذهب اليه فخذ سلبه فقد كفيته ، قال اني أخشى أن يكون به رمق فيفتك بي ، فنزلت اليه ثانية واستلبته ، فكانت أحق به ، وليس عندي مرجع لهذه القصة ، وانما اختلستها من الذاكرة ، وهي مشهورة.

وأحب أن يعلم القارىء الكريم أني أكتب وأنا أعزل من كل أداة تستعمل في البحث والمراجعة ، فليس لهذا الكتاب مراجع أو مصادر ولن يجد القارىء في آخره ثبتا بها أو جدولا لها ، وليس بيدي الا كتابان من اللغة هما فقه اللغة للثعالبي والمصباح المنير للمعري .

في قول مأثور أن كل فضيلة تتوسط بين رذيلتين فالشجاعة وسط بين الجبن والتهور والكرم وسط بين البخل والاسراف والبلاغة وسط بين العي والثرثرة ، وهكذا ، فالفضيلة — اذن — تقع في مكان ضيق يصعب تحديده بدقة ، ولا تكاد تنخفض قليلا حتى تعود رذيلة ، ولا يوشك أن يرتفع بها صاحبها حتى تنعكس الى رذيلة أيضا .

وأرى أن هذا القول على صواب كبير ، فان الطبائع والأمزجة الانسانية ، وان كانت أصيلة مستحكمة الا أنها لا يمكن أن تخلو من الشوب والخلط أبدا ، وكما انه لا يوجد شيء طرح خالص في المادة ، فكذلك لا يمكن أن يوجد شيء من ذلك في المعنويات والروحيات .

والطبيعة الانسانية من الصعب أن تحكم عليها حكما دقيقا أية كانت فانها تهدأ وتثور وتعتدل وتخور وتسمو وتسف وتصلح وتفسد ، وتتقلب عليها كل الحالات الطارئة ، وتكيفها تبعا لأزمانها ومؤثراتها وأهوائها وأجوائها ، وما هي الطبيعة الانسانية ؟ أليست هي كالعجينة الرخوة اللينة لا تكاد تتماسك من جانب حتى تتهايل من جانب آخر .

ان الجبان الهلوع تمر به حالات شاذة يكاد يفترس فيها الأسود ، وان الشجاع المقدام تنتابه — أحيانا — نوبات لا يكاد فيها يقل نفسه من الفزع وأن أكثر البخيل تهزه الأريحية — لعلة ما — فتندى راحته بالعطاء الجزل وتنبسط أساريره بالسماحة والبذل ، وأن الجواد الكريم ستأتي عليه ساعات لا يكاد يبغى فيها بقطرة من ماء .

كل هذا واقع ، وكل ذلك حق ، ولا ملام ولا تثريب على من توسط ولا على من أفرط أو فرط ، أليست الفضيلة وسطا بين رذيلتين ؟ فالجبن أقرب شيء الى الشجاعة ، والبخل جار قريب الدار من الكرم ، ولن تكون عالما فاضلا الا بعد أن تقضي زمنا في الجهل والغفلة ولن تصبح سيدا الا بعد أن تكون مسودا ، وأنت أيها الفاضل ان هبطت قليلا كنت مفرطا ، وان صعدت يسيرا جئت مفرطا ، فتوسط واختر ان كان لك في الأمر خيار ، والا فدع كل شيء للايام والأقدار .

ان مقاييس الاخلاق لا يزال فيها من الخلل والاضطراب والنقص الشيء الكثير وليست هناك فضيلة اتفق عليها او اخذ بها في كل العالم ، فما نراه نحن فضيلة قد يكون رذيلة عند غيرنا ، وما يراه غيرنا رذيلة قد يكون فضيلة عندنا ، ومرجع هذا الى اختلاف الأذواق وتباين الأمزجة والطباع وتفاوت طبقات المدارك والتفكير عند الأمم .

وما هذه الألفاظ الا مصطلحات — فقط — لهذه المعاني ، وهي معاني عرضية

زائلة لا تكاد تستقر حتى ترحل ولا يكاد الذهن يلم بها حتى تفلت منه وتتعصى عليه ففي هذه الألفاظ صور تقريبية لمعانيها ، ولكنها لا تعطيك المعنى تاما ، لا تؤديه اليك أداء واضحا ، فالصدق مثلا يكون خيرا في بعض الأوقات ، ولكنه يكون شرا في أوقات أخرى اذا جلبت به عذابا على نفسك أو على غيرك .

والبطل — على هذا — ان أسف أصبح جبانا وان اندفع كان متهورا ، وقد عرف العرب ذلك من قديم ، فقالوا الشجاع من اذا رأى الخير في الاقدام أقدم ، وان رأى الخير في الاحجام أحجم .

وقد أحجم كثير من أبطال التاريخ في مواقف الاحجام فما وصفوا بجبن أو هلع وبخل كثير من الأجواد فما استطاع أن يصفهم أحد بأنهم كانوا شحاحا . وصمت قوم من البلغاء في مواطن كثيرة ، فما عدوا من ذوي العي والفهاهه .

قيل لبطل ، ما الشجاعة ؟ فقال اعمد الجبان فأضربه ضربة ينخلع لها قلب الشجاع

فقلب الشجاع — اذن ينخلع ، اذا رأى الضربة التي تطير لها النفس شعاعا.

وقيل لآخر — وأحسبه عنترة — كيف لك بهذه الفروسية ؟ فقال للمتحدث اليه السائل له : هات ذراعك لأعضها ثم أخذها فعضها فصرخ ذلك متألما ، قال عنترة هاك ذراعي فعض وأجهد ما استطعت ، فعض ثم عض مليا ، وتركها قائلا : لقد تعبت ، قال له عنترة : لو عضضت قليلا لصرخت من الألم فالشجاعة هي الصبر، الصبر الطويـــــل .

نعم . الشجاعة هي الصبر ، وما الشجاعة بلا صبر ؟ وقد قال موسوليني في خطابه الأخير في أول السنة الميلادية ١٩٤٣ م. ان الظافر في هذه الحرب هو الذي يستطيع أن يصبر ربع ساعة بعد عدوه ، وقد سبق موسوليني من سبقه في المقال والفعـــال .

ان الاقدام على الموت ما هو — في الواقع — الا طلب للحياة كما أن الفرار منه طلب لها أيضا ، فالغاية واحدة ، ولكن الوسيلتين مختلفتان . قال شاعر بطل :

قـــل للجبـــان اذا تأخـــر سرجـــه ... هل أنـــت مـــن شرك المنية ناجي ؟

وقال آخـــــر :

تأخرت استبقي الحيـــاة فلم أجـــد ... لنفسي حيـــاة مثـــل أن أتقدمـــا

وقد أشار الى ذلك المتنبي العظيم الذي لا يكتفي بقشور المعاني ، وانما ينفذ الى اللباب ويتغلغل الى صميم الطبيعة الانسانية . قال :

أرى كلنـــا يبغـــي الحيـــاة لنفســـه ... حريصـــا عليهـــا متهامـــا بها صبـــا
فحسب الجبـــان النفس أورده التقى ... وحب الشجاع النفس أورده الحربـــا
ويختلف النهجان والشيء واحـــد ... الـــى أن يرى احسان هذا لذا ذنبـــا

وللمتنبي بدائع وروائع في هذا الباب ، والأدب العربي حافل أيضا بالشيء الكثير منـــه .

(٤)

في الحياة أباطيل كثيرة ، أصبحت اليوم حقائق لا يتطرق الشك اليها ، ولا يعلق بها ، كما أن فيها حقائق صحيحة عادت الآن في عداد الخرافات والأساطير .

والعجب العجاب في أمر هذه الحياة أنها تسع كل شيء ، ولا تضيق بأي شيء فهي فسيحة الجوانب ، واسعة البطن ، رحيبة الآفاق ، فالحسن والقبيح فيهما يتفقان ، وقلما يختلفان ، والصحيح والزائف يقترفان وهونا ما يفترقان ، وكل شيء تجد نقيضه على قاب قوس اليه لا ينبو به ولا يبترم منه ، ولعل ذلك هو السر في دوام هذه الحياة واستمرارها ، فهي حياة زاخرة كل شيء فيها يحيا ، الصالح يحيا ، والفاسد يحيا والزمان يدور على كل ذلك بعجلته فيأخذ ما يأخذ ويدع ما يدع وكأنما هو لا يأخذ ولا يدع .

واحسب أنها لو لم تكن كذلك . لما كانت خليقة باسم (الحياة) وهو اسم على مسماه ينطوي على كل شيء ، ويتسع لكل مارق وماجن .

يذكر التاريخ من الجبابرة والفاتحين هانيبال ، وبختنصر والاسكندر ، وعمر ابن الخطاب ، وخالد ابن الوليد ، وموسى بن نصير ، وطارق بن زياد ، وقتيبة ابن مسلم وعبد الرحمن الداخل ، والمعتصم ، وصلاح الدين ، وتيمورلنك ، وهولاكو، وجنكيز ، وسليمان القانوني ، ونابليون وغير هؤلاء ممن لا يدخلون تحت حصر .

لكن التاريخ لا يذكر الملايين من الأبطال الغطاريف الذين قام كل من هؤلاء على أكتافهم ، وبأسيافهم فتحوا البلدان وبشجاعتهم دان لهم القاصي والداني وذلل الصعب ودنا البعيد والذين لولاهم لما استطاع واحد من أولئك أن يتمتع بشهرة تخترق حجب التاريخ ، ولا استطاع — قبل ذلك — أن يدير بلدا أو يفتح أقليما أو يهزم عدوا .

لا ريب أن القائد هو الروح المحرك لأولئك الجنود ، فهو الذي يرسم الخطة ويدير الأمر ، ويملك ناصية القيادة والتدبير ، ولكنه يفعل كل ذلك ، وهو قابع في سرادقه أو ايوانه أو عاصمته ، والقوة التنفيذية هي أولئك الجنود الأبطال الذين ينفذون تلك الخطة تنفيذا دقيقا ، ويلاقون في سبيل ذلك الارزاء والأهوال، ويبيعون الأرواح بيع السماح ، ويقدمون على النار والموت والكوارث في رباطة جأش وقوة شكيمة واستبسال قادر المثال حتى اذا تم ذلك كله ، أو تم شيء منه لمع اسم القائد فجأة ، وانطفأت أسماء أولئك الملايين من الأبطال المجهولين .

واحسب أن ذلك هو السبب في بناء الأضرحة المختلفة في عواصم أوربا اليوم

للجندي المجهول وهو تعويض خير ما فيه أنه يذكر باسم ذلك الجندي المجهول العاثر الحظ .

هذه أبطولة من أباطيل الحياة التي قلنا أنها أصبحت اليوم من الحقائق الخالدة يتحتم الايمان بها من دون أن ينتطح — في ذلك — عنزان .

وهذه الحياة معترك كبير ، وتزاحم بالمناكب ، وتدافع بالأيدي والأقدام وامتحان لكل المواهب والملكات ، فمن ضغط وتحمل الضغط ، وصدم ، ولم يحفل الصدام وتقدم ولم يكترث ما أمامه — أشوكا كان أم وردا — شأى أو انل ويزهم في الضمار ، وكان السابق المجلي الذي لا يشق له غبار — كما يقولون — وان لم يكن ذا صلاحية تامة واستحقاق للتقدم وتبريز في أي شيء ، واذا دنى الصالح للتقدم ، وغلب عليه الكسل والتباطؤ ، وكان أضعف من أن يتحمل صدما أو كدما ، فهو السكيت في حلبة لا يبرز فيها الا المغامرون المواظبون ، والحياة نفسها أعظم وأوسع من أن تحفل بمن تقدم أو من تأخر أو تأبه لغالب أو مغلوب ، ذلك لأنها عجلة طاحنة تهضم كل شيء من خلاصات ومن فضلات بلا تمييز ولا استبقاء . .

وكان خليقا بحياة كهذه ألا يكترث الانسان الحي فيها بكل شيء ، وأن يأخذها على علاتها بلا تفكير ولا استقصاء ، لولا أنه مرغم — يثيره كل ما حوله ، وتحفزه الصغائر قبل الكبائر ، على أن يحفل وأن يكترث وأن يحسب لها أوفى الحساب وأدقه ، وأن يهتم بكل جليل منها ودقيق . .

ولو صح لكل انسان أن يعيش مثاليا خياليا لرأى أن الحياة ليس فيها ما يستحق الجد والتفكير ، والاهتمام ، ويغسل يده من كل شيء ، ودخل محرابا للصلاة ، أو معبدا للاعتكاف وكانت تلك خاتمة المطاف .

أخيرا

كتبت هذه الرسالة قبل ٣٥ سنة أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، وأنا أقدمها الى القارىء الكريم ، كما كتبت دون تعديل أو تبديل أو حذف أو اضافة سوى هذه الكلمة أردت منها الايضاح للقارىء الكريم ان هذه الرسالة ليست حديثة الكتابة .

هل للشعر مكان في القرن العشرين ؟

بقلم الدكتور : غازي القصيبي

أود أن أبدأ بالرد على الذين يعتنقون رأيا متطرفا حول مكان الشعر في القرن العشرين ، وهم فريقان . فريق يرى أن دولة الشعر دالت في هذا الزمان ، زمان الصاروخ والمركبات الفضائية والعقول الالكترونية ، وأن مكان الدواوين الطبيعي في المتاحف التي يعلوها الغبار ، وأن تذوق الشعر وانشاده وكتابته ظاهرة شاذة غير عملية في عصر لم يعد فيه مكان الا لما هو نافع وما هو عملي .

والرد على هذا الفريق أيسر من اليسير . ان استقراء الواقع الملموس المشاهد يؤكد أن الشعر لا زال يكتب والدواوين لا زالت تباع وأن **للشعر قراء وللشعراء جمهورا سواء كان ذلك في الغرب أو في الشرق أو في الدول الآخذة بأسباب النمو في العالم الثالث** . ومن هنا كان لنا أن نقول بدون مكابرة أن الذين يبشرون بانقراض الشعر في هذا القرن يتبجحون بدعوى لا يقوم عليها برهان ، بل يتبجحون بدعوى يكذبها ما أمامنا من براهين .

أما الفريق الثاني فيذهب في تطرفه عكس ما ذهب اليه الفريق الاول فيدعي **للشعر** حجما أكبر من حجمه الحقيقي ويتصور **للشاعر رسالة لا يمكن أن يقوم بها شاعر** . وهذه المبالغة في دور الشعر تعود في رأيي الى سببين : أولهما أن مروجي هذه النظرية كثيرا ما يكونون من الشعراء أنفسهم ، ومن عادة المرء التي توشك أن تكون غريزة **أن يبالغ في قيمة ما ينتج** ، أو من نقاد الشعر فيرون في التعظيم من شأن ما ينتقدون تعظيما تلقائيا من شأنهم ، أو من الادباء بوجه عام فيرون أن في تضخيم دور الشعر تضخيما لدور الأدب ، ولدورهم هم .

ويعود السبب الثاني الى اعتقاد بعض أنصار النظرية بأن دور الشعر لا يتغير بتغير الزمان والمكان . يقول هؤلاء : **لقد كان الشاعر في العصر الجاهلي لسان القبيلة وسيفها** ، وفي صدر الدعوة الاسلامية **علم الدعوة وقلمها** ، وفي مختلف عصور التاريخ العربي ، عاملا مؤثرا **يمدح فيرفع ويهجو فيضع ويدعو فيثير** ، فما بال شاعر اليوم لا يمارس دورا كدور أسلافه أو أعظم من دور أسلافه ؟

وحقيقة الأمر **أن الشعر وليد بيئة اجتماعية ثقافية سياسية اقتصادية معينة تنعكس عليه** ، شاء أم رفض ، **وتؤثر** فيه أكثر من تأثرها به . وحقيقة الأمر أن بيئة القرن العشرين ترفض أن تعطي الشاعر ذلك الدور الكبير الذي تمتع به في بيئات سابقة . وتفصيل ذلك يطول . وموجزه أن البيئات العربية الغابرة لم تعرف الاذاعة ولا التلفزيون ولا الصحف ولا المطابع ولا الأغاني ، فكان الشاعر العربي يقوم بمفرده بما تقوم به هذه المؤسسات من ادوار . أما وقد تطور المجتمع وتعقدت منظماته

وتعددت مؤسساته فان دور الشاعر انكمش وتقلص . هذه ظاهرة يسر لها البعض ويتألم منها البعض ولكننا لا نملك ان كنا موضوعيين الا أن نعترف بوجودها . ولنا الى هذا الموضوع عودة بعد قليل .

ان المبالغة في الانقاص من دور الشعر والمبالغة في تضخيم هذا الدور تعكس في رأيي تناقض الأمة العربية في نظرتها الى الشعر والشعراء . وقفت الأمة العربية خلال تاريخها موقفا متأرجحا مضطربا من الشاعر : **تجله وتحتقره في الوقت نفسه تعجب بموهبته وتستهين بها ، تمدحه وتذمه** . وانعكست هذه النظرة على الشعراء أنفسهم **فاندفع بعضهم يقلل من قيمة الشعر** أو يكتبه في السر وعلى استحياء ، أو يعتبره محنة ابتلى بها . واندفع بعضهم الآخر ، والمتنبي على رأسهم ، يسرفون في اعتزازهم بأنفسهم وفخرهم بموهبتهم .

أود قبل أن أسترسل في تفصيل مكان الشعر في القرن العشرين أن أحدد موقفي من **قضيتين أساسيتين** أولاهما تتعلق **بالمضمون** والأخرى تتعلق **بالشكل . القضية الأولى** يلخصها هذا السؤال : **هل يجوز أن نخرج من دائرة الشعر أشعارا معينة لأسباب تتعلق بمضمون الشعر ؟ والقضية الثانية** يلخصها هذا السؤال : **هل يجوز أن نخرج من دائرة الشعر أشعارا معينة لأسباب تتعلق بشكل الشعر ؟**

ان القضية الأولى تثير موضوع **الالتزام** والبعد الاجتماعي للشعر . **يذهب** أغلب النقاد والشراح الى تصنيف الشعراء الى صنفين رئيسيين : أولئك الذين يقولون **الشعر للشعر** ، لا يطربون به سوى أنفسهم ، ولا يستهدفون سوى النشوة الفنية المحضة ، وهؤلاء حسب التعبير الأكثر شيوعا هم **الرومانسيون** . أما الفئة الثانية فتضم الشعراء الذين يقولون **الشعر للناس** ، يستهدفون به دفع مجتمعاتهم الى **الأفضل** ، ويستمدون روعة أشعارهم من عظمة مضامينها الاجتماعية ، وهؤلاء هم **الواقعيون** .

ومن نافلة القول أن نضيف أن أكثر النقاد اليوم يصبون جام غضبهم على الرومانسيين المتقوقعين في ذواتهم ، ويضفرون باقات المديح **للواقعيين من الشعراء.**

هذا التقسيم ، ككل التقسيمات ، يريح الدارسين والطلاب والقراء . ولكنه كمعظم التقسيمات ، يفتقر الى الدقة والموضوعية . بل أن هذا التقسيم بالذات من اكثر التقسيمات بعدا عن الدقة العلمية .

انني أقول انه لا يوجد شعر ذاتي بالمعنى الذي يذهب اليه هؤلاء النقاد : ذلك **أن أي شعر حقيقي لا بد وأن ينبع من الذات** ولكنه في الوقت نفسه لا بد أن يتجاوز حدود الذات . أما أن الشعر يجب أن ينبع من الذات فأمر لا أعتقد أن أحدا يجادل فيه . **الذات هي المنزل الذي تسكنه عواطف الشاعر** ، وهي المصفاة التي تمر من خلالها تجاربه . لا اتصور شعرا بدون الذات الا اذا تصورت كلاما بشريا بدون حنجرة

ولسان . أما أن كل شعر حقيقي يجب أن يتجاوز حدود الذات فأمر أتصور أنه يحتاج الى مزيد من التفصيل .

فلنحاول أن نستعرض أكثر أنواع الشعر ذاتية وسنجد أن أيا منها لا ينتهي عند الذات . شعر **الغزل** مثلا ، وهو المثل التقليدي للشعر **الذاتي** ، يفترض وجود **امرأة** ، أي وجود انسان آخر بجانب الشاعر . وما دام الشاعر قد خرج عن حدود ذاته فلا أعتقد أن من العدل ان نتشبث بمعيار عددي فنعتبره ذاتيا ما دام اهتمامه ينصب على انسان واحد ونعده واقعيا اذا تعددت محاور اهتمامه . **شعر الطبيعة** ، وهو بدوره مثل تقليدي للشعر الذاتي ، يقوم على أساس الفة قوية بين **الشاعر والطبيعة** تخرج بدورها عن حدود الذات الضيقة . أشعار القلق واليأس والضياع والوحدة بدورها ليست أشعارا ذاتية محض ، فهي جميعا تعبير عن علاقة بالآخرين فشلت لسبب من الأسباب فكان القلق وكان اليأس وكان الضياع . أما القول بأنها لا تعبر الا عن مشكلة فردية فرأي متسرع يغفل ان أي عاطفة انسانية لا تنمو الا في بيئة انسانية ، **وأن البيئة الانسانية لا توجد الا حيث يوجد أكثر من انسان واحد .**

ان محاولة الاصرار على أن كل شاعر أما أن يكون رومانسيا وأما أن يكون واقعيا ، أما أن يكون ذاتيا وأما أن يكون اجتماعيا ، والاصرار على اخراج احدى هاتين الفئتين من دائرة الشعر الحقيقي ، بالاضافة الى عدم دقتها العلمية ، أساءت الى الشعر العربي بقدر ما أساءت الى العمل السياسي العربي محاولة تصنيف الناس الى ثوريين ورجعيين ومناضلين وعملاء . وجاءت هذه الاساءة من عدة وجوه : **أولا** . أقامت هوة بين شيوخ الشعراء ، ومعظمهم يصنف في العادة من الرومانسيين ، وبين شبابهم ، ومعظمهم يعتبرون أنفسهم من الواقعيين ، حرمت كل فريق من نعمة الاتصال بالفريق الآخر وتذوق ما لديه والاستفادة من تجربته . **ثانيا** ، دفعت ببعض الشعراء الشباب دفعا الى محاولة الكتابة في مواضيع بذاتها فجاءت تجاربهم فجة ضعيفة وكادت قصائدهم أن تكون نسخا متكررة من بعضها البعض . ولعل أكبر كارثة جاء بها التصنيف هو أنه أقنع بعض الناشئة القراء بأن الشعر الحقيقي لا يوجد الا في فترة تاريخية دون غيرها أو لدى شعراء معينين دون غيرهم ، فكان هؤلاء الناشئة كمن يزور حديقة فلا يسمح له الا بشم بعض أزهارها دون البعض ، أو من يطالع السماء في ليلة صافية فلا يسمح له أن يرى الا بعض نجومها وكواكبها .

أما **القضية الثانية** فتثير مسألة الهجوم العنيف المتواصل بين الذين يكتبون الشعر بشكله التقليدي والذين يكتبونه بشكله الحديث . ولا شك عندي **أن هذه الهوة بين الفريقين جنت بدورها على الشعر جناية لا تقل عن تلك التي شاهدناها عند الحديث عن الذاتيين وغير الذاتيين .**

وحقيقة الأمر في ما أتصور ان كلا من الفريقين مصيب في بعض ما يذهب اليه

ومخطيء في بعض ما يدعيه . **يصيب أنصار الشعر التقليدي عندما يقولون أن الأذن العربية تعودت عبر مئات من السنين على الأوزان التقليدية والقوافي** • ويخطأون عندما يطلبون من الشعر العربي أن يبقى الى الأبد ضمن الأطر والقواعد التي قننها الخليل بن أحمد لا يتجاوزها قيد شعره . **ويصيبون** عندما يقولون أن كثيرا من قصائد الشعر الحديث المنشورة تتميز بالركاكة والسطحية . غير أنهم **يخطأون** عندما يتجاهلون النماذج الرائعة التي أنتجها الشعر الحديث . **ويصيبون** عندما ينتقدون بعض الشعراء الشباب لجهلهم بتراث أمتهم الشعري الخصب . ولكنهم **يخطأون** عندما يذهبون الى تمجيد تراثنا الشعري بحذافيره وكثير منه لا يعدو أن يكون نظما سقيما رغم انتظام أوزانه وقوافيه .

حتى اذا ما انتقلنا الى أنصار **الشعر الحديث** وجدناهم **يصيبون** حين يقولون أن من حق شاعر هذا العصر أن يبحث عن أسلوب جديد للتعبير يختلف عن أساليب العصور الغابرة . غير أنهم **يخطأون** اذا ما كتبوا بأسلوب منبت الصلة كلية بالاساليب المألوفة لا يكاد يتذوقه الا قائلوه . **ويصيبون** حين يقولون أن التقيد بقافية واحدة وتفعيلة متكررة كثيرا ما يورط الشاعر في تعابير وكلمات لا تستهدف الا انتظام الوزن وتوفير القافية . غير أنهم **يخطأون** عندما يتصورون أن الخروج على وحدة القافية والتفعيلة المتكررة يحل مشاكلهم ذلك أنهم ينسون أن الأبداع الفني صعب في كل الظروف **وينسون أن الشعر الحديث أصعب في كتابته من الشعر التقليدي** • ويصيبون حين ينتقدون بعض السلبيات في شعرنا القديم كالاسراف في المديح أو الهجو البذيء أو التعلق الزائد بالصور اللفظية . **غير أنهم يخطأون اذا نسوا في غمرة حماسهم أن أسلافهم ولدوا في زمان غير زمانهم وفي ظل ظروف غير ظروفهم وبأخلاقيات غير أخلاقياتهم** •

ويبدو لي انه بعد أن ينجلي غبار المعركة وتهدأ أعصاب المتعاركين **سيبقى الشعر العربي بشكله التقليدي سليما معافى** ، ويبقى بجانبه **شعر حديث يتحرر من وحدة القافية بعض الشيء ومن تكرار التفعيلة بعض الشيء** ، ولكنه يبقى وثيق **الصلة** بالشعر التقليدي تربطهما روابط الأخوة ووشائج العائلة الواحدة .

أما وقد انتهيت الى أن **الشعر شعر** سواء كان مضمونه **رومانسيا** أو **واقعيا** ، وأن الشعر شعر سواء كتب بأسلوب تقليدي أو بأسلوب حديث ، بقي أن نتساءل :
ماذا يستطيع الشعر أن يقدمه لانسان القرن العشرين ؟

لعل من المناسب أن أبدأ بما يقدمه الشعر للشاعر نفسه . وهنا أقول أنني لا أعرف للشعر الا **دورا واحدا** بدأ منذ قال أول شاعر الشعر في أول لغة ويظل اليوم عند كل شاعر في كل لغة : الا وهو **التعبير عن انفعالات الشاعر وعواطفه ومشاعره** ، أو كما نقول اليوم **تجاربه النفسية** . هذه هي مهمة الشعر الأساسية واي مهمة أخرى تضيفها ظروف الزمان والمكان لا تعدو أن تكون هامشا على الأصل .

الشاعر عندما يكتب الشعر يقوم بذلك بطريقة عفوية تلقائية . واذا كان هناك خلاف على بعض المواهب وهل تولد مع الانسان أم تكتسب بالخبرة والمران فانه لا شك عندي **أن الشاعر يولد شاعرا** : قدره الذي لا اختيار له فيه . لم يطلب أحد من الشاعر أن يكون شاعرا ولم يطلب هو أن يكون شاعرا . ولعل الشاعر أجهل الناس بما يدور في **أعماقه** : لا يعرف لم كان **شاعرا** ، أو كيف كان **شاعرا** ، ولا يعرف **لماذا يكتب الشعر في حالات دون غيرها** ، ولا يعرف لماذا **تتحول بعض تجاربه النفسية دون غيرها الى أعمال شعرية** وتبقى تجارب اخرى أقوى وأعنف حبيسة في داخله . ولعل هذه المجهولات والالغاز التي تكتنف **العملية الشعرية** هي التي دفعت اليونان القدماء الى تصوير **حورية** توحي للشعراء ودفع العرب في أساطيرهم الى تخيل **شيطان** لكل شاعر يقذف الشعر في لسانه . وهذه الصورة البدائية الاسطورية تعبير جميل عن اللغز المحيط بالعملية الشعرية .

ان الشعر بأتاحته وسيلة التعبير الفني عن ما يعتلج في نفس الشاعر يحقق كل مهمته . قد يجلب الشعر للشاعر **صيتا طائرا** وقد يخمل **ذكرا** كان من الممكن أن يكون **نابها** . قد ينفعه وقد يضره ولكن هذا كله لا علاقة له بجوهر المسألة **وهو أن الشعر حقق وظيفته بالنسبة للشاعر عندما أتاح له أن يخاطب الناس شعرا .**

هذا عن الشاعر نفسه ، فماذا عن **قارىء الشعر ؟** قبل أن أبدأ الحديث عن هذا الموضوع أود أن أقول أنني أعتقد أن الأسرار التي تحيط **بكتابة الشعر** تحيط **بتذوق الشعر** . نحن لا نستطيع أن نحلل بوضوح لماذا نحب شاعرا دون غيره أو قصيدة دون أخرى أو بيتا بعينه . أن عملية التجاوب مع الشعر عملية عاطفية عفوية لا تنصاع للتحليل العلمي ومن العبث أن نحاول قياسها بميزان أو نحللها في مختبر .

يستطيع الشعر أن يقدم لأنسان القرن العشرين ما يلي :

أولا — يعطي الشعر قارئه **متعة جمالية خالصة** يستحيل تعريفها ويصعب وصفها وهي أشبه ما تكون بالمتعة التي **نحسها جميعا** عندما نشم **شذى وردة** أو نستمع الى **صوت جميل** أو نرقب **البدر في ليلة صافية .**

ثانيا — يقيم الشعر **ألفة انسانية** بين **الشاعر والقارىء** فيحس القارىء أن الشاعر يتحدث بلسانه ويعبر عما في نفسه وفي هذا اغناء لأنسانية القارىء من جهة، وتمكين له من اعادة اكتشاف نفسه وفهم عواطفه من جهة أخرى .

ثالثا — يربط الشعر قارئه **بالتجربة الانسانية** للبشر اجمعين . **ان الشاعر الحقيقي هو الذي يستطيع أن يحول تجربته الفردية الى موقف انساني** : حبيبة الشاعر تصبح حبيبة كل انسان وألم الشاعر يصبح ألم كل انسان وهكذا يصبح القارىء جزءا من التجربة الانسانية التي تحدث عنها الشاعر . أن هذه الرابطة الانسانية الخالدة تثبت لنا سطحية القول المنسوب الى أحد الزعماء الشيوعيين

عندما بلغه أن شاعرا طبع عددا كبيرا من ديوان غزلي « ولماذا لم يكتف بنسختين : واحدة له ، والاخرى لحبيبته ؟ » .

رابعا — يستطيع الشعر في **قصيدة قصيرة** وأحيانا في **بيت واحد** أن يلخص شريحة نابضة من الحياة تحتاج **القصة** الى **رواية كاملة** لأيضاحها ويحتاج **علم النفس** الى **كتب** عديدة لبيانها . انني أستطيع تشبيه الشعر « بكبسولة » موسيقية مضغوطة تستطيع رغم صغرها أن تنقل القارىء الى عالم كبير واسع حافل بالتجارب البشرية. ان نظرية هوبزغ الشهيرة في القوة يكاد يلخصها بأكملها بيت واحد للمتنبي :

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعله لا يظلم

خامسا — يفتح الشعر للقارىء نافذة من خيال **يهرب** فيها من رتابة **الواقع** فيذوق **روعة الحب** مع شاعر الغزل ويحس **بعنف المعركة** مع شاعر الحماسة وهو لم يبرح مقعده . ولعلنا أحوج ما نكون الى نعمة **الخيال** في هذا **العصر** الذي كاد كل شيء فيه أن يخضع **للرتابة الصارمة** .

هذه هدايا الشعر لقارئه المتذوق لم تتغير عبر الأزمنة يعرفها كل من جربها ويستحيل أن نقنع بها من لم يجربها ، وكيف نشرح لمن حرم نعمة السمع روعة السيمفونية وصوت زخات المطر ؟

لقد أجلت الحديث عن دور **الشعر السياسي والاجتماعي** لا عن تجاهل لأهمية هذا الدور ، ولكن لأن البحث فيه يتشعب ويطول ، ولأنني أرى فيه رأيا لا تقرني عليه غالبية الشعراء ولا غالبية النقاد .

بالامكان أن نطرح هذه المسألة على هيئة أسئلة ثلاث :

السؤال الأول : هل من صالح البشرية أن يكون للشعر دور سياسي واجتماعي؟
السؤال الثاني : هل كان للشعر العربي دور سياسي واجتماعي في الماضي ؟
السؤال الثالث : هل للشعر العربي دور سياسي واجتماعي في هذه الفترة المعاصرة ؟

لا شك أن الشعر في كل زمان ومكان تعرض على نحو أو آخر للقضايا الاجتماعية والسياسية التي شهدها عصر الشاعر . غير أن تسليمنا بهذه البديهية لا يعني تسليمنا بأن هذه المعالجة كانت في جميع الأحوال في صالح تلك القضايا أو في صالح المجتمع التي ظهرت فيه . انني أستميح العذر من الشعراء الموجودين في هذه القاعة ، ومن الشعراء خارجها ، اذا قلت أنني أحتاج الى دليل يقنعني بأن تأثير الشعر السياسي والاجتماعي كان دائما وأبدا في جانب الخير والحق والعدالة . من الشعراء من تغنى **بالحرية** ، ومنهم من مجد **أعداءها** . من الشعراء من تحرق الى **العدل** ومنهم

من افتخر **بالظلم** . منهم من دعا الى **الحب** ومنهم من حث على **الحقد** . منهم من تاق الى **غد أفضل** له ولمجتمعه وللانسانية ومنهم من **هام بأسوأ ما في نفسه وما في مجتمعه** انني شخصيا أعتذر عن الاقامة في **المدينة الشاعرة** ، ان وجدت مثل هذه المدينة ، لأنها لن تكون أحسن من اي مدينة أخرى . وأعتذر عن السكن في اي مدينة يحكمها **أمرؤ القيس وعنترة والحطيئة والفرزدق وجرير والبحتري والمتنبىء** — أو لجنة من هؤلاء مع اعجابي الشديد بشاعريتهم .

انني أستغرب عندما أسمع النقاد يدعون جميع الشعراء الى اصلاح مجتمعاتهم وتحرير أوطانهم ، أستغرب لأن من **الشعراء** من لا يستطيع أن **يصلح نفسه** فكيف يصلح مجتمعه ، ومنهم من لا يستطيع أن **يتحرر من أهوائه** فكيف **يحرر وطنه** . وانني أستغرب أكثر عندما أجد من يتوقع من الشاعر أن يكون **مفكرا حكيما** يرسم لبني قومه الطريق ويستجلي لهم دروب المستقبل . ان الشاعر ليس **أذكى** من غيره ، ولا **أحكم** من غيره ، ولا أشد **وطنية** من غيره : لا يميز **الشاعر** عن غيره الا انه يقول **الشعر** .

على أنه سواء اقتنع المرء أن تأثير الشعر تأثير خير أو شك في ذلك ، فانــه سيسلم بأن الشعر العربي لعب خلال التاريخ العربي دورا يفوق دور الشعر في مجتمعات أخرى : ولعل مرجع هذا هو أن **العربي** يطرب للشعر أكثر من غيره ، **وينفعل** بالشعر أكثر من غيره ، **ويتمثل** بالشعر أكثر من غيره ، انني بعد أن أسلم بهذه الحقيقة أزعم أن التأثير السياسي والاجتماعي للشعر بلغ أوجه في عهد **الجاهلية** ثم أخذ في الانحسار شيئا فشيئا حتى بلغ مرحلة التلاشي في عصور **الانحطاط** . ثم بدأ شعراء **القرن العشرين** يحاولون أن يعيدوا الى الشعر شيئا من مجده الغابر .

كان العرب في الجاهلية **يحتفلون اذا ظهر فيهم شاعر** ويعلقون القصائد التي تعجبهم في **الكعبة** ، ويقيمون للشعر **أعيادا ومواسم** ويحرصون على **رضا** الشعراء ويجزعون من **غضبهم** . غير أن فترات التاريخ التي تلت الجاهلية شهدت انحسارا تدريجيا في مجد الشعر وفي دوره السياسي والاجتماعي . وليس من العسير أن نتبين أسباب هذه الظاهرة التي أشرنا اليها في بداية الحديث ويكفي هنا أن نتحدث عن أربعة أسباب ساهمت في عملية الانحسار . **أولا :** كان الشعر في الجاهلية الفن الوحيد ثم ما لبث أن نافسته فنون أدبية أخرى كالخطابة والكتابة بأنواعها ثم ظهرت علوم جديدة لم تكن معروفة من قبل كالعلوم الشرعية وعلوم النحو ثم علوم الرياضيات والطب والفلك والأحياء . **ثانيا :** كان اهم سبب لانتشار الشعر هو سهولة حفظه في مجتمع لا يحسن القراءة والكتابة ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي انتشار الكتابة الى امكان تداول النثر بسهولة مما افقد الشعر ميزة كبرى على النثر . **ثالثا :** أدى تطور الحضارة وتعقد المجتمع الى ان يفقد الشعر تأثيره السحري على العقل العربي ولا أظن أن أحدا يشك في أن انسان العصر العباسي الذي عرف قدرا كبيرا من الثقافة وعاش في بيئة فكرية متطورة ما كان يمكن أن يستجيب للشعر بنفس الاندفاع

والحماس الذي عرفه انسان العصر الجاهلي الذي كان **ينام ويصحو ويسير على ايقاع الشعر** . **رابعا** : أدى انهماك معظم الشعراء في المديح وتحولهم الى اجراء يقولون ما لا يعنون الى فقدهم بعض احترام الناس وبالتالي بعض قدرتهم على التأثير فـــي النــاســـــ .

وبقدوم عصور الانحطاط فقد الشعر محتواه الفني ومضمونه الاجتماعي وتحول الى نظم سقيم في الألغاز والأحاجي والتشطير والتأريخ لحوادث معينة . وقد شهدت بداية **القرن العشرين** محاولات الشعراء العرب للنهوض بالشعر وقد كانت جميع هذه المحاولات ، سواء المحاولات التقليدية التي بدأها **البارودي** وسار على منوالها **شوقي وحافظ** أو محاولات مدرسة الديوان التي قادها **العقاد والمازني وشكري** أو محاولات مدرسة **أبوللو** أو حركة **التمرد** على القافية الواحدة والتفعيلة المتكررة في الاربعينات ، كانت تلك المحاولات جميعها تستهدف التجديد لا في الشكل والاسلوب فحسب ، بل ترمي الى **اعطاء الشعر بعدا اجتماعيا سياسيا يجعله وسيلة من وسائل تحريك الأمة وتطويرها** .

لقد استطاع دعاة التجديد المتعاقبون أن يحققوا كثيرا من النجاح . انتشل **البارودي** الشعر من **ركاكته** وأعاد اليه **الجزالة والفصاحة** وفتح **شوقي** ميدان **الرواية** أمام الشعر واستطاع شعراء مدرسة **الديوان** أن يدخلوا في الشعر العربي **مفاهيم** جديدة مثل **وحدة القصيدة** وأن يقللوا الاهتمام التقليدي بالبيت الفرد أما شعراء **أبوللو** ومدرسة **المهجر** فقد توسعوا في تنويع القافية وفي المزاوجة بين التفعيلات ، ثم جاءت حركة **الشعر الحديث** في منتصف الاربعينات **فأدخلت أهم تجديد شكلي عرفه الشعر العربي في تاريخه حين تمردت على وحدة التفعيلة وتحللت من وحدة القافيـــــــة** .

ولقد استطاع الشعر العربي ، بالاضافة الى ما حققه من تجديد في الشكل ، أن يعالج كثيرا من القضايا الاجتماعية والسياسية التي شهدتها فترة السبعين سنة الماضية . تغنى الشعراء العرب **بالحرية** ونددوا **بالاستعمار** ودعوا الى **الاستقلال** وتحرقوا الى **الوحدة** وكتبوا عن مأساة **فلسطين** وعبروا عن **تطلع الأمة العربية الى غد من الرفاهية والعدالة الاجتماعية** .

على أننا بعد أن قرانا هذه **الحقيقة** ينبغي أن نبادر فنقرر **حقيقتين** ثانيتين مرتبطتين بها . **أولاهما** : أن الشعر العربي الذي تعرض للمواضيع السياسية والاجتماعية لم يرق في مستواه الفني بحيث يتناسب مع القضايا الخطيرة التي عالجها . لقد غلبت على معظم قصائد الشعر السياسي التقليدي صفات **التقريرية والخطابـــة والتهويل** كمـــا غلـــب على معظـــم قصائـــد الشعر السياســـي الحديـــث طابع **الرمزيـــة** المفرطـــة وطابـــع **الكليشيهـــات** المتكررة والمستمـــدة في معظمهـــا مـــن **الأساطير اليونانية** . ان الشعراء الذين استطاعوا أن يعبروا تعبيرا فنيا جميلا عن قضايا المجتمع السياسية **أقل** من **القلة** وأن القصائد الخالدة التي أنتجوها تكـــاد

تعد على أصابع اليدين . ولعل أكبر دليل على ما أقول هو أننا اذا تساءلنا عن الأعمال الشعرية الممتازة التي تحدثت عن ثورة الجزائر لم نجد ما يشفي الغليل . واذا تساءلنا عن أثر مأساة فلسطين في الشعر لم نعثر الا على شعر متوسط لا يبلغ مستوى الروعة والخلود الا في قصائد معدودة . ان هذه ظاهرة مؤلمة وهي ظاهرة محيرة ، اترك لغيري ، ممن هو أقدر مني على التحليل ، أن يفسرها .

والحقيقة الثانية : هي أن الشعر العربي ، رغم معالجته المتكررة لقضايا السياسة والاجتماع لم يستطع أن يكون **عاملا مؤثرا** في مسار المجتمع العربي المعاصر . صحيح أن بعض الأشعار الوطنية تقرأ فتثير الحماس الوقتي وتبقى على الشفاه فترة من الزمن ، ولكن لا أجد أي دليل يقنعني بأن هذه القصائد كانت رافدا أساسيا من روافد العمل السياسي العربي . وأستطيع القول أننا اذا استعرضنا المؤثرات الفعالة في حياة المجتمع العربي خلال السبعين سنة الماضية لم نستطع رغم ما نكنه للشعر من محبة ، أن نعتبره أحد هذه المؤثرات . ولعل أحدا لا يجادل ان كتاب المقالة السياسية والصحفيين والعاملين في أجهزة الاعلام الاخرى لعبوا دورا يفوق بكثير **دور الشعراء في رسم خارطة العقل العربي** .

وقبل أن يتبادر الى ذهن أحد أنني بمواجهة هذه الحقيقة المؤلمة أوجه **نقدا** من اي نوع ، للشعراء أسارع الى القول بأن اللوم لا يقع على الشعراء بقدر ما يقع على عدد كبير من **الظروف** التي تضافرت لتحصر الشعر في دائرة ضيقة يصعب عليه وهو سجينها أن يمارس دورا يذكر في التأثير في المجتمع .

ان مجتمعنا العربي المعاصر لا يكاد يقرأ الشعر يندر أن نرى الشاعر الذي يعيد طبع ديوانه أو يطبع منه اكثر من بضعة آلاف نسخة بل اننا نستطيع القول أن الشاعر الذي يستطيع استرداد نفقات الطبع يعتبر محظوظا . لو سرت في اي بلد عربي وسألت رجل الشارع عن اسم أشهر الساسة أو نجوم السينما أو المطربين أو لاعبي كرة القدم في بلده أو في بلد عربي آخر لما تردد في الاجابة ولو سألته عن **أشهر الشعراء** لما لقيت منه سوى الوجوم المشوب بالاستغراب . ان الشاعر العربي الوحيد الذي استطاع أن يخرج الى دائرة الضوء فينافس لاعبي الكرة ونجوم الشاشة في الشهرة هو **نزار قباني** وهو في الواقع ظاهرة **فردية** واستثناء يؤكد القاعدة . انني أزعم أن نزار قباني رغم هذه الشهرة الواسعة لا يستطيع أن يحقق ما حققه سلف له حين كتب عن المليحة في الخمار الأسود فتخاطفت النساء الخمر السوداء وبيعت الآلاف منها وأنقذ صديق الشاعر من افلاس مؤكد .

والموضوعية تقتضينا هنا أن نشير الى أن الشعر العالمي ليس أسعد حظا من الشعر العربي . في المجتمعات الغربية مثلا يعرض **فيلم** فيراه مئات الملايين ، وتنشر **قصة** فيقرأها عشرات الملايين ، وترسم **لوحة** فتطبع منها مئات الآلاف من النسخ ، ويطبع **ديوان** لشاعر شهير فلا يكون حظه أسعد بكثير من حظ ديوان عربي .

لعلنا بعد هذه الجولة نستطيع أن نواجه السؤال الذي يمثل عنوان المحاضرة فنقول **نعم أن للشعر مكانا في القرن العشرين** : يتيح للشاعر **التعبير عن تجاربه** ويتيح **للقارىء** أن **ينفعل ويتجاوب** مع الشاعر غير أن الشعر لا يستطيع أن يقوم بدور سياسي اجتماعي يذكر . ومع ذلك فان أحدا لا يجادل في أن من حق الشعر أن يحاول ويكرر المحاولة ليفرض نفسه على المجتمع وأن من حقه أن يحلم دائما **بغد يصل فيه الى ملايين البشر فيؤثر في حياة ملايين البشر .**

حتى نصل الى ذلك اليوم أقول **للشاعر العربي : أن كتابتك للشعر في حد ذاتها لا تعفيك من واجبك الأساسي كمواطن عربي** في أن تحاول **تطوير مجتمعك** ، من موقعك أيا كان موقعك . وأقول **لقارىء** الشعر العربي : **ان اعجابك بالشعر الحماسي الوطني لا يعفيك من التزامك بأن تقدم لوطنك التضحية التي تتجاوز بكثير لحظة عابرة من الحماس المؤقت .**



خـــولـــة بنـــت الأزور

أهـــــــــى حقيقـــــــــة ؟ !

أم أسطـــــورة مـــــن نســـج الخيـــــال

بقلم الاستاذ : عبد العزيز الرفاعي

تمهيد :

لو تابعت عاطفتى لما كتبت هذا المقال .. فأنى فى أعماقى ، أحب أن أحتفظ ببطولة خولة بنت الأزور ، وأن يظل تاريخنا العربى الاسلامى ، عامرا بهذا الاسم البراق .. وأن تظل خولة من مفاخرنا العامة ، ومن مفاخر بنى جنسها خاصة ...

ولكن تجاه هذه المشاعر التى تحرضنى على الأحتفاظ ببطولة هذه البطلة مشاعر أخرى ، تنبع من واجبى الأدبى .. واحساسي بأنه يجب أن يكون مفاخرنا ثابتة واضحة كالشمس .. لا يحيط بها غموض .. ولا يرقى اليها شك .

على أن تاريخنا ملىء بالبطولات .. كما هو ملىء بأسماء البطلات .. وقد عنيت من قبل بأبراز بطولة « أم عمارة » ووضعت عنها كتيبا ، استقصيت فيه تاريخها ما وسعنى الى ذلك سبيل ..

ولا أنكر لبطولة خولة بنت الأزور .. بريقا خاصا .. فهى بطلة شاعرة .. أو هكذا استفاضت شهرتها .. قاتلت الروم فى صفوف المسلمين وأنشدت من الشعر قصائد عليها طابع الحنو .. هذا صحيح .. ولكن مهما يكن الأمر فأن مفاخرنا كما قلت ــ يجب أن تستند على الحقائق وحدها ..

وهذا المقال ، مجرد محاولة لفهم الموقف التاريخى السليم تجاه « خولة بنت الأزور » ، يضع شخصيتها الى جانب القصة الأسطورية ، أكثر مما يضعها الـــى جانب القصة الواقعية .. ثم لا يحول بعد ذلك دون أن .. يغوص أى باحث فـــى أعماق التاريخ ليثبت العكس ...

ولا أزعم أننى أول من تنبه الى حقيقة الشك فى شخصية خولة .. فأن هناك من كان مثلى على شك كبير من أمرها .. وأن لم يعلن ذلك الى الناس .. وسيأتى الحديث عن ذلك فى موضعـــــه ..

مكانتهـــا :

ولخولة بنت الأزور ، مكانة خاصة رفيعة في التاريخ الحديث ، قد احتفـى بها الحفاوة كلها ، وأشاد ببطولتها .. ومجدها كل التمجيد .. نجد ذلك فى الصحف والكتب .. والمقررات المدرسية .. وخاصة فى الكتب التى تتحدث عن بطولـة المرأة .. ونجد كبار المؤرخين والكتاب قد اتخذوا من شخصيتها العجيبة نموذجا رائعا يضربونه مثلا رفيعا للبطولة ، والخلق السامى .. يفعلون ذلك دونما تمحيص لأصل القصة .. يأخذ بعضهم من بعض .. مأخوذين ببريق هذه الشخصية اللامعة ..

على أننى التمس العذر للمتأخرين منهم ، فانما هم يتابعون في ذلك أما كتاب القصص والملاحم فلا تثريب عليهم .. فهم ينسجون قصصهم وملاحمهم من الواقع ومن الأسطورة على سواء .. بل ربما كانوا بالأسطورة اشد تعلقا وأكثر حفاوة .

ولكن الموقف يختلف تجاه الباحثين والمحققين .. وواضعى المعاجم ودوائر المعارف .. ذلك لأننا نطمع أن تكون مثل هذه المراجع ، أكثر دقة وتمحيصا .. وتحقيقا ..

ولست بسبيل أن أعدد الكتب والمجلات والصحف التى أشادت بذكر خولة بنت الأزور ، ولهجت بطولتها .. فذلك أكثر من أن يتسع له مجال محدود ، أو ينفسح له جهد ضئيل كجهدى .. ولكن الأمر مستفيض ... جدا فقد قرات ذلك فى الكتب المدرسية ، وأنا طالب .. وظللت أقرأ عن هذه البطلة الكثير .. وكان من أجــود ما قرأت عنها ، ما كتبه محمد على باكثير رحمه الله في « ملحمة عمر » .

وقد أجتذبنى هذا البريق الشديد .. حينما عنيت بشخصية ضرار بن الأزور ، الصحابى الشاعر الفارس .. وقدمت عنه محاضرة في « عنيزة » بالقصيم . . فقد كتبت عنها بحثا لم القه ولم انشره .. اذا داخلنى من أمرها شك كبير ضمنته بحثى ذلك .. ثم طفقت أبحث الأمر حتى ازداد نفسى واتسع نطاقه .. وكـــان من نتاج ذلك هذا المقال . .

فـــى المراجـــع الحديثـــة :

ومما يتصل بذكر خولة بنت الأزور .. ما ذكرته المراجع الحديثة عنها .

وأمثل تلك المراجع عندى ، كتاب « الأعلام » للاستاذ الجليل « خير الدين الزركلى » أمد الله فى حياته النافعة .. فقد ترجم لها ، وذكر أنها (خولة بنت الأزور الأسدى) ، وأنها شاعرة كانت من أشجع النساء فى عصرها .. وتشبه بخالد ابن الوليد فى حملاتها ، وهى أخت ضرار بن الأزور .. لها أخبار كثيرة فى فتوح الشام ، وقال أن فى شعرها جزلة وفخرا .. وأنها توفيت فى أواخر عهد عثمان

(٣٥هـ / ٦٥٥م) وذكر مصدره الوحيد وهو كتاب « الدر المنثور » . للسيدة زينب ابنة فواز العاملية .

هذا ما جاء عنها فى الطبعة الثالثة من الكتاب ، وهى الأخيرة .. وفى هذه الطبعة أشار الاستاذ الجليل فى المستدرك الثانى أن نسبة الأزور الكندى أصلحت فجعلت الأسدى .. أى أنه كان فى الطبعة السابقة قد نسبها الى كنده ..

وفى هذه النسبة سياق فى البحث سيرد الكلام عنه أن شاء الله ..

وجاء عنها نبذة فى « الموسوعة الميسرة » هذا نصها :

(خولة بنت الأزور) (ت ٦٥٥) شاعرة كندية من أشجع نساء عصرها تشبهت بخالد بن الوليد ، أخت ضرار بن الأزور ، لها أخبار كثيرة فى فتوح الشام ، توفيت فى آخر عهد عثمان وفى شعرها جزلة وفخامة ، وأكثره فى الفخر صورة من المرأة (الفارسة) ، تحيط بها أساطير كأساطير « الأمازون » .. النساء المقاتلات) .

ومن هذا النص يتبين أن كاتبه اعتمد كليا على الاستاذ الزركلى ... ونقل من الطبعة الثانية من كتابه ، فجعل خولة من كنده وليست أسدية من أسد . . ولم يتنبه الى الحقيقة التى عاد الاستاذ الزركلى فتنبه لها وهى أن ضرار بن الأزور كان من أسد وليس من كنده .. ونجد أن كاتب المادة ، لم يتصرف فى عبارات الاستاذ الزركلى الا تصرفا لا يكاد يذكر .. ولكنه أضاف أنه تحيط بها أساطير كأساطير الأمـــــازون .

ولو أنه عنى بتتبع هذه الأساطير التى ألمح اليها لفتح طريقا لا حبا للباحثين .. ولأعاد النظر فيما نقله من كتاب « الأعلام » .

أما صاحب دائرة معارف القرن العشرين ، « فريد وجدى » فلم يذكر مـــن الخولات على كثرتهن وشهرتهن الا خولة واحدة .. وهى خولة بنت حكيم السلمية صحابية مشهورة روت عن النبى صلى الله عليه وسلم .. مع أن صاحب « القاموس المحيط » أورد ذكر عشر خولات ، واستدرك عليه الزبيدى صاحب « تاجِ العروس » عددا آخر منهن . .

ومن المراجع الحديثة كتاب « أعلام النساء » للاستاذ « عمر كحالة » . . وقد وقفت منه على الطبعة الثانية .. وقد ذكر « خولة بنت الأزور » وجعل الأزور كنديا ، وأنها خرجت مع أخيها ضرار .. ثم ذكر بعض وقائعها ، وبعض أشعارها، على النحو الذى فعلته السيدة « زينب العاملية » مع تقديم وتأخير وتنويع بعض العبارات ، وأكتفى بايراد نصين شعريين لها ، الأبيات النونية التى مطلعها :

الا مخـــبر بعـــد الفـــراق يخبرنـــا   فمن ذا الذى يا قوم أشغلكم عنـــا

والنونية الثانية التى مطلعها :

أبعد أخـــى تلــذ الغمــض عينـــى فكيف ينـــام مقــــروح الجفـــون

واختتم تقوله بقوله وتوفيت في أواخر خلافة عثمان . .

أما مراجعه فكانت على التوالى : فتوح الشام للواقدى ، الدر المنثور ، ديوان الخنساء . .

أى أننا نجد ، عدا الدر المنثور ، مرجعين مضافين هما فتوح الشام للواقدى وديوان الخنساء . .

ولا أحب أن أذهب الى أكثر من هذا في استقصاء المراجع الهامة فاستقصاؤها يستدعى اطالة ، قد تخرج المقال عن نطاقه .. وأن كانت مراجعنا الحديثة الهامة من القلة بمكان . .

والمراجع القديمة :

اذا كان التاريخ الحديث قد احتفى بخولة بنت الأزور .. وأثبتها فى أهــم مراجعه ؟ فما هو موقف التاريخ القديم والمراجع القديمة ؟

لنحدد عصرها أولا لنبحث فيه :

ان الاستاذ الجليل « خير الدين الزركلى » ذهب الى أن وفاتها كانت سنة ٥٣٥، وتجلت بطولتها فى حروب حرب فتح الشام .. وأنها كانت تشبه بخالد بن الوليد .. وأنها أخت ضرار بن الأزور .

وضرار بن الأزور صحابى ، من بنى أسد ، وفد ضمن وفدهم الى الرسول صلى الله عليه وسلم ، واشترك فى حروب الردة .. الى جوار خالد بن الوليد .. وانتقل الى العراق معه ، ثم الى الشام .. واشترك فى واقعة اليرموك وكـــان له فيها موقف بطولى .. والشعر الذى قالته خولة .. وهو الذى يشير اليه الاستاذ الزركلى .. ومن بعده « الموسوعة الميسرة » انما قالته فى أخيها ضرار .. فـــى الشوق اليه بعد أن أسر فى أيدى الروم .. وفى الحزن لأسره ..

ومعنى هذا أن خولة كانت مع أخيها فى جهاده فى أرض الشام ، فهل كانت هى الأخرى صحابية ؟

أن خولة بنت الأزور ، لم تكن ضمن من أحصى صاحب القاموس من الصحابيات .. ولا ضمن من استدرك صاحب (تاج العروس) .. عليه ..

وقد لا تكون خولة صحابية .. فلعلها ولدت فى زمن متأخر عن عصر الصحبة.. ولكن صاحب « الاصابة » لم يعتبرها اطلاقا ضمن من أحصى من النسوة .. حتى أولئك الذين لم ينلن شرف لقب صحابية ..

وكذلك طبقات « بن سعد » ، فقد ذكر خمس عشرة خولة ، ليس من بينهن خولة بنت الأزور . .

ولندع كتب الطبقات جانبا .. ولنبحث فى كتب التاريخ والسير .. هــذه سيرة « بن هشام » ليس فيها ذكر لخولة بنت الأزور .. وهذا « تاريخ الطبرى » .. عمدة التواريخ ، لقد ذكر من الخولات خمسا ، وليس بينهن خولة بنت الأزور .. بالرغم من كل ما ذكر عن فتوح الشام . .

والسؤال الضخم .. هو كيف تهملها هذه المصادر الأمهات .. على ما استفاض من شهرتها .. ومن شعرها .. ومن بطولتها .. ومن صلتها بصحابى بطل هــو ضرار بن الأزور .. ؟

ليس من المعقول أن تهملها كل هذه المصادر ، لو كان لها وجود حقيقى .. أو على الأقل لو كان لها أى دور تاريخى ملحوظ . . !

واذا افترضنا أن كتب التاريخ .. قد أهملت الأشادة ببطولتها ومكانتها .. فان كتب الأدب والشعر ، لا تهملها اليست شاعرة .. ؟ وفى شعرها جزلة وفخر ، كما قال الاستاذ الزركلى .. أو كما بالغ كاتب مادتها في الموسوعة الميسرة حينما قال : « فى شعرها جزلة وفخامة » . . . ؟

لا يوجد كتاب واحد من كتبالأدب القديمة المعتبرة ذكر اسم خولة بنت الأزور.. وهذا كتاب الأغانى أوسعها ، ذكر ست خولات ، ليس من بينهن خولة بنت الأزور ..

والكتب التى اهتمت قديما بأخبار النساء بصفة خاصة مثل كتاب « بلاغات النساء » لابن طيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ . لم يرد به ذكر خولة بنت الأزور ..

ويلاحظ أننى أحصر الكلام عن المراجع هنا على المراجع القديمة فحسب .. أما الجديدة ، فالكلام فيها عن خولة بنت الأزور مستفيض جدا ، كما أوضحت من قبل .. وفى الكتب المخصصة بأدب النساء ذكرها « بشير يموت » فى « شاعرات العرب » أيضا .. والكتابان متشابهان . .

المرجع الوحيد :

اذن فمن أين أتى الاستاذ خير الدين بهذه البطلة الشاعرة . . ؟

ان الاستاذ الزركلى دقيق فى ذكر مصادره ، وهذه السيرة من أكبر ميزات كتابه العظيم « الأعــــلام » . .

لقد صرح بذكر مصدره وهو كتاب « الدر المنثور فى ذكر طبقات ربات الخدور » ومؤلفة هذا الكتاب هى السيدة « زينب فواز يوسف العاملى » . .

فلننظر من هى هذه المؤلفة . . ؟ وماذا فى كتابها ؟ . .

يقول صاحب الأعلام في ترجمتها انها ولدت سنة ١٢٧٦ هـ / ١٨٦٠ م. وتوفيت سنة ١٣٣٢ هـ — ١٩١٤ م . وانها اديبة ، مؤرخة من شهيرات الكاتبات ، ويقول عن كتابها « الدر المنثور » ، « أنه من أفضل ما الف فى بابه » . .

ونعرف من هذا انها متأخرة جدا .. وانها اديبة معاصرة .

أما كتابها فقد طبع لأول مرة في مطبعة بولاق سنة ١٣١٢ هـ . ثم جرى تصويره حديثا من قبل دار المعرفة فى لبنان — . .

واكاد أجزم ان كل ما جاء فى كتابات المعاصرين عن خولة بنت الأزور ، استند على هذا الكتاب ، اما نقلا مباشرا منه .. واما أخذا عن المصدر الذى نقلت عنه ..

وبعد . . فماذا قالت زينب العاملية عن خولة ؟
بدأت حديثها عنها بما نصه :
(خولة بنت الأزور الكندية)

وهى أخت ضرار بن الأزور ، وكانت مشهورة بالشجاعة والجمال ، خرجت مع أخيها الى الشام حين فتحها ، فى خلافة أبى بكر الصديق ، وكانت تفوق .. الرجال بالفروسية والبسالة ، ولها وقائع مشهورة لا يسعها المقام ، اذا احببنا ايرادها ، ولكنا على البعض منها . .

قال الواقدى فى « فتوح الشام » . .
ثم أوردت وقائع بعينها ، وأربع قطع شعرية لخولة . . . » . .

وقبل أن أناقش الوقائع والأشعار .. أحب أن أتريث قليلا عند هذه الفذلكة الصغيرة التى قدمتها السيدة زينب فواز رحمها الله ، بين يدى نقولها عن الواقدى ، وكتاب فتوح الشام . .

١ — قالت السيدة فى العنوان ، أن خولة بنت الأزور كندية ، ثم قالت تحته مباشرة ، وبلا فاصل ، أنها أخت ضرار بن الأزور ولو أنها رجعت الى ترجمة ضرار ، وهى ميسورة لعرفت أن ضرار بن الأزور ، الصحابى الذى لازم خالد بن الوليد فى حروبه انما هو أسدى من بنى أسد .. وبنو أسد من مضر أى أنهم عدنانية .. أما كندة فهم من قحطان .. وشتان ! وهما أحب أن اذكر القارىء بما قاله الزركلى عن كنديتها ثم أسديتهـــا . .

٢ — ثم قالت انها خرجت مع أخيها الى الشام .. فاذا صح هذا فانها مولودة قبل الهجرة .. ولو بقليل ، ومعناه ، أن كتب السيرة والطبقات لن تهمل ذكر مثلها ..

٣ — أن كل ما أضافته السيدة المؤلفة عن خولة ، انما هو مستمد من كتـــاب

« فتوح الشام » فهو الذى ذكر شجاعتها وجمالها ، وهو الذى جعلها أختا لضرار ، وجعلها شاعرة ، وأورد عنها قصص البطولة .. وهذا يدل على أن .. السيدة زينب اعتمدت كليا على هذا الكتاب ، ولم ترجع الى غيره مطلقا .. فهو مرجعا الوحيد .. كما كادت أن تكون هى المرجع الوحيد لمن كتب عن خولة من المعاصرين .. أو هى من أضعف الاحتمالات ، من دلت على كتاب « فتوح الشام » .

المرجع القديم :

وكتاب « فتوح الشام » يعزى ، كما رأينا ، الى الواقدى والواقدى مؤرخ قديم..

ولسائل أن يسأل .. كيف تقول قبل قليل .. أنه لا يوجد مرجع قديم تحدث عن خولة بنت الأزور ؟

واقول : اننى لا زلت عند رأى .. وأن كتاب فتوح الشام الذى بين أيدى الناس، لبس قديما .. وليس مرجعا ، ولم يؤلفه الواقدى ! .

وقبل أن أستطرد طويلا عن كتاب « فتوح الشام » فلنلق نظرة على ما نقلته منه « زينب فـــواز » . .

ماذا فى الدر المنثور ؟

بعد الفذلكة القصيرة التى أوردتها من قبل من كلام السيدة « زينب العاملية » نقلت عن كتاب « فتوح الشام » ما يلى :

« قال الواقدى فى فتوح الشام .. أنه لما أسر ضرار بن الأزور فى وقعة « أجنادين » توجه خالد بن الوليد بطلبه من الجيش لخلاصه فبينما هو فى الطريق ، اذ مر به فارس ، على فرس ، طويل وبيده رمح ، وهو لا يبين منه الا الحدق ، وقد سبق أمامه الناس ، كأنه نار ، فلما نظره خالد قال : ليت شعرى من هذا الفارس ؟ وأيم الله انه لفارس ! ثم اتبعه خالد والناس ، وسار الى أن أدرك المشركين ، وقد حمل على عساكر الروم كأنه النار المحرقة فزعزع كتائبهم ، وحطم مواكبهم ، فما كانت الا جولة جائل ، حتى خرج وسنانه ملطخ بالدماء ، وقد قتل رجالا ، وجندل أبطالا ، وقد عرض نفسه للهلاك ثانية ، واخترق القوم غير مكترث ، وكثر قلق الناس عليه ، لا يعلمون من هو ؟ ومنهم رافع بن عميرة ، ومن معه ، ظنوا انه خالد بن الوليد: ما هذه الحملات الا لخالد ،وبينما هم على ذلك ، اذ أشرف خالد بمن معه ، فقال له رافع : من الفارس الذي تقدم امامك ؟ فلقد بذل نفسه ومهجته .

فقال خالد : والله أنى اشد افكارا منك ، أعجبنى ما ظهر منه ، ومن شمائله ، فقال رافع : أيها الأمير انه منغمس فى عسكر الروم يطعن يمينا وشمالا فقال خالد : معاشر المسلمين أحملوا بأجمعكم ، وساعدوا المحامى عن دين الله ، فأطلقوا الأعنة

وقوموا الأسنة ، وخالد امامهم ، اذ نظر الى الفارس وقد خرج من القلب كأنه شعلة نار ، والخيل فى أثره ، وكلما لحقت به الروم لوى عليهم وجندل ، فعند ذلك حمل خالد ومن معه ، ووصل الفارس المذكور الى جيش المسلمين فتأملوه ورأوه تخضب بالدماء ، فصاح خالد والمسلمون : لله درك فارس بذل مهجته فى سبيل الله واظهر شجاعته على الأعداء .. اكشف لنا عن اسمك وارفع لثامك ، ولم يخاطبهم ، وانغمس فى الروم ، فتصايحت الروم من كل جانب ، وكذلك المسلمون ، وقالوا أيها الرجل الكريم اميرنا يخاطبك وانت تعرض عنه ! اظهر لنا اسمك لنزداد تعظيما ، فلم يرد عليهم جوابا .. فلما بعد عن خالد سار اليه بنفسه .. وقال : ويحك لقد شغلت قلوب الناس وقلبى .. بفعلك من انت ؟ فلما الح عليه خالد خاطبه الفارس وتحت لثامه قال : اننى أيها الأمير لم اعرض عنك الا حياء منك لأنك امير جليل ، وانا من ذوات الخدور وبنات الستور ، وانما حملنى على ذلك انى محرقة الكبد زائدة الكمد .

فقال لها : من انت ؟ قالت : خولة بنت الأزور ، أخت ضرار المأسور بيد المشركين وانى كنت مع بنات العرب ، وقد اتانى الساعى بأن أسير فركبت ، وفعلت ما رأيت ، وعند ذلك حمل المسلمون وحملت خولة .. وعظم على الروم ما نزل بهم من خولة بنت الأزور ، وقالوا : أن كان القوم كلهم مثل هذا الفارس فما لنا بهم من طاقة ، اما خولة فجعلت تجول يمينا وشمالا وهى لا تطلب الا اخاها ، وهى لا ترى له أثرا ، ولا وقفت له على خبر .. وجعلت تسأل عنه فلم يجبها أحد ، ولم تر من المسلمين من يخبرها انه نظره او رآه اسيرا او قتيلا ، فلما أيست منه ، بكت بكاء شديدا وجعلت تقول : يا ابن أمى .. ليت شعرى في اى البيداء طرحـــوك وبأى سنان طعنوك ، أو بأى حسام قتلوك .. يا أخى أختك لك فداء ، لو انى أراك انقذتك من أيدى الأعداء .. ليت شعرى أترى انى أراك بعدها أبدا ، فقد تركت يا ابن أمى فى قلب أختك جمرة ، لا يخمد لهيبها ، ولا يطفأ سعيرها .. ليت شعرى الحقت بأبيك المقتول بين يدى النبى صلى الله عليه وسلم .. فعليك منى السلام الى يوم اللقاء .. فبكى الناس من قولها .. عند سماعها ونباحها .. « ..

ثم اخذت السيدة زينب العاملية ، تنقل قصة أخرى فقالت :

ومن وقائعها ايضا ما ظهر من بسالتها يوم أسر النسوة فى واقعة صحورا من اعمال الشام ، وقد جمعت النسوة وقامت فيهن خطيبة ، وكانت هى من ضمن المأسورات فقالت : يا بنات حمير ، وبقية تبع ، اترضين لأنفسكن علوج الروم ويكون أولادكن عبيدا لأهل الشرك ، اين شجاعتكن ؟

الى آخر الخطبة التى سردتها ، ثم حمل النساء أعمدة الخيام وضربن بها الروم..

وهجمت خولة وهجم النساء وراءها ، وقاتلن قتالا شديدا حتى استخلصت النسوة من أيدى الروم وخرجت وهى تقول :

نحـــن بنــــــات تبــــع وحمــــير وضربنــــا فى القــــوم ليس ينكـــــر
لأنـنـــا فى الحـــرب نـــار تسعـــــر اليـــوم تسقون العـــذاب الأكـــــبر

ثم تنقل أيضا قولها حين أسر ضرار فى المرة الثانية فى مرج دابق :

ألا مخـــبر بعـــد الفراق يخبرنـــــا فمن ذا الذى يا قوم أشغلكم عنــــا
فلو كنـــت أدرى أنــــه آخر اللقــــاء لكنــــا وقفنا للـــــوداع وودعنـــــا
ألا يا غراب البين هل أنت مخـــــبرى فهـــل بقـــدوم الغايبـــن تبشرنــــــا
لقد كانـــت الأيام تزهـــو لقربهــــم وكنا بهم نزهو وكانوا كما كنــــا
الا قاتـــل اللـــه النـــوى ما أمــــره وأقبحه مـــاذا يريد النوى منــــا ؟
ذكـــرت ليال الجمـــع كنا سويــــة ففرقنـــا ريـــب الزمـــان وشتتنــــا
لئن رجعـــوا يوما الى دار عزهـــــم لقمنـــا خفافــا للمطايــا وقيلنــــا
ولم أنس أذ قالـــوا : ضرار مقيــــد تركنـــاه فـــى دار العـــدو ويممنـــا
فمـــا هذه الأيـــــام الا معـــــارة وما نحـــن الا مثـــل لفظ بلا معنـــى
أرى القلب لا يختار من الناس غيرهم اذا مـــا ذكرهـــم ذاكر قلبى المضنى
سلام علـــى الأحبـــاب في كل ساعة وان بعـــدوا عنا ، وأن قربوا منا ..

« ثم بكت وقالت : انا لله وانا اليه راجعون ، فو الله لأخذنا بثأره ان شاء الله تعالى .. ولما زحفت عساكر الاسلام الى انطاكية لأجل خلاص ضرار ، سار معهم النساء اللاتى — لهن أسرى ، وفى مقدمتهن خولة بنت الأزور ، وهى تنشد قولها فى المرائى المبكيـــــات :

أبعد أخـــى تلـــذ الغمـــض عينـــى فكيف ينـــام مقـــــروح الجفـــــون
سأبكـــى ما حييت علـــى شقيـــق أعـــز علـــى مـــن عينـــى اليميـــن
فلو أنــــــى لحقـــت بــــه قتيــــلا لهـــان علـــى اذ هـــو غـــير هـــون
وكنـــت الـــى السلو أرى طريقـــا وأعلق منــــه بالحبــــل المتيــــن
وأنا معشــــــر مـــــن مـــات منـــا فليس يمـــوت مــــوت المستكيـــن
وأنى . . أن يقـــال مضى ضـــرار لباكيــــة بمنسجــــم هتــــون ..
وقالوا : لم بكـــاك فقلـــت مهـــلا أمـــا ابكى وقد قطعـــوا وتينـــى ..

ثم تنقل صاحبة الدر المنثور قصتها أو أسر ضرار فى المرة الثالثة فى وقعة دير المسيح من أرض البهنسا .. فقد جاءت أيضا لتخلصه ، وكمنت مع مقاتلى المسلمين ، فمر القوم ومعهم ضرار مكفوفا ، وهو ينشد شعر ، أوردته المؤلفة تضمن الاشادة بخولة « فما كان منها الا كبرت وحملت ، وحمل معها الرجال حتى خلصوا ضرار من الأسر . .

تقول المؤلفة فى ختام ما نقلته :

« وقائعها كثيرة ، وقد أبلت بلاء حسنا فى فتوح الشام ومصر ، وعمرت طويلا، وكانت وفاتها في أواخر خلافة عثمان بن عفان ، فعلى مثل هذه يأسف الدهر رحمها الله رحمة واسعة » .

ان كل ما أوردته السيدة « زينب العاملية » ، ما عدا الفذلكة والكلمة الختامية ، منقول بالنص من كتاب « فتوح الشام » . . وان كانت تختصر كلمة من هنا أو هناك.. ولكنها تحرص غالبا على النص ، ولمن شاء الرجوع الى الكتاب المذكور ، وانى أدله على الصفحات بحسب النسخة التى بين يدى ، وأنا أكتب هذه السطور ، وهى نسخة (دار الجيل) . . وليس بها تاريخ طبعا :

١) خولة الفارسة التى تشبه خالدا	ص ٤٥ و٤٦/ج ١
٢) فى وقعة صحـورا	ص ٤٢ وما بعدها ج ١
٣) قصتها فى مرج دابق وشعرها	ص ٢٨٥ ج ١
٤) شعرها في انطاكية	ص ٢٩٧ ج ١
٥) قصتها وأخوها في دير المسيح	ص ٢٣١ وما بعدها ج ٢

على أن كتاب « الدر المنثور » لم يستقص جميع أخبار خولة بنت الأزور التى وردت فى كتاب « فتوح الشام » بل اقتصر على بعض قصصها وأشعارها ..

واذا تأملنا هذه النصوص التى وردت فى كتاب « الدر المنثور » وما جاء فيه من فذلكة وختام . . نلاحظ ما يلى :

١ ــ نلاحظ فى أسلوب النصوص .. أعنى كتب القصص والحكايات التى وضعت للشعب لأغراض شتى .. وشاعت لدى الجماهير العربية منذ بدء القرن الهجرى الأول ، حيث كانت تروى هذه القصص أو تحكى فى المساجد ، ثم جرى تدوينها فيما بعد ، وشاع تداولها .. وحصل التزيد فيها ، وتطور أسلوبها ..

وفى أسلوب فتوح الشام نلاحظ تكرارا لبعض التشابيه مثل قوله « كانت شعلة نار . . كالنار . . » .. أو استعمال السجع كقوله : فزعزع كتائبهم وحطم مواكبهم .. وقتل رجالا وجندل أبطالا .. فأطلقوا الأعنة .. وقوموا الأسنة .. وأنا من ذوات الخدور ، وبنات الستور .. انى محرقة الكبد زائدة الكمد .. الخ ..

٢ ــ أن خولة بنت الأزور ، شبهت فى حملاتها بخالد بن الوليد : « ما هذه الحملات الا لخالـد » . .

٣ ــ أن خولة بنت الأزور ، تقول فى التحسر على أخيها ضرار : « ليت شعرى الحقت بأبيك المقتول بين يدى الرسول .. » وليس لهذا الخبر أصل تاريخي..

٤ ـــ نرى أنها حينما كانت ضمن المأسورات فى وقعة « صحورا » وخطبت فى النسوة ، وارادت أن تستثير حماستهن .. خاطبتهن على اعتبارهن « بنات حمير وبقية تبع .. » ولا غرو فهى فى كتاب فتوح الشام كندية وكنده قبيلة يمنية يصح أن يقال فى بناتها أنهن بنات حمير ، وبقية تبع .. وهنا يأتى الوهم الأكبر .. فأن ضرار بن الأزور ، الصحابى .. وصاحب خالد بن الوليد ، انما هو من بنى أسد ، وبنو أسد قبيلة مضرية عدنانية ، فاذا كانت خولة هى بنت الأزور حقا فكيف يصح أن تكون عصبيتها من حمير وتبع ؟

وقد تكرر افتخارها بحمير وتبع ، فجاء فى شعرها بعد ذلك قولها :

نحـــن بنـــات تبــــع وحمــــير وضربنـــا فى القوم ليس ينكــر ..

٥ ـــ أن الأبيات التى مطلعها : الا مخبر بعد الفراق يخبرنا .. تبدو علاقتها أرق من أن تكون من شعر صدر الاسلام .. واذا قلنا ان صدورها من امرأة جعلها تتسم بهذه الرقة .. وهو قول لا أمارى فيه .. فأين نضع ما وصف به شعرها مـــن جزالة وفخامة ؟ على أن الحكم الصحيح على شعر خولة انما يكون نتيجة النظر في شعرها ككل ، بعد أن يثبت وجود حقيقى لهذه الشخصية العجيبة . .

٦ ـــ وجاء فيما ذكرته « العاملية » عنها قولها :

« وقائعها كثيرة ، وقد أبلت بلاء حسنا فى فتوح الشام ومصر ، وعمرت طويلا وكانت وفاتها فى أواخر خلافة عثمان بن عفان » ..

ونقف فى هذه العبارة عدة وقفات .. فهى تذكر أنها أبلت فى مصر أيضا ، كما ابلت فى الشام .. ويدل السياق على أنها كانت فى مصر مع أخيها ضرار .. الذى اسر فى البهنسا .. بينما يدل التاريخ الحقيقى لضرار أنه لم يتجاوز الشام فقد توفى سنة ١٣ فى وقعة أجنادين يوم السبت لثلاث من جمادى الأولى ، كمـــا جاء فى البداية والنهاية اى انه لم يذهب الى مصر ، ولم يشترك فى فتوحاتها .

ثم تقول أنها عمرت طويلا .. وكانت وفاتها فى آخر خلافة عثمان فاذا كانت خولة قد عمرت ، فمعنى هذا انها عاشت عمرا قبل الهجرة .. فهى أما أن تكون صحابية ، أو أنها ولدت فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم .. ولم تكن لها صحبة .. وفى الحالتين فان كتب تراجم الصحابة تترجم لمثلها .. ولكن هذه الكتب ، لم تذكر اسم خولة بنت الأزور اطلاقا .. ولمن شاء أن يرجع مثلا الى « الاصابة » لابن حجر .

على انه ، ما دامت السيدة « زينب العاملية » قد اعتمدت على كتاب « فتوح الشام » وحده ، فعلينا أن نفحص هذا الكتاب .. بيد انى أؤثر ان أجعل الكلام عنه خاتمة المطاف .. ولذلك أحب أن ألقى نظرة عجلى على المصدر الجديد الذى أضافه الاستاذ عمر رضا كحالة فى كتاب « أعلام النساء » وهو « ديوان الخنساء » .

سألت نفسى كثيرا ، بعد اطلاعى على كتاب « أعلام النساء » ، عن علاقة ديوان الخنساء بخولة بنت الأزور ، ثم ترجع الى أن المقصود هو شرح « ديوان الخنساء » وهو كتاب يضم بالاضافة الى ديوان الخنساء مرائى ستين شاعرة من شواعر العرب ، هكذا جاء فى عنوانه .. وليس هناك ذكر لمؤلفه أو جامعه ، أو عدد طبعاته ، اللهم الا تاريخ الطبعة التى بين يدى ١٣٨٨ هـ. ــ ١٩٦٨ م. صادرة عن دار التراث .. وقد جاء ضمن أولئك الشواعر ، خولة ص ١٤٧ ، وجاء فى تقديمها « هى أخت ضرار بن الأزور الكندى خرجت مع أخيها الى الشام ، لما فتحها المسلمون فى أيام أبى بكر ، فأسر أخوها فى بعض الوقعات قرب أنطاكية ، فلما بلغ أخته خبر أسره قالت ترثيه برثاء كثير منه ما رواه الواقدى ثم أورد قصيدته .. الا مخبر بعد الفراق يخبرنــــا . .

وهكذا نرى أن صاحب هذا الكتاب يعود بنا الى الواقدى ويقصد طبعا فتوح الشام ، على أنه أورد لها قصيدة أخرى مطلعها :

حل المصــاب فعم الويــل والحرب وكــل دمــع من الأجفان ينسكــب

وهى قصيدة لا نكران لفخامتها أو جزالتها .. الا بعض اضطراب فى أبياتها الأخـــــيرة . .

والآن .. حان الأوان لنتحدث بايجاز عن كتاب « فتوح الشام » ..

كتاب فتوح الشام :

سبقت الاشارة الى ما يدل على أن كتاب فتوح الشام ، لا يعد كتابا علميـــا أو تاريخيا بالمعنى الصحيح ، وأن صفة كتب القصص الشعبية ، هى الغالبة عليه ..

ولكن هــذا الكتــاب ينسب للواقدى .. وللواقدى فى تاريخنا مكانة علمية تاريخية مرموقــــة ..

والواقدى هو محمد بن عمر بن واقد السهمى الأسلمى بالولاء .. وقد اشتهر بالتاريخ ، ومعظم حفظه للحديث ، قبل أهل العلم روايته التاريخية ورفضوا تحديثه .. وتولى القضاء فى بغداد ، وله مؤلفات كثيرة ، يذكر من بينها كتاب فتوح الشام ، وهو كتاب طبع طبعات متعددة ، تقبل عليه الأوساط الشعبية لما فيه من قصص وحكايات تتسم بالمغالاة والمبالغة ، خاصة فى المواقف البطولية . .

يقول الاستاذ خير الدين الزركلى فى كتاب الأعلام ، وفى مادة محمد بن عمر الواقدى : وينسب اليه كتاب (فتوح الشام) وأكثره مما لا تصح نسبه اليه .. « ويكفى الوصول الى هذا الحكم ، أن يطلع أى القارىء فاحص على الكتاب .. بل على بعض فصوله فقط ، ليتحقق من صحة ما قاله الزركلى .. ولكن العجب أن الزركلى ،

اعتمد فى ترجمته عن « خولة بنت الأزور » على كتاب « الدر المنثور » وهذا لم يكن لها أى مصدر فى ترجمتها ، الا كتاب « فتوح الشام » على أنى لا أحب أن أخرج هذا المقال عن نطاقه الخاص ، الى انحديث عن كتاب « فتوح الشام » واظهار ما به من زيف ولكن فيما سبق أن أوردت عنه الكفاية .. فانه لا يتصور أن يجعل الواقدى « خولة بنت الأزور وأخاها ضرارا من كنده ، بينما المعروف المشهور جدا هو أن ضرار بن الأزور ، من بنى أسد ، وقدم مع وفدهم الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .. ودوره فى حروب الرده مشهور ، شهرة قتل مالك بن نويرة .. ولا يعقل أن الواقدى يجعل والد ضرار بين يدى الرسول .. بينما لم يرد فى السير ذكر لهذه الحادثة .. يضاف الى كل ذلك .. أن كتاب فتوح الشام جعل خولة صحابية فكان يضيف الى اسمها عبارة (رضى الله عنها) بينما لم يذكر أى كاتب ولا كتاب من تراجم الصحابة ، خولة بنت الأزور ، لا صحابية واضحة الصحبة ، ولا من بين المواليد اللاتى ولدن فى عهده صلى الله عليه وسلم ولا حتى ضمن المشتبهة فـــى صحبتهن .. لكل ذلك ، ولغير ذلك لا تصح نسبة كتاب « فتوح الشام » الـــى الواقدى .. وان كان المرجع للواقدى فعلا كتاب عن فتوح الشام ، لم نره .. أو لم يصل الينا ، أو أن له من هذا الكتاب بعضه ، وأن الأكثر قد لفق له وعليه ، أو زاد مؤلفوه المغازى .. والكتب والحكايات ..

ولقد علمت بأن بالمكتبة الظاهرية بدمشق مخطوطا بعنوان (فتوح الشام) وهو منسوب للواقدى ، ضئيل الحجم بالنسبة للكتاب المطبوع ، وقد يكون هو الكتاب الحقيقى الذى وضعه الواقدى ، واذا سقطت الثقة بكتاب فتوح الشام ، فقد سقطت بالتالى روايته عن « خولة بنت الأزور » ، وسقطت بالتبعية جميع الأقوال التى استندت الى كتاب « الدر المنثور » ، فيما يختص بخولة بنت الأزور . . .

وهناك أسباب أخرى ، غير سقوط كتاب « فتوح الشام » يجعلنى أذهب الى أن شخصية « خولة بنت الأزور » شخصية غير حقيقية ، اخترعها واضعوا القصص الشعبية .. وفيما يلى أذكر طرفا من هذه الأسباب .. :

لمـــاذا هـــى أسطـــورة ؟

١ ــ جميع كتب الصحابة المعتمدة .. لم يرد بها أى ذكر لخولة بنت الأزور ، حتى ولا بين المواليد الذين ولدوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٢ ــ لم تترجم لها كتب الأدب القديمة المعتمدة ، بوصفها شاعرة فلا يوجد لها ذكر فى الأغانى ، أو كتب الجاحظ أو الشعر أو الشعراء مثلا .

٣ ــ لم يذكرها (ابن طيفور) فى كتابه « بلاغات النساء » وهو كتاب خاص بذكر البليغات من النساء .

٤ ـــ فى تراجم « ضرار بن الأزور » رضى الله عنه ، لم يرد أى ذكر أو اشارة الى أن له أختا بهذا الاسم ، ولو كانت له أخت فى شهرتها لأشارت ترجمته اليها .

٥ ـــ كذلك لم تشر تراجم أرطأة سهيمة الشاعر الأموى ، الى أن له عمة بهذا الاسم ، وأرطأة بن سهيمة هو ابن ضرار بن الأزور ، نسب الى أمه أو الى زفر بن عبد الله الذى تبنـــــــاه .

كلمـــــــة ختـــــام :

وبعد فأن من الحق أن أذكر ، أن الحيرة التى لازمتنى منذ أهتممت بأمر خولة بنت الأزور ، والريبة فى حقيقة وجودها ، كانت على ما يبدو تلازم باحثا آخر ، وربما كان أسبق منى فى الشك .. باحث جليل يؤثر الصمت ، فلا يكتب ولا ينشر شيئا .. وهو الاستاذ الشاعر « أحمد عبيد » صاحب المكتبة العربية بدمشق .. مؤلف كتاب ذكرى الشاعرين ، واليه يعزى اخراج ونشر نفائس المخطوطات ..

تعرفت على هذا الاستاذ الفاضل شخصيا ، فى صيف العام الأسبق فقد مررت بدمشق لليلة واحدة زرت صباحها مكتبته ، فهش الى وعنى بما أطلب من كتب .. وكنت مهتما بأمر خولة بنت الأزور ، فسألته عما اذا كان هناك من ألف عنها كتابا مفردا ، فأجابنى بالنفى ، ثم أخبرنى أنه فى حيرة من أمرها ، لأنه لم يجد ترجمتها فى أى كتاب قديم معتمد .. فتلاقى شكه بشكى .. وتحول شكى الى يقين ، الا أن يبدده باحث جديد ، وفوق كل ذى علم عليم . . .

الرسول يربي الشباب

بقلم الاستاذ : عبد العزيز المسند

(محاضرة القيت في « المركز الصيفي للشباب »
في الطائف عام ١٣٨٩ هـ)

أجمع الفلاسفة والنقاد والباحثون أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أكمل الناس خلقا وخلقا ، وانه كان في شبابه مثال الاستقامة والرزانة ، يحسن القول ، ويجيد التصرف في غير ما كبر أو فخر ، أو عنجهية .

وكان في حداثة سنه فتى يقصر عن ادراكه كل الناس لكنه قدوة يحتذى ويسلك نهجـــــــه .

وهذه تربية ربانية خص بها الله عبده ورسوله سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم ليؤهله لقيادة الأمة ، وهداية البشرية .

وكلكم يعلم الدور الذي مر به رسول الله صلى الله عليه وسلم في رضاعته وحضانته وكفالته ، وما أن بلغ الثانية عشرة من عمره حتى دخل دور الجد وخاض غمار الحياة فشارك في حرب ضروس تشيب الوليد هي حرب (الفجار) شهدها مع أعمامه وشاهد فيها الكر والفر ، والنزال والقتال ، وكان يجمع السهام ، ويعين المصاب ، ويساعد أهله وقومه .

فصلب بذلك عوده وقويت نفسه واشتد جسمه واستعد لتحمل مسئوليات الحياة ، ثم بعد الحرب حضر السلم فشهد (حلف الفضول) الذى انتهى بتحالف هاشم وزهرة وتيم على دفع الظلم وأخذ الحق من الظالم ، والا يتركوا عند أحد مظلمة لأحد الا اخذوها ، وهو الذي يقول فيه : (لقد شهدت مع عمومتي حلفا في دار ـــ عبد الله بن جدعان ـــ ما أحب أن لي به حمر النعم ولو دعيت به في الاسلام لأجبت . .) .
وبعد ذلك شارك في البيع والشراء ، والتعامل مع الناس ، حتى حاز لقب (الأمين) ثم سافر وتفكر في الارض ومن فيها ورأى طباع الناس وحياتهم وبلادهم .

وشهر صلى الله عليه وسلم بعقله وأمانته وأحبه الناس جميعا حتى كانت له المنزلة العظيمة باحتكام القرشيين والقبائل المتنازعة على الحجر الأسود الى مكانه . . وحينما جعلوا الأمر اليه تصرف بأناة ورجاحة عقل وادراك تام فبسط رداء ووضع الحجر وسطه وطلب الى كل قبيلة أن تأخذ بطرف الرداء ورفعوه جميعا ثم تناوله بيده ووضعه مكانه .

فوصل الى المطلوب وأرضى الجميع ، وأبعد النزاع والشقاق ، ولما اكتمل عقله واستعد لما أراده الله له ، أنزل عليه الوحي ، أمر بتبليغ الرسالة .

وهكذا ينتهي دور اكتمال شخصيته فيتفرغ لتربية أمته .

وقد بذل في ذلك دمه وجهده فصبر وثابر وسلك كل الطرق حتى استطاع أن يبلغ رسالته ولقد كان للشباب دور فعال في هذه الرسالة في تحملها وفي تبليغها ، وفي تنفيذ تعليمات رسول الله .. فعاش معه عدد من الشباب آسوه وآزروه فرضي عنهم ورباهم وأرشدهم وقوم شخصيتهم حتى غدوا أئمة المسلمين ، وأبطال الجهاد ، وقـــدوة اللاحقين .

وسأستعرض عددا من الشباب من هذا الجانب الذى برزت فيه تربية رسول الله لهم .

تربيته للصغار :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم على جلالة قدره وانشغاله بابلاغ الدعوة يلاطف الصغار ويمازحهم ويهبهم من حنانه الشيء الكثير .

ويبدو ذلك في (الحسن والحسين) ابني فاطمة بنت رسول الله ، زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحملهما ويقبلهما ، ويدخل السرور على قلبيهما .

فقد روى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال (قبل رسول الله الحسن بن علي وعنده الاقرع بن حابس ، فقال الاقرع ان لي عشرة من الولد ما قبلت منهم أحدا فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال (من لا يرحم لا يرحم) ، وكثيرا ما كان يثب الحسن والحسين على ظهره الشريف فيرفعهما وينزلهما حتى يجلسا على الارض ثم يجلسهما في حجره .

وكان يشجعهما ويدعوهما للعب والسرور فعن علي رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان قاعدا ، فطلع الحسن والحسين فاعتركا فقال رسول الله ـــ وعلي جالس ـــ ويها حسين خذ حسنا ، فقلت تؤلب على حسن وهو أكبرهما يا رسول الله ، فقال رسول الله هذا جبريل قائم وهو يقول ويها حسن خذ حسينا.) وكان (ص) يفرج بين رجليه حتى يمر الحسن أو الحسين من بينهما وهو قائم يصلي، ويحمل أمامه اذا قام ويضعها اذا جلس ، في صلاة النفل .

هذه معاملة رسول الهدى لأولاده ، وليست قاصرة عليهم بل لكل الصغار الذين يراهم فهذا اسامة بن زيد مولى رسول الله يعيش في بيت رسول الله ويعامله

معاملة كريمة كلها لطف وحنان ، فقد روت عائشة قالت : (عثر اسامة بعتبة الباب فشج في وجهه فقال رسول الله : اميطي عنه الأذى فقدرته فجعل رسول الله يمص الدم ويمجه عن وجهـــه . .

وكان صلى الله عليه وسلم يصف عبد الله وعبيد الله وكثير بني العباس ويقول من سبق الي فله كذا فيستبقون على ظهره وصدره فيلزمهم ويقبلهم .

هذه تربيته صلى الله عليه وسلم للصغار ، تشجيع وترويح ، وتعويد علـــى الاعمال الطيبة التي تنفعهم في حياتهم ، وحب وحنان يغسل به عن قلوبهم ادران الشر ويكسبها الطهر والصلاح والرقة والمودة .

وفاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم يربيها رسول الله على العبادة والعمل ، والاعتماد على نفسهـــــا .

فيقول : يا فاطمة بنت محمد لا أغني عنك من الله شيئا ، نعم .. لا يغني عنها شيئا ولا بد أن تعبد الله وتطيعه وتقوم بالتكاليف الشرعية حتى يقبلها اللـــه وحده .. ولن يغني عنها كونها بنت رسول الله .

ويقول مرة وقد تشفع أحد الصحابة بحد من حدود الله .. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ، فاطمة الزهراء بنت رسول الله وحبيبته مثل أي فتاة من بنات المسلمين لها حقوق وعليها واجبات فلو أخلت بشيء منها لأقيم عليها الحد ولم يمنع من تنفيذه كونها بنت رسول الله ، نعم الناس سواء في الحقوق والوجبات ، قريبهم وبعيدهم أسودهم وأبيضهم .. انها شريعة العالم كلـــه .. فـــلا بد أن تكون عادلـــــة .

وفي احدى زيارات رسول الله لبيت ابنته فاطمة زوج علي بن أبي طالب ، تشكو الى والدها أعمال البيت وكثرتها عليها تريد أن تعرض بطلب خادمة تساعدها فيرشدها هي الامه الى تسبيحات واستغفارات تساعدها على أعمالها وهي خير لها من خادمة.

أيها الأخوة : لم يكن رسول الله يعجز عن تأمين خادمة لابنته ، لكنه أراد أن يعلمها هي ، وأن يضع درسا لأمته بالاعتماد على النفس والاستغناء عن الناس ، وبالعمل والجد .. والتغلب على الكسل والعجز .

صبيان يستبقان على الجهـــاد :

بعد أن هزم المشركون في غزوة بدر الفاصلة أعدوا عدتهم وجاؤا بقضهم وقضيضهم لينتقموا من رسول الله وصحابته وليقضوا على هذا الاشعاع الذي بدأ

يهددهم في عقر دارهم .. كانوا يريدون اخماد هذه الجذوة حتى لا تقوم للاسلام قائمة.

وعندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر تجهز سريعا وكان المكان قريبا من المدينة ، في ذلك الوقت كان المحارب الواحد يساوي مئات عند رسول الله . وبينما هو يتفقد جيشه ويستعد للمسير اذا هو بصبيين يعرضان نفسهما على رسول الله ويطلبان اجازتهما للانضمام الى المجاهدين ، فينظر اليهما ، ويرى أنهما صغيران لم يبلغا الخامسة عشر من عمرهما ، فيردهما ، ولكنهما قد صمما على المضي في الجهاد .. فيبذلان كل محاولة للوصول الى هدفهما .

ويكلم أحد الصحابة رسول الله في أحدهما ويخبره بأنه يجيد الرماية فيقبله فيبكي الآخر ويطيل البكاء حتى يبلغ الرسول ذلك فيجيزه ، قال (١) ابن هشام : (وأجاز رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ سمرة بن جندب الغزارى ورافع ابن خريج أخا بني حارثة وهما ابنا خمس عشرة سنة ، وكان قد ردهما فقيل يا رسول الله ان رافعا رام فأجازه فلما أجاز رافعا قيل يا رسول الله فان سمرة يصرع رافعا فأجـــــازه) .

وهذه تربية النبوة على الجهاد والكفاح وتحمل المشاق ، لم يكتف رسول الله بكلام من بلغه بان سمرة يصرع رافعا بل طلب منهما أن يتصارعا حتى صرع سمرة أخاه واثبت للرسول وللحاضرين كفاءته ، وانه أهل لخوض حرب قارضة ، تطير لها القلوب ، وترتعد من هولها الفرائص .

وهكذا أراد رسول الله أن يعلم أمته بأن القول لا يكفي بل لا بد من العمل ، وأن العمل هو السبيل الى الجهاد والنصر .

وخاض الصبيان الحرب ، ووقفا مع الشجعان الأشاوس جنبا الى جنب ، وانتهت الحرب بالنصر للمسلمين وهما سليمان ، لم يصبهما أذى ، بل أوتيا مناعة واستعداد لخوض معارك جديـــدة .

أيها الأخوة : اننا بحاجة الى شباب مثل هذين الشابين والى شباب يتسابقون الى المعالي ، ويتنافسون لادراك النصر وانتزاعه من بين فكي الأسد ، ويومها نستطيع أن نقف في المقدمة وأن نتولى قيادة العالــــم .

سيف رسول الله :

وفي غزوة أحد اشتد الأمر على المسلمين ، فسلك رسول الله صلى الله عليه وسلم طرقا لدفع المسلمين الى القتال والمقاومة ومن ذلك أنه رفع سيفه وقال : (من يأخذ هذا السيف بحقه ؟) فقام رجال فأمسكه عنهم ، حتى قام اليه أبو دجانه

---

(١) سيرة بن هشام ص ١٠ ج ٣ .

(سمال بن خرشه) أخو بني ساعدة فقال : وما حته يا رسول الله ؟ قال : أن تضرب به العدو حتى ينحني . قال أنا آخذه بحقه فأعطاه اياه .

وكان أبو دجانه رجلا شجاعا يختال عند الحرب ، وكان اذا أعتم بعصابة له حمراء فاعتصب بها علم الناس أنه سيقاتل ، فلما أخذ السيف من يد رسول الله أخرج عصابته تلك فعصب بها رأسه ثم جعل يتبختر بين الصفين ويتقدم الى صف العدو فلما قرب منهم أخذ ينشد :

أنا الذى عاهدني خليلي ... ونحن بالسفح لدى النخيل
الا أقوم الدهر في الكيول (١) ... أضرب بسيف الله والرسول

وهجم على الأعداء كالأسد الكاسر وقتل منهم خلقا كثيرا ، وقاتل وجالد حتى انحنى السيف بيده .

وبعد كل هذا هل تدرون نهايته أيها الأخوة : نعم لقد خرج من كل هجماته سالما ، وانتهت الحرب ونجا هو وحضر فتوحا اسلامية كثيرة .

أيها الأخوة : هكذا يكون الرجال ، ان العزم والاقدام يهبان الحياة ، وان الخوف والخور يجران الى الهاوية والموت الذي يقتنص الأبطال في المعارك يخمد انفاس المتقلبين على وسائد الحرير ، وفرش الديباج ، ولأن يموت المرء مسلما عزيزا ، خير من أن يموت ذليلا خائفا قد فقد كل معاني الرجولة ، ويذكرنا هذا كلمة خالد المشهورة عندما حضرته الوفاة (لقد شهدت مائة وقعة وما في بدني موضع شبر الا وفيه طعنه أو ضربة و ها انذا أموت كما تموت العنز فلا نامت أعين الجبناء) .

اننا حينما فقدنا أمثال هؤلاء الشباب ، وصل المسلمون الى الحال التي لا يحسدون عليها .

من صبي الى خليفة . .

أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم كان له ولد كثير وكان يعولهم بالانفاق عليهم الى أن اشتدت السنون ، وضاق به الأمر وثقل العيال عليه فأحس بذلك أقاربه وأبناء عمه ، فأقبلوا يخففون عنه ، ويأخذون من أولاده .. وكان علي بن أبي طالب من نصيب رسول الله صلى الله عليه وسلم . فضمه اليه وكان غلاما صغيرا .. عاش في كنف رسول الله ، يراه كل ساعة والنظر الى أعماله ويسمع ما يقول ..

وكان الذكاء والفطنة قد طبع على عليهما منذ صغره فدخل مرة على رسول الله ومعه زوجه خديجة فوجدهما يعملان شيئا لم يتعود أن يراه .. فدهش وقال : يا محمد

(١) الكيول : مؤخرة الصف .

ما هذا .. وكانا يصليان ــ فقال رسول الله هذا دين الله الذي بعث به رسله وانى أدعوك الى الايمان بالله وأن تكفر باللات والعزى . فقال علي : هذا أمر لم أسمع به قبل اليوم ، فلست بقاض أمرا حتى أحدث والدى . فخشى النبى أن ينتشر الخبر وأن يؤثر الناس على علي وكره أن يظهر أمره في ذلك الوقت . فقال لعلي : ان لم تسلم فاكتم .. فكتم ولكنه بات يفكر فى هذا الدين الجديد . فلما طلع الصبح بادر الى النبى فأسلم . . .

انغرست هذه البذرة الاولى فى قلبه واستمر يرتوى من معين النبوه ، يختلط ذلك بدمه ولحمه ويشب عليه عظمه وقلبه .

ورسول الله يدرك بثاقب نظره تفتح قلب هذا الشاب واستعداده لتحمل هذا الامر العظيم وتنزل على رسول الله آية (وانذر عشيرتك الاقربين (١)) فيجمع بنى عبد المطلب فى دار والد على ويبلغ عددهم خمسة وأربعين رجلا . فلما اكتمل عقدهم قال رسول الله (يا بنى عبد المطلب ان الله قد بعثنى الى الخلق كافة وبعثنى اليكم خاصة وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين على اللسان شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ! فمن يجيبنى الى هذا الأمر ويؤازرنى على القيام به ؟ فسكت القوم .. وقام على فقال : أنا فقال له النبى اجلس !

ثم أعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله ثانيا فسكت القوم . وقام على فقال : أنا فقال له : اجلس . ثم أعاد النبى صلى الله عليه وسلم قوله ثالثا . فسكت القوم وقام على فقال أنا يا رسول الله !

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اجلس فأنت أخى ! وانتهى الاجتماع ولم يعلن تأييد محمد بما جاء به أحد منهم سوى هذا الشاب القوى الشكيمة الذى لم يخش فى الحق لومة لائم . ولم يدار فيما يعتقد . .

مؤمن وفدائـــى :

علي أحب الرسول من كل قلبه جمع بينهما الايمان .. وتعلق بنبى الله لسبب المعاملة الكريمة التى يلقاها منه ، وبسبب الوحى الالهى الذى يصل الى القلوب فيهزها ويخرجها من الظلمات الى النور .. ان عليا يفدى رسول الله بنفسه وبأهله وبكـل الدنيا . وحانت ساعة الفـــداء .

تآمرت قريش على رسول الله ليقتلوه وليخلصوا مما جاء به بعد أن خابت كل الوسائل المادية والحسية فى صرفه عن هذا الدين الجديد .. واعداد العدة لاغتياله فى فراشه . واجتمع نفر من قبائل مختلفة من قريش ليضيع دمه فيهم

---

(١) ٢١٤ سورة الشعراء .

وحاصروا البيت ، وبلغ السيل الزبى واشتد الأمر وقربت الساعة الحاسمة فاما انتشار هذا الدين وأما القضاء عليه فى مهده .. ويلتفت رسول الله الى على ويعرض عليه الأمر فيسارع على الى فداء رسول الله بنفسه .. ويتفقا على أن ينام على فراش رسول الله حتى يظن المتآمرون أن رسول الله ما زال فى فراشه .. وينام على ويخرج رسول الله من بينهم وهم لا يعلمون ..

ويأتى الصباح ويقتحم الجهلة البيت وينزعون الغطاء فيجدون عليا .. ويرتدون خائبين خاسئين .. ويدركون فشل مؤامرتهم وذهاب تعبهم وتخطيطهم سدى .

ايه يا على لله أنت من شاب مؤمن قوى الايمان ثابت الشخصية ان هذا موقف ترتعد له الفرائص وتطير من هوله افئدة العقلاء . .

هل نمت يا على ! وأنت تتصور كيف ستقتل ويفتك بك كيف استطاع جسمك ان يثبت على الارض وأنت تضعه على أرض المذبحة . .

نعم انه الايمان الذى يهيمن على كل شىء .. وانه الشباب مع الايمان حيث يجعله فى كمال قوته وتمام حسنه .

ويقرب على من رسول الله فيزوجه ابنته فاطمة فتكتمل كل وشائج القرابة له . . ويكون بيته بيتا لرسول الله وأولاده أولاد رسول الله . .

ثمرة التربية النبوية :

كل هذه الأحداث عجمت عود على وقوته ، وشدت ساعده فاستعد للجهاد . فلقد أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية فى (بدر) وعمره أحد وعشرون سنة .. وفى غزوة أحد حينما اختل تنظيم المسلمين وأرجف الشيطان فى صفوفهم وعاد بعضهم الى المدينة .. ثبت على وأخذ يبحث عن رسول الله فى القتلى وفى صفوف الجيش فلم يجده . فقال : والله ما كان رسول الله ليفر وما أراه فى القتلى . ولكن الله غضب علينا بما صنعنا فرفع نبيه . وما بقى خير من أن أقاتل حتى اقتل ثم كسر جفن سيفه . وحمل على القوم فانفرجوا له فاذا بالنبى صلى الله عليه وسلم بينهم .. فوقف بجانبه يدافع عنه حتى انجاه الله ..

ولقد أصابت عليا فى ذلك اليوم ست عشرة ضربة كل واحدة تطرحه أرضا فيقوم ويحمل على المشركين ولا يبالى بما فيه من الضربات . .

وفى غزوة الأحزاب خرج (عمرو بن ود) الفارس المعروف من صف المشركين ونادى فى المسلمين من يبارز ؟ فلم يجبه أحد . فقام على وقال : أنا يا نبى الله . فقال له النبى اجلس انه (عمرو بن ود) .

فنادى عمرو الثانية وجعل يوبخ المسلمين ويقول : أين جنتكم التى تزعمون أن من قتل منكم يدخلها ؟ فلم يجبه أحد وقام على فقال أنا له يا رسول الله .

فقال له النبى صلى الله عليه وسلم اجلس انه عمر بن ود . فنادى عمرو الثالثة . فلم يجبه أحد فقام على فقال أنا له يا رسول الله فقال رسول الله انه عمرو بن ود . فقال على : وان كان عمرا ! فأذن النبى صلى الله عليه وسلم لعلى في مبارزته . فلما رآه عمرو قال له من أنت ؟ قال على . فقال عمرو : ابن أبى طالب ! قال : نعم فقال عمرو : غيرك يا ابن أخى من أعمامك من هو أشد منك وأنى أكره أن أريق دمك . فقال على : وأنا والله ما أكره أن أهريق دمك . فلما سمع عمرو هذا منه غضب . وكان راكبا على فرسه وعلى واقف على قدميه فقال له على : كيف أقاتلك وأنت على فرسك ولكن انزل معى فاقتحم عمرو عن فرسه وسل سيفه كأنه شعلة نار فعقر فرسه وضرب وجهه وأتى الى على فاستقبله بدرقته فضربه عمرو فيها فقدها . وأثبت فيها السيف وأصاب رأس على فشجه فضربه على على حبل عاتقه فسقط قتيلا فكبر المسلمون فرحا بقتله ورجع على الى النبى صلى الله عليه وسلم وهو متهلل فقال له : كيف وجدت نفسك معه ؟ فقال : وجدته لو كان أهل المدينة فى جانب وأنا فى جانب لقدرت عليهم .

هذا على المسلم المخلص لرسول الله يبلغ مبلغ الأبطال ويبزهم على حداثة سنه . ولا شك أن ذلك من آثار تربية النبوة التى غذته بالايمان واليقين .

وهو بعد فاضل مطيع لله يحبه الله ورسوله . .

ففى غزوة خيبر يطول الحصار — ويشتد العدد على المسلمين فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه فبات الناس يدوكون ليلتهم كلهم يرجو أن يعطاها . فلما أصبحوا غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أين على ؟ فقيل هو يشتكي عينيه . فأرسلوا له فدعا له وتفل فى عينيه فبرأ كأن لم يكن به وجع . فأعطاه الراية وقال : انفذ على رسلك حتى يفتح الله على يديك .

وهذه منقبة لم تكن لسوى على رضى الله عنه . .

ويستمر علي فى التقدم وفى بلوغ الشأو الأعلى حتى يوليه رسول اللل القضاء . فعن على رضى الله عنه قال بعثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم الى اليمن قاضيا فقلت يا رسول الله ! ترسلنى وأنا حديث السن ولا علم لى بالقضاء فقال : ان الله يهدى قلبك ويثبت لسانك فاذا جلس بين يديك الخصمان فلا تقضين حتى تسمع من الآخر كما سمعت من الاول فانه أحرى أن يتبين لك القضاء . فقال فما زلت قاضيا وما شككت فى قضاء بعد هذا .

وبعد : فبهذا وكثير غيره ربى رسول الله عليا حتى بلغ الدرجة التى يحسده

عليها كل أحد . وحتى صار الخليفة الرابع لرسول الله صلى الله عليه وسلم . . هكذا كانت التربية تشجيع وترغيب وزرع للثقة بالنفس وتمكين للايمان وتعويد على الكر والفر ، وترشيح للزعامة والرئاسة . . .

معاذ بن جبل

من أولئك الشباب الذين حظوا بتربية النبوة صحب رسول الله فى شبابه ، فارتوى من معين النبوة ، وعلمه رسول الله الحكمة والعلم حتى بلغ الذروة فى ذلك . .

وقد بدأه باللطف واللين والترغيب . فآساه وقربه الى نفسه حتى اختلط حب رسول الله بقلبه ودمه ومن المعاملة النبيلة التى كان يعامل بها رسول الله الشباب ما نقله معاذ ، قال : (أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما بيدى ثم قال : يا معاذ والله أنى أحبك ، فقال له معاذ : بأبى أنت وأمى يا رسول الله وأنا والله أحبك فقال : (أوصيك يا معاذ : لا تدعن فى دبر كل صلاة أن تقول اللهم اعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك) .

بهذه الكلمات اللطيفة والمقدمة البارعة استطاع رسول الله أن يفتح قلب معاذ ، وأن يجعله يتقبل ما سيعلمه اياه . . فأين هذا من معلمى وقتنا اليوم ترى هل يعون مثل هذا الاسلوب التربوى الذى يوصل المعلومات برغبة وحب ، وتسلم ، وتطبيق فعلى لا ينتهى بمجرد نهاية الدرس أو اداء الامتحان . . اننا بحاجة الى مثل هذه الطرق التربوية التى تبنى العقول ، وتكون الرجال . . ولنا فى رسول الله أسوة حسنة . .

ويستمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تربيته المثلى لمعاذ فيباسطه ويناقشه ، دخل عليه معاذ مرة فقال : (كيف أصبحت يا معاذ ، قال : أصبحت مؤمنا بالله تعالى ، قال : ان لكل قول مصداقا ولكل حق حقيقة فما مصداق ما تقول ؟ قال : يا نبى الله ما أصبحت صباحا قط الا ظننت انى لا أمس ، وما امسيت مساء قط الا ظننت أنى لا أصبح ، خطوات خطوة الا ظننت أنى لا أتبعها أخرى ، وكأنى أنظر الى كل أمة جاثية تدعى الى كتابها ، معها نبيها ، وأوثانها التى كانت تعبد من دون الله وكأنى أنظر الى عقوبة أهل النار ، وثواب أهل الجنة قال : عرفت فالزم) .

ويكثر شغف معاذ بالعلم ، وانتهاز الفرص للاستفادة من رسول الله . . فيقول عن نفسه : تصديت لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يطوف ، فقلت يا رسول الله . . أرنا شر الناس فقال سلوا عن الخير ولا تسألوا عن الشر شرار الناس شرار العلماء فى الناس .

ويبلغ معاذ فى العلم مبلغا يؤهله لتولى القضاء والفصل فى الأمور ، فيرشحه

رسول الله لذلك وعمره عشرون عاما فيحضره رسول الله ويخبره بما عزم عليه من أنه سيبعثه قاضيا لليمن ويقول له (بم تقضى ان عرض له قضاء ، قال معاذ قلت أقضى بما فى كتاب الله ، قال فان لم يكن فى كتاب الله قلت أقضى بما قضى به رسول الله قال : فان لم يكن فيما قضى به رسول الله قال : قلت أجتهد رأيى ولا آلو قال : فضرب صدرى وقال : الحمد لله الذى وفق رسول الله لما يرضى الله .)

ثم كتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى أهل اليمن كتابا بشأن معاذ .. وقــــال فيـــــه :

(انى قد بعثت عليكم من خير أهلى فى علمهم ودينهم) لقد أوجد فى نفس معاذ الثقة ودفعه وشجعه ليعمل فكره ورأيه ويحكم عقله ، ويبت فى الامور .. ونعمت التربية والتوجيـــــه .

استعد معاذ للسفر وتجهز وجاء الى رسول الله ليودعه وليلتمس منه النصيحة الاخيرة التى تساعده فى مهمته الكبيرة ، فقام اليه رسول الله ، وأمره أن يبقى راكبا ، فسار راكبا ورسول الله يمشى الى جانبه يوصيه فقال : يا معاذ (أوصيك وصية الاخ الشقيق أوصيك بتقوى الله ، وعد المريض ، واسرع فى حوائج الأرامل والضعفاء ، وجالس الفقراء والمساكين واتصف من نفسك وقل الحق ولا تأخذك فى الله لومة لائم) .

تواضع من رسول الله صلى الله عليه وسلم يمش ومعاذ راكب والناس ينظرون اليه يريد بذلك أن يعلم الناس حسن الخلق وسياسة الحاكم ، وتشجيع الوالى واشعاره بقيمة نفسه ، ثم هو بعد يوصيه وصية تنفعه فى عمله فهى دستور واضح لمعاملة الناس وانصافهم وتفقد شئونهم . .

وهذا الشاب القاضى بلغ من علمه ان قال فيه رسول الله (اعلم امتى بالحلال والحرام معاذ . .) وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم واستمر معاذ يفيد من علمه الذى علمه رسول الله ، وحينما خرج الى الشام قال عمر : لقد أخل خروجه بالمدينة وأهلها فى الفقه وما كان يفتيهم به . ولقد كنت كلمت أبا بكر أن يجلسه لحاجة الناس اليه فأبى على وقال : رجل أراد جهادا يريد الشهادة فلا أجلسه فقلت : والله ان الرجل ليرزق الشهادة وهو على فراشه وفى بيته .

وخطب عمر بالجابية فقال من كان يريد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل .

وعن أبى مسلم الخولانى قال دخلت مسجد حمص فاذا فيه نحو من ثلاثين كهلا من أصحاب النبى (ص) واذا فيهم شاب أكحل العينين براق الثنايا لا يتكلم ، فاذا امترى القوم فى شىء أقبلوا عليه فسألوه فقلت لجليس لى من هذا . قال معـــاذ ابن جبل فوقع فى نفسى حبه فكنت معهم حتى ترفقوا .

هكذا أثمرت التربية النبوية ، وأينعت على حداثة الغرس ، وآتت ثمرها ايمانا وعلما وخلقا وقضاء وقيادة . .

اسامة بن زيد

اسامة بن زيد مولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكان أبوه كذلك عاشا فى بيت رسول الله وفى خدمته ، فربوا فى بيت النبوة يسمعون الوحى ويعون ايضاح رسول الله صلى الله عليه وسلم له ولم يمنعهما كونهما من الموالى من بلوغ المنزلة السامية التى يحسدهما عليها غيرهما . .

أدرك رسول الله استعداد اسامة للقيادة فأراد أن يجربه ويعطيه الفرصة .. فعن الحضرمى قال : بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أسامة بن زيد على جيش وكان ذلك من أول ما جرب اسامة فى قتال وعمره نحو من ثمانى عشرة سنة ، فلقى فقاتل فذكر منه بأس قال أسامة فأتيت النبى صلى الله عليه وسلم وقد أتاه البشير بالفتح فاذا هو متهلل وجهه فادنانى منه ثم قال : حدثنى فجعلت أحدثه فقلت فلما انهزم القوم أدركت رجلا وأهويت اليه بالرمح فقال الرجل (لا اله الا الله) فطعنته فقتلته .

فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال : ويحك يا أسامة فكيف لك بلا اله الا الله فلم يزل يرددها على حتى وددت انى انسخلت من كل عمل عملته ، واستقبلت الاسلام من جديد فلا والله لا أقاتل أحد قال : لا اله الا الله بعد ما سمعت من رسول الله . .) .

أيها الأخوة فى هذه المقابلة تلاحظون لونين من ضروب التربية . فقد لان له رسول الله ورغبه حتى ادناه وسر لقربه واستمع لحديثه بشغف وشوق . .

ثم بسرعة تغير الوجه المبتسم المتهلل الى تجهم ، واصرار لأن ذلك الشاب قد أخطأ .. وعمل عملا لا يجوز فى مبدء الاسلام فنحن أمة ندعو الى قول (لا اله الا الله والعمل بها) .. فاذا امتن الناس من ذلك دعوناهم وقاتلناهم واذا قالوها عن صدق وايمان صاروا أخواننا لهم ما لنا وعليهم ما علينا . .

وهكذا تربية رسول الله لين فى غير ضعف وشدة فى غير عنف ، وقسوة وقت القسوة . .

فقسا ليزدجروا ومن يك حازما فليقس أحيانا على من يرحم .. وأما منزلة اسامة لدى رسول الله فانها قريبة وذات قدر ومكانة فعن عائشة رضى الله عنها أن قريشا أهمهم شأن المرأة التى سرقت ، فقالوا من يكلم فيها رسول الله فقالوا : ومن يجترى عليه الا اسامة بن زيد حيث رسول الله فكلمه اسامة فقال رسول

الله صلى الله عليه وسلم يا اسامة لم تشفع فى حد من حدود الله ثم قام النبى (ص) فخطب فقال : انما أهلك من كان قبلكم انهم اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد وايم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها ..

وهذه تربية قاسية لاسامة فقد ظن بطبيعة البشرية أن قربه من قبل رسول الله سيمكنه من الشفاعة لهذه المراة . ولكن رسول الله لا تأخذه فى الحق لومة لائم حتى لو كان على أحب الناس اليه وأقربهم منه ابنته فاطمة ..

ولكن هذه القسوة والارشاد اللذين يعامل بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم اسامة لم ينزعا الثقة عنه بل هو تربية وتعويد على الحق .. فقد بقيت هذه الثقة حتى بعد وفاته صلى الله عليه وسلم حيث عقد له لواء لغزو الروم .. وخرج اسامة بجيشه خارج المدينة وبقى للتجهيز والاستعداد وتلاحق بقية الجند .. وفى هذه الاثناء بلغهم نعى رسول الله فبقى الى أن بويع الخليفة رسول الله أبو بكر .. فكلم فى بعث اسامة .. وفيه شيوخ الصحابة سنا وعلما ، وحنكة وقيادة .. فقال : والله لا أحل لواء عقده رسول الله .. وسير اسامة وفى الجيش صناديد الصحابة يطيعون هذا الشاب ويأتمرون بأمره ويجلونه .. وسار الجيش وانتصر وعاد للمدينة. ويؤكد أن رسول الله يعرف استعداد اسامة وصلاحيته للقيادة .

ولعل رسول الله قصد من ذلك تعليم أمته السمع والطاعة لولاة أمورهم وعدم مخالفتهم ولو كان فى المرؤسين من هم خير منهم وأكثر علما ومعرفة .. حتى ولو كان الوالى مولى وكان الرعية سادة . .وكلما كان التعليم عملا كان أوقع وأكثر ثباتا..

كاتب ومترجم

زيد بن ثابت الانصارى بدت عليه علامات الذكاء والنبوغ منذ حداثة سنه .. وقد كان من حسن حظه أن صحب (مصعب بن عمير) الذى بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبيل الهجرة ليعلم أهل المدينة القرآن ، وأصول الدين . وكان زيد من بينهم وعمره ست سنين واكتشف مصعب ذكاء فى هذا الغلام وقوة حافظه .

ولما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة كان زيد من أول من عرفهم رسول الله من شباب أهل المدينة فقد روى عنه انه قال : (أتى بى الى النبى صلى الله عليه وسلم عند مقدمه المدينة فقيل له : هذا فتى من بنى النجار وقد قرأ سبع عشرة سورة فقرأت عليه فأعجبه ذلك ، فقال : تعلم كتاب يهود ، فانى ما أمنهم على كتابى ، ففعلت فما مضى لى نصف شهر حتى حذقته فكنت أكتب له اليهم . واذا كتبوا اليه قرأت له . .) .

اكتشف رسول الله صلى الله عليه وسلم بفكره النير استعداد زيد للحفظ والادراك فوكل اليه هذه المهمة الصعبة ، التى يحتاجها رسول الله ويكتفى بها شر

أعدائه وكانت فرصة نادرة لزيد اذ مكنته من القرب من رسول الله فكان دائما عنده يكتب له بالعبرانية ، وباللغة العربية .

ويتأدب منه بما يسمع ويرى حتى بلغ النهاية فى العلم والفقه ، وخاصة فى الفرائض والحساب حتى قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم (افرضكم زيد). وكان من كتاب الوحى ، ومن المفتين ، وكان يعظمه الصحابة فقد حدث أن زيدا ذهب ليركب فقام ابن عباس وامسك بالركاب فقال له تنح يا ابن عم رسول الله فقال له : لا . هكذا نفعل بالعلماء والكبار . .

وفى عهد أبى بكر رضى الله عنه عهد اليه بجمع القرآن وقال له (انك شاب عاقل لا نتهمك) . وكان عمر يستخلفه على المدينة اذا غاب . .

بهذه التربية النبوية بلغ زيد ما بلغ ولا غرو فى ذلك فان ذلك المجتمع كان كما ترون، تسابق الى الفضل ، وحرص على العلم فى تعاون واحترام متبادل ، وعرفان بالجميل ولنا فيهم القدوة والسير على طريقتهم حتى يكون مجتمعنا مثاليا .

شباب اليـــوم

أيها الأخوة الشباب ـــ لقد رأيتم نماذج من الشباب وغيرهم كثير لا يسمح المجال بايراد حياتهم الحافلة وعظايم الأعمال . ويهمنا أن نخرج بنتيجة تنفعنا في حياتنا وهي المقارنة بين أولئك وبين حالنا اليـــوم .

أيها الشباب ان هؤلاء الشباب ، آمنوا عن صدق واقتناع فأخلصوا لعقيدتهم ، وتحملوا في سبيلها كل أذى وعنت . فقد هجروا أهلهم وأولادهم ، ومرابع صباهم ، والمواضع التي درجوا عليها والفوا ترابها . تحملوا الجوع ، والضنك ، والحصار ، حتى باتوا يأكلون ورق الشجر . وبوسع أى واحد منهم أن يسير بضع خطوات ليتمتع بالأكل اللذيذ ، والشراب البارد ، والراحة الهادئة . ولكن اثروا البقاء مع محمد . . وضحوا بكل غالى ونفيس في سبيل عقيدتهم وصبروا ولم يتحول أحـــد منهم عن هذا الدين الذى جاء به محمد رغم التعذيب والتنكيل . الى أن اذن الله لهم بالخروج فخرجوا الى بلاد غير بلادهم وأناس لم يألفوا طباعهم ولا أشكالهم ، ولا يعرفون لغتهم فعاشوا معهم . . وبقوا بعيدين عن أهلهم وبلادهم يلتذون لهـــذا التعب ، ويتقربون الى الله بما يلاقون من جهد وعناء . ولما أذن الله لنبيه أن يترك مهبط الوحي الى مكان مهاجره .. ليخرج هذا الدين عن الحدود الضيقة تنفس المسلمون الصعداء . واخذوا يتفقهون في دينهم ويدعون له في كل مكان . يجاهدون ، ويقاتلون ان لزم القتال ، ويسافرون ويركبون البحر ويتسلقون الحواجز حتى انتشر الاسلام ولم يبق داخل حدود معينه بل صار دين البشرية كلها وكل ذلك بفضل الله وارادته ثم بجهاد وتصميم رسول الله وأولئك النفر معه من أصحابه ومع ذلـــك فقد كانوا في غاية من الأدب والاحترام لرسول الله ، وفي قمة المعاملة الحسنة لبعضهم

حتى بغوا مجتمعا مثاليا يؤثر فيه الرجل أخاه المسلم على نفسه ويقدمه على أهله وأولاده .. ويعرض عليه أن ينزل له عن نصف ماله وأحد زوجاته ويصف الله عز وجل هذه المعاني الكريمة بقوله (للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضل من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون .. (والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون . والذين صابروا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولأخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا انك رؤوف رحيم » .. (١)

ويصف حياتهم الاجتماعية بقولـــه :

(محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعـــا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا . سيماهم في وجوههم من أثر السجود ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كزرع اخرج شطأه فأزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما . . (٢) .

واليوم .. ان شبابنا ولله الحمد ــ لا ينقصهم الفهم ، ولا ينقصهم الذكاء ، ولا الاستعداد للتحصيل والادراك .. فكل الوسائل مبذولة وميسرة ، ولا عذر لأحـــد في العمل والاجتهاد وادراك المطلوب بل لا نكون مبالغين اذا قلنا انه توافر في هذا الزمن من وسائل العلم والاطلاع ما لم يكن ممكنا قبل . فالمكتبات ملأت الدنيا ، ووسائل الاعلام موجودة ، والمدارس والمعاهد والجامعات في متناول كل فرد ..

اذا ما الذى ينقص شبابنا . ان الذى ينقصهم هو الثقة ! : الثقة بأنفسهم اولا وانهم رجال مثل أولئك الرجال . . .

وثانيا الثقة في مبدئهم وأمتهم .. عند ذلك يستطيعون أن يعيدوا عصر أولئك الشباب وان من أعجب الأمور أن يكون لدى الانسان كنزا لا يدركه هو ، ولا يعرف قيمته . ان لدى شبابنا هذا الدين القيم الذى يبحث عنه العالم أجمع ان قادة العلم اليوم ومفكريهم قد اقتنعوا بأن الدين الاسلامي الذى جاء به محمد هو المنقذ الوحيد لهم من هذه المبادىء الهدامة والمدنية الزائفة والحيرة المتأصلة فلقد قال (برناردشو) الفيلسوف الانكليزى : (ان العالم بحاجة الى رجل مثل محمد يحل مشاكله وهـــو يحتس فنجانا من القهوة . نعم ان محمدا جاء هاديا للبشرية ومنقذا لها من ورطتها ومناديا الى الحق ومخرجها من الظلمات الى النور .

---

(١) ٨ ، ٩ ، ١٠ الحشر .

(٢) ٢١ الفتح .

وقال (بورت سمث) انه سيأتي اليوم الذى يعترف فيه كبار القوم وزعماء النصرانية العتيقة بأن محمدا بنى هذا البشر وان ما جاء به حق .

أيها الأخوة هؤلاء هم زعماء العالم من غير المسلمين وفلاسفته يثبتون بأن الدين الاسلامي هو أملهم الوحيد ولا غرو في ذلك فالدين الاسلامي هو الذى نزل من رب البشر الذى يعلم طباع البشر ونوازعهم وأهواءهم ورغباتهم ويعلم الومن وما يلد من جديد انه مبدأ ثابت لا يتغير ولا يهتز ولا تؤثر على نظامه العوامل ولا الرغبات ولا القوات ولا كثرة الانصار ، فهو صالح لكل البشرية يضمن المصالح ويرضى جميع الطبقات ويشبع كل الرغبات . .

اذا فشبابنا مدعوون لنشر الدين الاسلامي وابلاغه للعالم كل بحسبه وعلى قدر طاقته بالطريقة التى يفهمها العالم ، وسوف يتقبله العالم بايمان واقتناع .. وهذه مهمة تتحملها عقول الشباب وأجسامهم وليس لهم من عذر .. ما دام معهم الدواء والعلم كله يطلب العلاج ونحن على ثقة تامة بأن شبابنا سيحملون الرسالة ويؤدون الامانة وما ذلك على الله بعزيز .

المراجع

١ ــ كتاب اللـــه

٢ ــ سنة رسول اللــه

٣ ــ ابـن كـثير

٤ ــ ابـن هشـام

٥ ــ القاموس المحيط

٦ ــ محاضرات في الدين والتاريخ الاجتماعي

عبد الغني الدقر

٧ ــ شباب قريش في بدء الاسلام

عبد المتعال الصعيدي



جوانب من ذاتية المتنبي في شعره

بقلم الاستاذ : حمد القاضي

* « الشاعر » الحق هو ذلك الذي يغمس يراعته في عصارة « معاناته » فيجعل منها مدادا لكل ما تجود به نفسه .. « الشاعر » الصادق هو ذلك الذى يجعل من تجاربه الريشة التي يرسم بها قصيدة وما خلد اثر لشاعر .. أو بقي مخاض لمفكر ما لم يكن ذلك الأثر .. وذلك المخاض نابعا من أعماق مبدعة . .

ان قيمة « الأثر الأدبي » تكمن في صدقه .. ولن يكن صادقا ما لم يكن ذوبان تجربة .. ونتاج انصهار .. يقول الشاعر الكبير الياس أبو شبكة في تصوير بديع لهذه « الفكرة » التي أتحدث عنها :

أجـــرح القلـــب واســـق شـــعرك منـــه
فـــدم القلـــب خمـــرة الأقـــلام . .
واذا أنـــت لـــم تعـــذب وتغمـــس
قلمـــا فـــي قـــرارة الآلام
فقـــوافيـــك زخـــرف وبـــريـــق
كعظـــام فـــي مدفـــن مـــن رخـــام . .

وهكذا نرى الشاعر يبقى اسمه محفورا على جدار الزمن اذا صدق مع نفسه وتجاوب مع عواطفه .. ثم عبر — بالتالي — عما يعتلج داخل ذاته .. وما يعيش بين جوانح نفسه .. ومن هنا يحق لي أن أقول : ان « أبا الطيب المتنبي » ما كـان له ليدثر بوشاح الخلود .. لو لم يكن قد وضع رماد نفسه على الورق .. ولو لم يكن صور نفسه كما يشاء .. لا كما تشاء له الأيام .

ان شخصية « المتنبي » شخصية فريدة من نوعها .. انها « شخصية » كمنت في أعماقها — منذ الطفولة — دوافع الطموح . ونوازع الغرور .. لقد نمت هـذه الدوافع وتلك النوازع مع نمو جسمه وعقله .. فها هو ينادى في صباه : —

أى محـــل أرتقـــي
أى عظيـــم اتقـــي ؟ .
محتقـــر فـــي
كشعـــرة فـــي مفرقـــي

وليس هذا وحسب .. بل ان « جنون غروره » ـ كما يطلق عليه الباحثون ـ قد وصل بـه الـى : ـ

يحاذرنـي حتفـي وانـي حتفـه | وتنكزنـي الأفعـى فيقتلها سمي ..

* وإذا أمعنا البحث عن الأسرار الكامنة وراء ذلك الاسراف الشديد في تقديس نفسه واعتزازه بها .. نجد لذلك .. أسبابا كثيرة .. ولكن أقربها أسباب نفسية .. وكل قارئ لديوان المتنبي سيخرج بعلامات استفهام كثيرة .. عن سر غروره .. ولقد تضاربت آراء الباحثين في ذلك .. فنجد الدكتور « طه حسين » .. يركز على أن أهم سبب في ذلك انما هو وضاعة نسبه التي تتمثل في ضعة نسب أبيه .. ونجد آخرين يرجعون ذلك الى دوافع فطرية غريزية نحو الطموح وحب الأنـا . بينما نجد الاستاذ « انعام الجندى » في كتابه « دراسات في الأدب العربي » ـ ط ٢ ـ يرجع ذلك الى « انظلم » الذى ساد عصره .. وهذا من شأنه ـ كما يقول انعام ـ أن يجعل العظيم يحس في « غربة » عن عصره ومجتمعه فيأمل فـي هذه الغربة حلا ينقذها به من الظلم الضارب أطنابه .. فيعمل على الدعاية لنفسه لأنه لا يجد أحدا أقدر منه في تلك المهمة .. ولعل الناس ـ عن طريق هذا ـ يستجيبون له .. وينضوون تحت لوائه .. فيقودهم الى الاخلاص ..

والحقيقة أن كل هذه الأسباب تصلح مجتمعه .. لأن تكون « السر » وراء غرور المتنبي .. وهيامه بالبطولة .. وتعلقه بالقوة .. ثم انني أرى أن الانسان .. عندما يرى نفسه مغموط الحق ـ وهو أهل لكل حق ـ تتحرك في ذاته دوافع التعظيم لها .. والحسد لغيرها :

وفـؤادى مـن الملـوك وان كـا | ن لسـاني يـرى مـن الشعراء ..

ولعل هذا يتضح أكثر .. عندما ينقلب غروره وتعظيمه لنفسه الى « أمنيات بيضاء » يطمح الى أن يحققها في المستقبل القريب :

ميعـاد كـل رقيق الشفرتين غـدا | ومن‌عصى من‌ملوك العرب والعجم..

وان « التفكير » في مثل هذه الأمور .. ثم الاخفاق في تحقيقها لكفيل أن يفجر منابع الأسى في قلبه .. ويجرى جداول الألم في ذاته .. ومن هنا وعندما تالم المتنبي استطاع أن يبدع قطعا « ارجوانية » خالدة من شعره من مثل قصيدته التي قالها عندما قدم على « كافور » والتي تعتبر من أروع القصائد الشجية في شعرنا العربي :

كفـى بـك داء أن ترى الموت شافيا | وحسب المنايا أن يكـن أمانيـا
حببتك قلبي قبل حبـك مـن نأى | وقد كان غدارا فكن أنت وافيـا
واعلم أن البين يشكيـك بعـده | فلست فـؤادى أن رأيتك شاكيـا

فان دمـــوع العيـــن غـــدر بربهـــا اذا كـــن أثر الراحلين جواريـــــا
أقـــل اشتياقا ـــ أيها القلب ـــ ربمـــا رأيتك تصفي الود من ليس صافيـــا

لقد استطاع المتنبي ـــ عندما بدأ يصور خوالج الألم في ذاته .. وارتعاشات الأسى في نفسه .. أن يلج ـــ بدون اذن ـــ الى مسارب القلوب ـــ ..

وأضحى شعره على كل الألسنة .. وصار « الناس » عندما تثقل عليهم الحياة بأوصابها .. وتترعهم بآلامها يعزفون معه على حطام قيثارته :

رمانـــي الدهـــــر بالارزاء حـــــتى فــؤادي في غشاء مــــــن نبـــــال
فصـــرت اذا أصابتنـــي سهـــــام تكســـرت النصـــال على النصـــــال

أو يعزفون معه هذا « الالحاح » الوجداني :

كيف الرجاء مـــن الخطوب تخلصـــا مـــن بعد ما أنشبن فـــي مخالبا ؟..
أوجدتني ووجـــدن حزنـــا واحـــدا متناهيـــا فجعلنـــه لي صاحبـــا ..؟
ونصبتني غرض الرمـــاة تصيبنـــي محن أحـــد من السيـــوف مضاربـــا
أظمتني الدنيـــــا فلمـــا جئتهـــــا مستسقيا مطـــرت علـــي مصائبـــا

* * وهكذا عندما نستقرىء غناء هذا « الشاعر » نرمق فيه نغمة الغرور المشبوبة .. ونتقرى فيه آمال الطموح التي توشك أن تكون في أغلب شعره أوصابا جلبها عليه زمانـــــــه . .

ان المتنبي استطاع أن يرينا نفسه من خلال ثقوب واسعة آنـــــا . . وضيقة أحيانـــــــا . .

* * وهنا استعرض مصاب شعره .. وأغراضه التي جالت فيها خيول ابداعه .. لأبرز بصمات ذاتيته العنيفة على كل شعره :

ولعل منطقية الأشياء تفرض علي أن أعرج ـــ قبل كل شيء ـــ على غرض « الفخر » عند المتنبي .. ذلك انه هو عنوان الذاتية عند كل شاعر فكيف بالمتنبي ..؟

ان نظرات سريعة الى فخر هذا « الشاعر » العملاق .. تكشف لنا « الأصداء »

الصاخبة .. التي كانت تعج داخل نفسيته .. فيعلنها بقصائد شعرية يعبر بهـــا عن آماله ومطامحه . .

لتعلـــم مصـــر ومـــن بالعـــــراق ومـــن بالشـــــام بأنـــي الفـــــتي
وانـــي وفيـــت وانـــــي أبيـــت وانـــي عتوت على مـــن عـــــتى ..

* * *

الخيـل والليل والبيداء تعرفـني والسيف والرمح والقرطاس والقلم
.. الـخ ..

لكن هناك شيئا جديرا بالاشارة في هذه الذاتية التي نجدها بين تضاعيف فخره .. انها بوح نفسه .. وصدى صدقه .. انه يرسل « الفخر » في شعره كما توحى اليه نوازعه الغريزية .. وكما تملي عليه دوافع غروره التي التصقت بـه التصاق أديمه .. ومن هنا طرز من شعره « عذارى بيان » :

فدع كـل صوت غير صوتي فانـني أنا الطائـر المحلـى والآخر الصدى
وما الدهـر الا من رواة قصائـدى اذا قلتشعراأصبح الدهر منشدا..!

الا ــ وهذه الـ « الا » لا بد منها هنا ــ اننا نلاحظ ان هذا الاسراف في « تعظيم ذاته » قد أوقعه بمزالق تنافي الذوق .. وتأباها القيم .. لقد أدى به الى «مبالغات» .. ان كان له الحق أن نعذره في بعضها ــ كشاعر ــ الا اننا سنعزله ــ بالضرورة ــ عندما تنفث نفسه أشياء تنافي المعتقد والعرف وتصل الـى درجـة « الهوس » .. فانه ان كان للشاعر أن يصيخ الى نفسه فليسجل ما اختلسه من همسها دونما تحويل أو تحوير .. فانه عندما يصل به الى مثل :

أنـا فـي آيـة تداركهـا اللـه غريـب كصالـح فـي ثمـود
ما مقامـي بأرض نخلـة الا كمقـام المسيح بيـن اليهـود

فانه يتحتم علينا أن نرفضه ولا نقبله ..

وبعد هذه الومضة في فخر المتنبي .. لا بد من تعريجة على المصب الأكثر والأهم .. ألا وهو « غرض المدح » عند هذا الشاعر .. لنتقرى فيه ذاتيته وغروره.. أول شيء يلحظه الباحث في مدح هذا الشاعر أنه ــ بوحي من اعتزازه بنفسه ــ حاول جهده ألا يطرى الا من هم نماذج « انسانية » شجاعة .. ورجال يحبون البطولة ويكبرون النضال .. ثم شيء آخر نلحظه على مديح المتنبي .. ذلك أنه يتكىء في « مديحه » على معاني الاقدام والقوة والتضحية .. فيبدع في هذه المناحي .. وخاصة عندما يجد أن هذه المعاني متمثلة في ممدوحه .. كما سيف الدولة الذى أعجب به المتنبي .. أو بعبارة أخرى لقد تجاوبت أعمال سيف الدولة البطولية مع نوازع حـب السيطرة والسيادة عنده فكان أن رأى من سيف الدولة « أعمالا » أعجبته فكأنـه يفعلها بنفسه .. ومن هنا حلق « المتنبي » في وصف المعاني البطولية .. والمعارك النضالية .. وخاصة عندما يأتي الى وصف موقد شرارتها « سيف الدولة » :

وقفت وما فـي المـوت شك لواقف كأنـك في جفن الردى وهو نائـم
تمر بـك الأبطـال كلمـى هزيمـة ووجهك وضـاح وثغـرك باسـم

ان حب « المتنبي » للبطولة وهيامه بالقوة .. جعلاه يتكىء عليها في مديحه

كثيرا وليس بغريب عليه هذا! .. فهذه الأشياء هي التي تتجاوب مع عواطفه . . وتتلاقى مع خوالج نفسه .. ولعله لم يجد في شعره مثلما أجاد في قصائده المشهورة « السيفيات » فهذه القصائد ــ التي يعتبرها الباحثون أروع شعره حلق فيها المتنبي في أجواء فسيحة من الابداع الفني الرائع . .

هنالك « حقيقة » صغيرة ولكنها هامة هنا .. وهي : ما هي دوافع المديح عند هذا الشاعر ؟ ... الشيء الذى لا يقبل نقاشا أو جدلا أن دوافع المديح عنده انما هي دوافع ذاتية صرفة ذلك انه أمل من مديحه الى أن يصل الى « الامنيات » التي ينشدها عند المدوحين عندما يذكرهم في شعره .. ليس هدفه من ذلك «دريهمات» يسد بها رمقه .. وانما الولاية والسؤدد :

ولا تحسبن المجـد زقــا وقينــه   فمــا المجد الا السيف والطعنة البكر
وتركـك في الدنيــا دويــا كأنمــا   تداول سمع المرء أنملـــة العشر

قد يعترض معترض هنا فيقول منكرا : ان المتنبي مدح « كافورا » مع ان هذا الـ « كافور » ليس من النماذج البطولية التي ترضي غرور المتنبي كما يرى هو ذلك ــ وهنا نرد كلام هذا المعترض بأن المتنبي لا يرى كافورا احد النماذج البطولية .. ولكنه مدحه انصياعا نحو دوافعه ــ فقد كان يطلب « الولاية » قبل وبعد كافور :

ابا المسك هل في الكأس فضل انا له   فانــي أغنــي منــا حين ونشــرب
اذا لــم تنط بــي ضيعة او ولايـــة   فجودك يكسونـــي وشغلك يسلــب

وبقي نقطة لا بد من أن أشير اليها وأنا أتحدث عن ذاتية المتنبي في مديحه . . وهي : انه ما مدح انسانا صغيرا او كبيرا الا واعطى لذاته مثلما أعطى ممدوحه من الأوصاف والألقاب .. وهنا نلحظه يخاطب سيف الدولة :

لــك الحمد في الدر الذى لي لفظــه   فانــــك معطيــه وانـــي ناظـــم

ويقـــــول :

ازل حسد الحساد عني بكبتهـــم   فأنت الذى صورتهم لي حســـدا
أجزنـــي اذا انشدت شعرا فانمــا   بشعرى أتـــاك المادحـــون مـــرددا

وانه لتأتيه « لحظات » ينغمس فيها في الذاتية فيطغى بنفسه على ممدوحه .. وكأنه يمدح ذاته لا أحدا امامه .. وذلك في مثل قصيدته التي مطلعها :

لكــل امرىء من دهــره ما تعــودا   وعادة سيف الدولة الطعن في العدا

فانه في ثلثها الاخير نسي « سيف الدولة » وبدأ يمدح نفسه .. ويأمر ممدوحه كأنه غلام يشير عليه فيستجيب :

ودع كل صوت غير صوتي فانـــني أنا الطائـــر المحكى والآخر الصـــدى

* بعد هذين الغرضين لا بد من تعريج على « مصب » آخر من مصاب هذا الشاعر العملاق « المتنبي » لنتحسس فيه بصمات ذاتيته أو أنانيته بأسلوب آخر .. هذا المصب الذى أشير اليه هو مصب « الحكمة » عنده .. والحكمة عند المتنبي انما هي نتاج عقل وعطاء تجربة .. لها تأثير على النفس ووقع على القلب .. فيها رصانة عبارة ورجاحة عقل .. فأبدعها مقطوعات رائعة في الحياة والموت .. والألم والأوصاب .

ولكن لطغيان ذاتيته هنا أثرا رائعا وبصمات حسنة .. فهو ما كان له أن يبدع شعره « الحكمي » الذى يتردد على كل لسان لو لم يكن تجاوب فيه مع عواطفه فصدق فيه مع مشاعره وبسط نفسه بآلامها وأحزانها وأثقالها .. فها هو يقـــول في تصوير حزين رائـــــع :

أهم بشيء والليالـــي كأنهــــا تطاردنـــي عـــن كونـــه وأطـــارده

ان حكمة أبي الطيب نبض أحزانه .. وصدى نفسه .. انه استقاها من كوامن الطموح الكامنة في قلبه .. والتي قتلها في مهدها سوء طالعه .. ومن هنا أحس فتألم فأبـــدع :

على قـــدر أهل العزم تأتي العزائم وتأتي على قدر الكـــرام المكـــارم
لا يسلم الشرف الرفيع مـــن الأذى حتى يراق علـــى جوانبـــه الـــدم

لكن هنالك شيئا هاما وجديرا بالتنويه عنه هنا هو : أن لجانب الأصدقاء والأعداء في حياته .. أثر كبير على شعره الحكمي .. فهو — كما يرى — بلى الناس حتى مجهم .. ولكنها « ظروف » الحياة فرضت عليه مجاورتهم ...

ومن نكد الدنيا على الحر أن يـــرى عـــدوا لـــه ما من صداقته بـــد

وهو عندما يتحدث عن حساده يذيب حشاشات القلوب بكلماته الشجية النابعة من أعماقه .. فيجعل الانسان أى انسان يعطف عليه ويشفق من حيث يدرى أو لا يـــدرى :

ماذا لقيـــت مـــن الدنيـــا وأعجبـــه أني بما أنا شك منـــه محســـود ؟
وما كمـــد الحساد شيئا قصدتـــه ولكنـــه مـــن يزحم البحر يغـــرق ..

وويل « المتنبي » من الدهر وأهله .. فهو ليس من أهل النعماء فيحسد .. أو من أصحاب الثراء فيرمق .. :

فلو أني حسدت علـــي نفيســـ لجدت بـــه لـــذى الجظ العثـــور
ولكنـــي حسدت علـــى حياتـــي ومـــا خيـــر الحيـــاة بلا ســـرور

وبعد هذه الكلمات عن شعره الحكمي الذى انطبق عليه قوله « اذا قلت شعرا أصبح الدهر منشدا » آتي الى شعره الوصفي وأثر ذاتيته بين جوانبه .. ان شعر الوصف قد لعبت به ذاتيته دورا واسعا وكبيرا .. أجل أنه عن طريق ذاتيته في وصفه استطاع أن يصل الى ما لم يصله الأوائل .. فلقد استطاع بأبداع منقطع النظير أن يصف سوانح النفس الباطنة .. وخوالج الذات الداخلية وما يعتمل فيهما من دواعي الأسى وأسباب الجزل . . وها هي قصيدته التي قالها بعد منافسة عنيفة من قبل أنداد له من الشعراء .. فصور فيها خوالج نفسه وأبان عن جنون غروره وعنف كبريائه .. وها هي مختارات منها أتركها دون تعليق :

وا حر قلباه ممن قلبه شبم	ومن بجسمي وحالي عنده سقم
ما لي أكتم حبا قد برى جسدى	وتدعي حب سيف الدولة الأمم
ان كان يجمعنا حب لغرته	فليت أنا بقدر الحب نقتسم

الى أن يقول مخاطبا سيف الدولة ملمحا له أنه قد فضل عليه « أناسا » مع أنه ــ أى المتنبي ــ يفوقهم ويفضلهم فيقول في تصوير حزين :

يا أعدل الناس الا في معاملتي	فيك الخصام وأنت الخصم والحكم
أعيذها نظرات منك صادقة	أن تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع أخى الدنيا بناظره	اذا استوت عنده الأنوار والظلم
سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا	بأنني خير من تسعى به قدم ..
أنا الذى نظر الأعمى الى أدبي	وأسمعت كلماتي من به صمم

ثم يقول فيها .. وهو يعرج على هذه الدنيا وشقائها وأناسها .. فيصوغ حكما من امراس قلبه :

اذا ترحلت عن قوم وقد قدروا	الا تفارقهم فالراحلون همو
شر البلاد مكان لا صديق به	وشر ما يكسب الانسان ما يصم

.. الخ .. ومن أراد هذه القصيدة الرائعة فليرجع اليها في الديوان ص ٣٣١ .

ان « وصف المتنبي » تشخيص نفساني صادق لخوالج ذاته وخوالج البشر من حوله .. هذا فيما يتعلق في وصفه المعنوى .. واذا القينا نظرة سريعة على وصفه المادى وجدناه هو الآخر يتجاوب مع نوازعه النفسية .. ويتعاطف مع آماله المقهورة .. وآلامه الماثلة .. لقد لاحظ النقاد في قصيدته التي يصف فيها « شعب بوان » شيئا سموه : « المشاركة الوجدانية » حتى للجمادات التي لا تحس ولا تتأثر فهو يقول في هذه القصيدة مشاركا انسانه العربي غربته هنالك :

ولكن الفتى العربي فيها غريب الوجه واليد واللسان .

كذلك عندما نتطرق الى « وصفه الحربي » أو بعبارة أخرى « وصفه الملحمي » نرى فيه تلك النغمات الحزينة .. التي أملتها عليه دوافعه النفسية وحظه المنتكس

الراية .. فلمركب النقص فيه وليس لغيره ــ عشق البطولة .. وهام بالشجاعة ، كل هذا تعويضا عن « النقص » الذى احسه بين جوانبه .. وان نفسه التي هامت بكل ذلك لن تقف جامدة وهي ترى الوان النضال تطرح .. ومشاهد الاستبسال تعرض من ذلك القائد الشجاع « سيف الدولة » .. من هنا أبدع شعرا رائعا ونادرا في وصف المعارك الحربية .. ووصل الى تشبيهات وصور لم يصل اليها أحد قبله .. فكأنه يعرض أمامنا « لوحات فنية » لمعارك امامنا فيخيفك ويرهبك :

أتــوك يجــرون الحديــد كأنمــــا	ســروا بجيــاد ما لهــن قوائــــم
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه	وفي أذن الجوزاء منــه زمـــازم

بعد كل هذا نلحظ أن وصفه جزء من ذاته .. وقطعة من نفسه ..

بقي من الأغراض التي جال فيها والتي لا بد من أن أتطرق اليها لأوضح فيهـا كيف كان شعره قطعا متناثرة من نبضات قلبه .. لأكمل بهذا جوانب هذا البحث المتواضع .. هذا الغرض الذى سأتطرق اليه هو غرض « الرثاء » عنده .. والرثاء عادة ما يكون مليئا بعبارات الضعف والاستسلام .. ودموع البكاء والعويل .. ولكنه عند شاعرنا ينحو نحوا مغايرا .. ذلك انه بسبب من تجلده وتجبره حاول جهده الا يظهر في موقف الضعيف أو المستسلم حتى في مواقف الضعف والاستسلام .. ولو أخذنا قصيدة من شعره الرثائي .. لوجدناه يعمل في النهاية على الوصول الى الاعتزاز بنفسه والفخر بها .. وبيان عظمتها وصبرها وانها لا تتأثر بأية حادثة مهما عظمت .. وبأى مصاب مهما جل .. فها هو في قصيدته في « رثاء جدته » .. تلك التي أخلصت له .. وأذابت نفسها ومالها من أجله .. ووفت ونصحت له حتى أنها ــ كما يذكر الرواة ــ ماتت بسبب رسالة أرسلها اليها يخبرها بأنه سيقدم اليها عن قريب في بغداد ليتمتع برؤيتها .. فلما وصلتها الرسالة ماتت من شدة الفرح فقال فيها قصيدة رائعــــة منهـــا :

لك الله مــن مفجوعــة بحبيبهـــا	قتيلة شوق غير ملحقهـا وصمـــا
أحن الى الكأس التي شربت بهـــا	وأهوى لمثواها التراب وما ضمـــا
بكيت عليهـا خيفة فـي حياتهـــا	وذاق كلانا ثكـل صاحبــه قدمـــا
أتاها كتابي بعــد يأس وترحــــة	فماتت سرورا بي فمت بها غمـــا

ولكنه بعد هذه الدموع التي سفحها وجدا على جدته الغالية .. لا ينسى ــ بوحي من حبه لنفسه ــ لا ينسى تمدحه بنفسه وتجلده فيها هو يقول في هذه القصيدة :

وما الجمع بين الماء والنار في يـدى	لكــان أبــاك الضخم كونك لي أمـــا
ولو لم تكونـي بنت أكـرم والــد	لقــد ولــدت منــى لأنفهم رغمـــا
لئن لذ يـــوم الشامتين بفقدهـــا	وما تبتغي؟.. وما أبتغيجل أن يسمى
يقولون لي ما أنــت في كل بلــدة ؟	بأسهل من أجمع الجد والفهمـــا ؟

لكل مع كل هذا لا يعني هذا ان المتنبي « جلمود صخر » لا يحس ولا يتألم ابدا .. لكن الذى اسجله هنا أن المتنبي كان يتألم ولكن بمقدار .. ولقد رثى صديقه ابا شجاع بقصيدة كلها بكاء ونحيب وأسى ولوعة .. يقول في مطلعها :

بعد هذا آتي الى غرض الهجاء :

الحــزن يقلق والتجمــل يــــردع	والدمــع بينهمـــا عصـــى طيـــع
النـــوم بعد أبي شجـــاع نافـــر	والليل معـــي والكواكـب ظلع ..
أيـــن الذى الهرمان مـــن بنيانـــه	ما يومه .. ماقومه .. ما المصرع ؟.

و « الهجاء » عند المتنبي وبسبب من تأثير ذاتيته فيه انما هو : ثورة ناقمة على عصره وأهيل عصره ــ كما يسميهم ــ انه جذوة من جذوات قلبه .. وشرارة من شرارات نفسه .. تلك التي شبت بين أعماقه فرماها في فم الفضاء لتبقى مشتعلة على مـــدى الزمـــــن :

أذم الى هـــذا الزمـــان « أهيلـــه »	فأعلمهم فـــدم وأحزمهـــم وغـــــد

هذه نظرة أبى الطيب الى كل « أهيل عصره » .. وما هي الا نظرة التشاؤم والسوداوية .. ولكن لم نعذل أبا الطيب على هذا ؟ فقد يكون له عذره .. ذلك أنـــه قد يكون لقي منهم ما يدعوه الى ذلك .. اذ قد يكون هذا الهجاء « رد فعل لشيء مترسب في أعماق نفسه » .

هذا فيما يتعلق بهجائه الجماعي .. واذا القينا نظرة على هجائه الشخصي .. واذا هو « غضبات » مضرية يلفظها بكل حرارة .. وينفثها بكل حسرة .. ولعل « هجاءه » لكافور في قصيدته المشهورة يصور ذلك ابلغ تصوير :

عيد بأيـــة حال عـــدت يا عيـــد	بما مضـــى أم لأمر فيـــك تجديـــد
أصخـــرة انـــا لا تحركـــني	هذى المدام ولا هذى الأغاريـــد ..
اني نزلـــت بكذابين ، ضيفهـــم	عن القرى وعن الترحال محـــدود
جود الرجال من الأيدى وجودهـــم	من اللسان فلا كانوا ولا الجـــود
صار الخصـــي أمام الآبقين بهـــا	فالحر مستبعد والعبـــد معبـــود
لا تشتر العبد الا والعصا معـــه	ان العبيـــد لأنجـــاس مناكيـــد
ما كنت أحسبني احي الى زمـــن	يسيء فيه عبد وهـــو محمـــود
من علم الأسود المخصي مكرمـــة	أقومه البيض أم آباؤه الســـود
أولى اللئام « كويفير » بمعـــذرة	في كل لؤم وبعض العذر تفنيـــد

أخيرا أختتم الحديث عن أغراضه بغرض « الغزل » عنده .. والغزل قليل عند شاعرنا .. واني أرى أن ذلك يرجع الى هيامه بحبه لنفسه .. فلقد بلغ به هـــذا الى أن ينسى معاني الحب ودواعي الهيام .. ولواعج الفراق .. بل انه ليذم أولئك الذين لا هم لهم الا مناجاة المحبوب .. والحديث عن دموع الغرام :

اذا كان المـدح فالنسيب المقـــدم   أكـل فصيح قال شعرا متيـــم ..

أعود الى الحديث عن أسباب قلة شعر الغزل عنده .. فأجد المتنبي يكفيني مؤونة البحث عن ذلك .. انه يرجع ذلك الى نكبات الحياة .. تلك النكبات التـي لا تجعل في قلبه مكانا خليا لشاردة من شوارد الهوى :

لم يترك الدهر في قلبي ولا كبـــدى   شيئا تتيمـه عـــين ولا جيـــد

قد يكون المتنبي خالف في هذا الاتجاه أو هذا التعليل منطق الحياة وسنـة الكون .. فان هموم الحياة وأحزانها هي التي تدعو ــ عادة ــ الى رشفات الحب .. ذلك أن « الحب » هو الضفة الوادعة .. التي يرتمي بين أحضانها الانسان عندما يضيق بهمومه وأشجانه ..

وبعـــــد :

هل استوفيت في هذه الكلمات الصغيرة ما عنوت به هذا البحث المتواضع « الذاتية في شعر المتنبي » انني حين أجيب بالايجاب فانني بهذا أغالط نفسي أولا وأغالطكم ثانيا وأغالط تاريخ الشاعر ثالثا ... لكنني أعترف أن هذه الكلمات انما هي « شموع » صغيرة على طريق هذا البحث اللذيذ والمتعب في آن في شعر المتنبي الذى امتزجت فيه ذاتيته . فكان صورة لنفسه فأفراحها واتراحها وسرورها وأحزانها .. ومن هنا كان سر خلوده كشاعر عملاق نام ملء عيونه عن شوارد شعره . . وسهر الخلق جراه واختصموا .. فكان أشهر شعراء العربية وعلى الاطلاق .. وأروع من دبج الحكم الخالدة .. والتجارب الباقية .. التي حفرتها أيدى الزمن على جدر الأبدية والبقاء .. ورددها الناس بكل نشوة في حال شجنهم وجذلهم .. لأنهم يجدون فيها « الأسرار الخفية » لبواطن نفوسهم وجراحات أعماقهم .. فهم يعتبرون أبا الطيب لسانهم الناطق في المهمات .. وقلمهم السيال في كل المعضلات .

مراجع البحث :

١ ــ مع المتنبي طه حسين هه ١٩٣٩ م .

٢ ــ تاريخ الادب العربي لحنا الفاخوري الطبعة السادسة .

٣ ــ تاريخ الادب العربي أحمد فروخ جـ ٢ ط ١٣٨٨ هـ .

٤ ــ الفن ومذاهبه في الشعر العربي لشوقي ضيف .

٥ ــ الرؤوس لمارون عبود ص ٢٧٧ .

٦ ــ ذكرى أبي الطيب بعد الف عام لعبد الوهاب عزام ط ١٩٣٦ م .

٧ ــ ديوان المتنبي شرح البرقوقي .

٨ ــ شاعر الطموح لعلي الجارم .

٩ ــ المتنبي بين ناقديه في القديم والحديث لمحمد عبد الولي شعيب عام ١٩٦٤ م .

١٠ ــ أبو الطيب المتنبي عملاق الواقعية في الادب العربي لرضوان الشهال ط ١٩٦١ م .

علاقة اللغة الادبية بالفنون الاخرى

بقلم : فهد الخليوي

*** مقدمـــــة :**

تطورت الصورة الفنية فى لغتنا العربية عندما أخذ الشعر الحديث يظهر فـــى سمائنا العربية الأدبيــــة .

وبدء من « بدر شاكر السياب » حتى يومنا هذا واللغة العربية تتطور فى صورها الفنية نحو عالم انسانى أرحب .. وللفن التشكيلى سواء كان «سيرياليا» أو انطباعيا ، الدور الرئيسى فى هذا التطور الفنى فى لغتنا الأدبية ، اذ أن اللغة بحد ذاتها لا تستطيع التعبير عن هموم انساننا المعاصر سيما اذا كانت قوالب التعبير مصبوبة بشكل أدبى كالقصيدة أو القصة القصيرة .. واذا القينا الضوء على لغتنا العربية نجد أنها لغة قوية وتتمتع بثراء فنى رائع ، ومثال ذلك لغة القرآن ، الا أن ما أصابها من ضعف وصل بها الى الجمود يعود سببه الى بعض المجتمعات الاقطاعية التى تنظر الى اللغة والفن عموما نظرة « كمية » صرفة والتى تعتمد على عملية ١ + ١ = ٢ .

حتى فى نقدنا لكافة الفنون وقد طبقت هذه المجتمعات نظرتها تلك فى المجالات الاقتصادية .. والاجتماعية .. والسياسية .. وكان من جراء ذلك نمو الاستغلال والكبت والقمع وبعد أن نشطت حركة الترجمة وظهرت على حيز الوجود جماعة « أبولو » وحركات الشعر الحديث تفاعلت الأجيال العربية ، الجديدة مع تلـــك الحركات الرائدة حيث وجد الشعر الحديث مجالا رحبا للوقوف فوق أرضية صلبة ، متحديا جملة الأفكار الجامدة التى وقفت ضد نموه .

اللغة والفنون الاخرى

لا تكتسب اللغة أصواتها وموحياتها من ذاتها بل هى تتحول من لغة دارجة الى فن عبر صبها وتفاعلها مع الفنون الأخرى كالفنون التشكيلية والموسيقية ..

وهذا التفاعل لا يجوز أن يصل الى حد فصل اللغة من ذاتها أى من العبث أن نفصل القائم بذاته لحساب ذات الآخر .. فالمسألة هى مسألة تفاعل اللغة عن طريق استعارة صور تلك الفنون الشعورية ، ومثل هذه الاستعارات الصورية تحققت بنجاح فى تجربة الشعر الحديث وفى القصة القصيرة أيضا فى أواخر الستينات .. ولعل النقاد الكميون ذهلوا من هذه التجربة والتى سدت عليهم الطريق فى ترويج مؤلفاتهم التجارية الكاسدة مما جعلهم يتجاهلون تلك التجربة وأحيانا يشنون عليها محلات دعائية لا تمت الى جوهر الحقيقة بصلة وضمن هذه الحالات التى أصبحت ممجوجة ما قيل أن تلك التجربة وغيرها من التجارب الأدبية الحديثة تستمد روحها من خلال استيراد « السيريالية والرمزية » من الفنون الأوربية ، وهم بهذا المنطق التجارى البحت يشطبون كلمة « تفاعل » ويضعون بدلا عنها كلمة « استيراد » .

وكان السيريالية أو الرمزية من انتاج المصانع الأوربية التى تصنع . . . السيارات وغيرها وهؤلاء النقاد يظل أفقهم ضيقا حتى يموتون ، فتلك الفنون صحيح أنها أوربية فى مصطلحها وصحيح أن الأديب العربى الحديث تفاعل معها ولم يستوردها من مصانع أوربا بل تضامن معها حسيا وانسانيا مع الانسان فى أوربا ومثل هذه الفنون الانسانية ليست وقفا على أوربى أو عربى فالسيريالية موجودة فى لغتنا العربية بشكليها الأقليمى والقومى .. أن هناك قصائد شعبية سمعتها على شفاه بعض الناس فى نجد والحجاز تتضمن صور سيريالية وقد نجد تلك الصور بشكل رائع وباهر فى قصائد أبى فراس الحمدانى ، و « أبى نواس » والمتنبى وغيرهم من شعراء العربية القدماء .. وقد أدركت الحركات الجديدة التى ظهرت بالشعر والقصة والرواية فى وطننا العربى هذا الأصل الفنى فى اللغة العربية بالاضافة الى ادراكها العميق من أن اللغة العربية تفوق جميع اللغات من حيث هى لغة شعر وروح ، ولهذا فان الأدباء الجدد يرفضون كل ما ينطوى عليه النقد الكلمى الجامد من افتراضات مغلوطة تؤدى الى تعليب لغتنا العربية وحجبها عن الشمس .. مؤمنة تلك الطلائع الأدبية الجديدة ، بأن اللغة العربية قادرة على التفاعل التاريخى الحضارى داخل جسد العالم دون المساس بذاتها ومنطلقاتها القومية ، وهى لغة غزيرة تعير وتستعير ، ومن هذا الأحساس تبقى لغتنا فى صيرورة من صيرورة مع الزمن ومن أهم اللغات تأثيرا على الأجيال .

* اللغة كـ « كم »

يمكن القول بأن اللغة بتكوينها حشد هائل من المفردات المتناثرة يتجمع بعضها حسب الحاجة ويرتبط حتى يصل الى رمز لشىء ما من الأشياء واللغة بهذا المستوى لا تصلح أن تكون أداة للتعبير الأدبى ، بل تقف كعامل ضرورى للمفاهمة بين البشر .. ولتبادل التحيات والتهانى بين الأقرباء .. وتصريف شئونهم التجارية واللغة بهـذا المستوى تعتبر « كما » جامدا يقع فى حدود التداول اليومى الا أننا نستطيع أن نفصلها من هذا الكم الثقيل ونمنحها صفة التعبير الفنى وذلك داخل أطار العمل الأدبى .. لكن اللغة تظل فى هذا المستوى أكثر كما وأقل كيفا لدى مقارنتها أمام لوحة فنية أو قطعة موسيقية .. والفنان هو القادر على تنمية العلاقة بين اللغة الأدبية والفنون التشكيلية وذلك عن طريق مهارة المزج بين موحيات العبارة ودهشة الألوان .

* الأبـــــداع :

حالة المبدع تشبه حالة « المتصوف » أو حالة « العاشق » والمبدع يجـد خلاصه المادى والروحى فيما يكتبه أو يرسمه أو يوسعه والمرحلة التى يجتازها المبدع أو يعيشها حالة صعبة وشرسة يتحول الألم فيها الى شمول انسانى وتكتمل صورة المبدع داخل عمله الفنى حيث يتم حضوره وحضور العالم فعندما يكتب قطعة أدبية يكون فى ثناياها يرسم ويعزف ويعطى لغته قدرة الارتفاع كى تعانق أفعال الصور والأنغـــام ..

والأبداع فى ذات المبدع يشبه التأثير « الميتافيزيقى » الذى يحيط بأسرار الكون ولهذا فأن المبدعين يتميزون عن غيرهم بغربتهم عن ذواتهم والغوص فى تحليل ذوات انسانية أخرى .. والمبدع فى هذه الحالات ليس ساحرا أو بهلوانا ولا يختلف تركيبه « الفسيولوجى » عن بقية البشر بل يتميز عن الآخرين بصفات روحية فـى كثافة الحس ووحدة الرؤيا وقدرة الخلق الفنى وهو يكتسب بهذه الميزات صفة الانسان الباهـــر ..

* الترجمـــة :

نقل اللغة من اقليمها الى أقاليم أخرى يتم على حساب تشويه صورها الفنية فى حالة استعمالها كتعبير فنى .. ونحن نقرأ كعرب قصائد « لوركا » و « نيرودا » ولكننا لا نستطيع تذوق صورها الفنية الأمر الذى يحدوا بنا الى تقبل هذه القصائد كأفكار عظيمة لا يتطرق لمناقشتها مجرد مفكر ..

وعلى هذا الأساس فليس من شك أن لوركا ونيرودا من أعظم الفنانين فى عالمنا المعاصر الا أن نقل اللغة خارج حدودها ينزل بها الى مستوى الفنون الآخرى ، ما لم تكن داخل حدودها ، وعلى هذا فان اللغة العربية بعكس الفنون التشكيلية والموسيقية فالفن التشكيلى أو الموسيقى كلاهما ينتميان الى الشمولى المطلق ..

فمثلا لوحة « الكرسى الأصفر » لـ « فان كوخ » يستطيع المرء معها كأن موقعه المكانى أن يتذوق ويشعر بالعوالم المكتظة فى تلك اللوحة ويدهش للقدرة الفنية لدى هذا الفنان الذى استطاع أن يخاطب العالم عن طريق خطوطه المتعرجة وألوانه الصارخة المعذبة وبأمكان المرء أيضا أن ينصت بتأمل لذيذ الى مقطوعات « موزارت » الموسيقية وهذا دليل على عجز اللغة الأدبية من التعبير الفنى الشمولى أمام الفن التشكيلى والموسيقى ما لم تتفاعل مع تلك الفنون الرحبة وتندمج بأطارها الصورى .. واللغة الأدبية حتى وهى داخل حدودها لا يمكن أن تحمل بذور الأبداع ما لم تنمو مع هذه الفنون وتستعير منها . .

ان الفنون التشكيلية والموسيقية غالبا ما تكون غامضة ومهملة وهى داخل حدودها التى ولدت فيها وغالبا ما يكون العمل الأدبى « الكمى » داخل هذه الحدود أكثر رواجا لدى أكثرية من الناس وهذا يرجع الى أن هذه الفنون تطرق أبوابا انسانية رحبة تكون خارج اهتمام هذه الأكثرية وخارج وعيها المحصور بتأمين الرغيف والمسكن والعربة وبعض هذه الطبقات « البورجوازية » من الناس وصل بها الحال الى الكفر بهذه الفنون .

والذى يؤسف له أن أغلب الكتاب العرب يردون تلك الأفعال أخذوا يشتغلون بمثل هذه الأداب الكمية التى تتسم مضامينها وأشكالها بالهذيان والسرد السطحى.. أن القارىء العربى يصطدم يوميا بهذه المؤلفات التى تملأ المكتبات ويكاد يصاب باليأس من عدم وجود كتاب يملا عقله وحسه الروحى ...

فأغلب هؤلاء الكتاب لا زالوا يؤلفون كتبا تجارية وبالجملة الا أن هذه الأغلبية من الكتاب لم توفق حتى الآن لكتابة سطر واحد يمكن أن ينسب الى الكتابة .. اننا كشعب عربى بحاجة الى لغة ترتفع الى مستوى قضايانا المصيرية .. لغة تصور وترسم معاناتنا الحضارية لا لغة تهذى وتجتر حنين الماضى .

* لوكا : تقبلناه كأفكار .. ولم نتذوقه . .

* فان جوخ : استطاع أن يخاطب العالم من خلال خطوطه .. وألوانه المعذبة!!!

ثم يأتي ادب الشفرة ؟

بقلم : سليمان الحمـاد

التسرع : نافذه : ــ

أعترف بأني أشعر بالامتعاض . كلما فكرت فيما سأتحدث عنه الآن : ــ وكان ذلك منذ شهور ــ وقد شعرت به أكثر عندما شرعت في الكتابة فعلا : لعل مرد ذلك ، ان هذا الحديث ، قد يترك عند البعض شيئا ، أو انطباعا ما ــ ربما سيئا ــ علــى كل حال ، أنا لا أود اغضابكم ، وحتى لو تعرضت لبعض مشاعركم المنشورة . وهــي في الغالب الكثير مشاعر خاصة ــ وكلنا يكره انتقاد مشاعره الذاتية ــ ولكن كان يجب أيضا أن لا نشغل الآخرين « بفلسفات » ايهامية لتجارب أو مشاعر خاصة ، كما كان علينا ، أن لا نتسرع في نشر ما نسطره ، قبل اعادة النظر فيه .

نحن الكتاب نرتكب بعض الحماقات الطفيفة ، عندما ننشر أشياء سطحية ، على انها أشياء ذات قيمة فكرية ، أو ادبية ، ولعل مرد ذلك الى اننا نتسرع في النشر ، أو نحذف حساب النتيجة الآتية بعد النشر ، وقد يكون لمجرد أن مثل هــذه الكتابات ، مشاعر ذاتية لا ننتظر منها فائدة متوخاة . أو طرح فكرة تستحق الدرس والمناقشة . ولكننا ــ أحيانا ــ ننشرها على انها أفكار ذات جذور وابعاد عميقة لأنها تمثل عصارة تجاربنا في الحب أو الحياة !! فيما تكون بالنسبة لغيرنا طلاسم والغاز مبهمة !! وتلك ما يحسن أن نتفق على وسمها بالطيوف المكتوبة . والرؤية بالنسبة للطيوف مهزوزة في كثير من الحالات ! ولم يكن حسنا مني ان اتحدث عمــا تنشرونه ، بين الحين والآخر من غامض القول ، ومبتور الأفكار . لأني لست ذلــك الذي يود اغضابكم فيقول شيئا أو رأيا مناقضا لما ترتأونه الصواب ! أو الفذلكة الأدبية ، ولكن لا بأس ، اذ انه من تصادم الآراء تبرز الحقيقة ، ويتضح الطريق . ولكن متي ــ ما ــ كان الغرض من ذلك التصادم شريفا ، ومؤملا أن تكون له نتائج خيرة . والذي أدركه ، ويدركه الجميع أن ما ينشر لا يخص كاتبه لأن مــا يقصد به ــ في الدرجة الاولى ــ الفائدة . أو افادة القاريء ــ بتعبير الصق وأوضح ــ وتبعا لذلك فان على هذا القاريء أن يقول شيئا فيما ينشر من أجله . خصوصا اذا كــان يعجب سلفا بكاتب الحديث . أو القصة ، أو القصيدة ، لانه ليس مهملا في هذه الحالة، لأنه الملتقى والمعني بما نشر وينشر . وليس عليه بالتالي أن يقبل كل الاشياء أو الافكار من معجبه ، وعليه أن يرد الالتباس ويناقش غامض القول ، وهكذا يجب أن اقول رأيي فيما أقرؤه ، فالكاتب ــ منا هو القاريء قبل وبعدئذ .

ان ما يجعل أفكارنا محلية ، تدور في فلك مثلث ، اننا لا نحرص على أن تكون ،

أو يكون ــ انتاجنا بتعبير الصق ــ أعم وأشمل ، ليس جميعنا بطبيعة الحال . ثم أن أيا منا أيضا يود أن يخرج انتاجه الى المجال الفسيح الرحب .. تلك حقيقة ، ولكن درجة التفكير في هذه الرغبة ، تختلف في الحرص والألحاح الذاتي من كاتب الى آخر ، كلنا نود أن يخرج نتاجنا الى خارج الحدود اذا . ولكن بعضنا يود فحسب، فيما كان يجب أن يود ويعمل على ابداع الخصائص ، التي تجعل هذا الانتاج قابلا للانتشار ــ للتصدير ــ ومقبولا لدى الأذواق الأدبية الاخرى !!

الكاتب يصنع مكانته ! مثل

و .. يتألم الكاتب اذا ما رأى كلماته تسقط مرتعشة التعبير ، في زاوية اللا أهمية، وقد يطيل التأمل والتفكير في مصير كلماته الذابلة ، والكلمات الذابلة ــ عادة ــ هي تلك التي لا تؤدي الى نتيجة ــ أو ربما نتائج ــ فكرية ، ولا تحمل معاني ذات دلالة حضارية ذهنية ، قد يطيل مثل هذا الكاتب التأمل والتفكير ، وقد لا يهتدى الى نتيجة حاسمة ــ في كثير من الحالات ــ ربما ــ : لأنه يجهل ان تلك الزاوية ، ليست سوى أبعاد الثقافة التي يعايشها ــ بالتأكيد نوعية الثقافة فقط ــ وأيضا ماهية أفكاره هو !!

ان الكاتب هو الذي يصنع اللا أهمية لكلماته دون أن يدرك ذلك سلفا ولكن من المؤكد انه لا يقصد ذلك .

ان لكل كاتب نظرته الخاصة ــ الانطباعية ــ التي تختلف من حيث العمق والأحساس والاهتمام ، أو السطحية واللا مبالاة عن نظرات الآخرين المتفاوتة كذلك ، لمرئيات الواقع أو الشيء المعين المحسوس ، ونستطيع ــ أن نثبت بقليل من الحذر ــ أن النظرة الفاحصة لشيء ما .. هي الامتداد الحقيقي للاحساس بقيمة هذا الشيء بعمقه ، بسطحيته ، بمدى قيمة وجوده أو ضرر وجوده ــ من عدمه ــ تعميق النظرة في موضوع ما ، يعني الاحساس بفائدة أو خطورة هذا الموضوع ، ان هذا القول ينطبق على الاشياء ذات النتائج الأدبية أو الفكرية ــ بشكل ما .

وان لكل كاتب كلمته ، وهذه الكلمة تعنى عند مناقشة المشكلة أو الشيء المرئي ، أو المحسوس من قضايا فكرية أو أدبية هذه الكلمة تعنى نتيجة أو مقياس احساس الكاتب تجاه ما يعرضه أو يعرض له أمثال ما سبق ذكره . وتضع بالتالي ترتيب الكاتب في قائمة أولئك الذين يناقشون نفس القضايا ، ويقاسمونه رسالة الكلمة ، ان كلمة الكاتب تسبق الحكم النقدي عليه ، فمنها يستخلص الناقد رأيه فهي المؤشر العقلاني في ميزان الفكرية المطروحة ، أو المشكلة المرئية أو القضية الأدبية المعاشة والكاتب بكلماته يستطيع أن يضفي الأهمية المضافة عليها من كاتب آخر بكلماته كذلك، على أنه من هذا المنطلق يكون التفاوت والاختلاف بين الكتاب . ومن هذا المنطلق أيضا يصنع الكاتب الواقع الذي يراه هو ، فقط !! وقد يحدث أن يكون هذا الواقع هو نفسه زاوية اللا أهمية ، ان المجتمع لا يصنع ــ أو يقيم ــ الحيطان لترتطم بها الكلمات ولتسقط من ثم مرتعشة الملامح والتعبير في زاوية اللا أهمية . ولكن الكاتب وحده

هو الذي يصنع الواقع المناسب لكلماته ، وهو الذي كذلك يصنع اللا أهمية لنفسه أو انتاجه ، بعدة أساليب وطرق كان يريدها عونا ، ويظن انها غير واضحة المعالم عند القاريء ، فتبصرها القاريء ، فوضع الكاتب في هذه المكانة أو تلك !

منذ سنوات كان الكاتب عبد الله عبد الرحمن جفري ، لامعا في وسطنا الصحفى ، ولم يكن ثمة من « داع » لمقارنته بزميله الكاتب حمد القاضى ، اذ كان « مقدما » ؟ ! حينذاك ، وكان القاريء متابعا ومتبصرا في آن ! بحيث ميز ظل أسلوب الأديب المصري أنيس منصور الذي بدأ يتضح ويعلق عن نفسه في انتاج الجفري وأسلوبه ، فأعلن القاريء عن هذا التقليد وتجاهل الجفري ووضعه في زاوية اللا أهمية ، فحاول الجفري (بذكاء) أن يعود الى ذهنية القاريء بنفس الأهمية السابقة فلجأ الى الطريقة الجبرانية في الأداء النثري ، فتأثر بجبران خليل جبران الى درجة أصبح معها مقلدا ، ولم يستطع أن يتخلص من التبعية الأدبية التي حملها اياه هذا التأثر . وبعض المقلدين ربما فاقوا من تأثروا بهم الى درجة التقليد ، وتلك حالة نادرة ، تذكرنا بأفلاطون وسقراط . . أما مثل هذا التأثر والتقليد فلا يعدو أن يكون ظلا — أيضا — غير واضح الرؤية للاصل المبدع — بفتح الدال — وهذا ما جعل الكاتب الجفري يدور حول نفسه وحول مؤلفات أنيس منصور فلا يتخطاها الى شيء من الابداع ، ولكن الى محاولة تقليدية جديدة ، ولعله كان يظن أن القاريء انشغل بالجديد عن القديم ، الى درجة نسى معها ، بلاغة العرب في القرن العشرين « ومناجاة أرواح » وغير ذلك من الجبرانيات القديمة . قبل ذلك مثلا كان الجفري يقول « احترقت بالمستحيل والخرافة (١) » لأن أنيس منصور يقول : « من الخرافة أن نقاوم الخرافات » (٢) ولعدم مقدرة الانسان على مقاومة شيء ما فمن الجائز أن يحترق به ولو — مجازا —

ونأتي الى شيء هو أكثر من مجرد التأثر والتقليد ، وعلى القاريء أن يسميه ما يشاء ؟ !

يقول الاستاذ أنيس منصور « مأساة مؤلفي المسرح هذه الايام هي أن الواحد يحلم بتأليف مسرحية ، ويكتب شيئا آخر ، والممثلون يؤدون شيئا ثالثا ، والجمهور يفهم شيئا رابعا » .

ويقول الجفري « الذي يحدث للناس لا يكتبه أدباء الرواية ، والذي يفهمه الناس بعد قراءة كل رواية في الغالب شيء لا يقصده الكاتب ولم « يهدف اليه » يلاحظ أن المسرحية الممثلة عند أنيس منصور صارت رواية مقروءة عند عبد الله جفري ، وفي موضع آخر تتحول الى قصيدة ، وهكذا !!

ثم أن الجفري تحول الى تقليد الأموات بعد أن شاح عنه القاريء الذي يحب الأصل من أنيس منصور ويرفض الصورة من الجفري — نفسه —

---

(١) لحظات .. عبد الله جفري

(٢) قالوا .. أنيس منصور

يقول جبران خليل جبران من مقالة « تحت عنوان الكلام وطوائف المتكلمين » لقد مللت الكلام والمتكلمين ! لقد تعبت روحي من الكلام والمتكلمين لقد ضاعت فكرتي بين الكلام والمتكلمين » وبعد استعراض لماهية الفكرة يعود فيقول « والآن وقد ابنت بعض « قرفي » واشمئزازي من الكلام والمتكلمين . أراني كالطبيب المعتل ، أو كمجرم يقف واعظا بين المجرمين . فقد هجوت الكلام ولكن بالكلام ، وتطيرت من المتكلمين وأنا واحد من المتكلمين (١) » . ويقول الجفري « سئمت الكلام يوما .. سئمت الكتابة ! أخذت ورقة وصففت فوقها نقاطا متراصة ، وتخيلت ان أمامي انسانا يشاركني لعبه المربعات والنقاط ! النتيجة : انتصر علي « الخيال » الذي وضعته أمامي انتهى نفس السأم ، ونفس النتيجة التي انتهى اليها جبران ، فقد انتصر عليه الكلام ، الذي جاء في صورة « خيال » لدى الجفري تماما كما تحولت المسرحية الى رواية .

ان ضغط الأفكار المطولة ، لا يعنى اختفاء ملامحها في الأصل .

وان الكتابة حالة افراغ للمحتوى الذهني الواعي ، ولا ريب ان المتأثر بأسلوب ما ، يتموج احساسه بتأثره ساعة رسم الصورة أو الفكرة الملقاة التي كانت تمثل قبل الطرح « المحتوى الذهنى » وقد يعترض مثل هذا السؤال : من ذا الذي بمقدوره أن يفصل بين عناصر التموج هذه ، وبين ذاتيته الذهنية في اطار الصورة ؟ ! عندئذ يكون « منطوق » الجواب : ذلك الكاتب الذي لا يتأثر سلفا ، ولا يقلد أبدا ، انه المبدع. وتلك حالة من الصعوبة بمكان ، ولهذا فان تشرين جبران انتقل من « مناجاة أرواح » الى لحظات الجفري « كلما عاد « تشرين » تنبتين في حدائقي كالزهرة الموسمية وتذوى أغصاني بعدك ! »

وهكذا نجد أن الكاتب عبد الله عبد الرحمن الجفري وضع نفسه في مكان اللا أهمية بالنسبة للقاريء الذي كان يرى فيه امكانية واعده لو سلم من التأثر بأنيس منصور وتقليد جبران ، لقد وضع نفسه في مكان اللا أهمية ، في حين كان يجهل فيه بصيرة القاريء ، ودقة ملاحظته . أما الآن فمن الصعوبة أن يستمر وأصعب من ذلك أن يبدأ مـــــن جديـــــد !!

أجل : لم يك من داع لمقارنته بزميله الكاتب حمد القاضي « أنذاك » فقد كان الجفري « متقدما » .. أما الآن ولهذه الأسباب فقد تأخر الجفري ، وتقدم القاضي !! ولم يعد من سبيل لمقارنته بالقاضي فقد أصبح القاضي متقدما عليه بمراحل ابداعية — وربما استطعنا — في انتاج القاضي — أن نعيد ما نقرأ منه الى مدرسة أدبية معينة ، لنقل مثلا انه يكتب وجدانياته « برومانسية » حزينة ذات منلوج درامي البوح والاداء . ولكننا لا نجد ذات السهولة لو حاولنا ربطه بانتاج أديب ما ، كما هي الحال بالنسبة للجفري ! تحت عنوان ورقة عزاء ، نورد هذا الشاهد للقاضي « كل مواسم الفرح ، وحقول الحنين ، واريتها في قبر قلبي . حتى بقايا الذكرى أسدلت عليها شراع النسيان.

---

(١) مناجاة أرواح جبران خليل جبران .

فخفقتك الآن يمتلكه غيري .. بعد أن كان نبض حسي وبعضا من تاريخي .

اليوم فقط .. حملت بقايا نفسي الى لحظات عزيزة سكنت ــ بكل هــدوء ــ بين ثنايا عمري وشجني .

مواسم الجراح « التي أشعلت أحزانها بين حناياك .. أعادتني اليك .. سرقت عصافير زمني ، الى حقول جراحك . ان الوفاء ليس هو اقتسام عطر الزهور فقط .. الوفاء مثلما هو استحمام في ضوء القمر ، هو أبلغ وأصدق عندما يكون اقتساما للحزن . وللدمعة ولقسوة الزمان .

انني أعرف عمق حزنك في فجيعتك « بغالبك » ولكن ما يريحنى انك فوق الضعف في أشد حالات الضعف . لقد كان هو صانع الحب لك بالعطاء ، فكوني له صانعة الوفـــاء بالصبـــر » انتهـــــى .

وهكذا : فعلى مستوى انتاج الشباب ، نستطيع أن نلمس خيط الابداع والاستقلال الفكري عند القاضي ونستوضح طيف المحاكاة والتأثر والتقليد عند الجفري !! ــ مثلا .

وفي البدايات ، قليلون هم الذين يبدعون الاسلوب والنهج والمنحى الأدبي الذي يرتأون مواكبته ، ومناسبته كذلك لمعطياتهم الثقافية ، ونصوراتهم الفكرية الابداعية ، لقليلون هم الذين لا يتأثرون بأساليب غيرهم في الاداء الشعري أو النثري. فكما نعرف جميعا . ان الكاتب أو الشاعر في خطواته الاولى ، يكون في الغالب الكثير مترسما لخطى غيره ، ويأتي ذلك كرد فعل لأعجابه بأديب أو كاتب هو يراه مــن المبدعين . أو يكون ذلك حصيلة ثقافية « تراكمية » عن منحى ، أو عن مدرسة أدبية ذات تأثير وذات وضوح وبروز في الساحة الأدبية . كمدرسة « المهجر » وأبوللو في الشعر ، والرافعي والزيات والمنفلوطي في النثر . وهكذا يتأثر الشباب بشيوخهم ، ويتأثر الشباب بالمدارس الأدبية ، وبالمناحي الفكرية ولكن المتأثر بمدرسة أدبية ما ، يختلف عن المتأثر بأسلوب وطريقة أديب بعينـــه « فالرمزية » و « الكلاسيكية » و « الرومانسية » اتجاهات أدبية تدخل « ضمنا » في النزعات التجديدية في الأدب ــ بل انها تجديدية المنشأ ــ ولا تعدم مثل هذه المدارس ، من مؤيدين ومعارضين كذلك والمتأثر هنا باحدى هذه المدارس أو الاتجاهات ، قد يبرز اذ ينتج على مستوى الابداع فلا يكون تابعا أو مقلدا ، ولكنه منتميا ــ يعتبر ــ لمدرسة أدبية ما ! والانتماء لا يتعارض مع صفة الابداع . بينما يختلف الأمر والنهج بالنسبة للتأثر بالاشخاص ، اذ في هذه الحالة ربما كان المتأثر انعالي النظرة الأدبية عاطفى التأثر فيكون مقلدا كما هـــي حالة الكاتب عبد الله عبد الرحمن جفري ، الذي هرب من أقوال أنيس ، فوقع في مناجاة جبران !! وتلك حالة من حالات التسرع ونشدان الحضور في الأذهان ، ولـــو على قاعدة غير ذي أبعـــــاد !

أمثلة على مستوى المقالات

ذات مرة ، قال لي ملحن كبير ، في طريقي الى منزلي ، وكان الجو منعشا

بفضل « الرذاذ » المتساقط من الغيوم الداكنة ، وكنت أقود سيارتي برفق ، خطــر لي أن أجرب حظي مع كلمات قصيدة حفظتها لتوي وفي مدى أربع ساعات لأعجابي بها وبدأت « أدندن » مع نفسي وكان اللحن الذي عثرت عليه ، أو بدأت أترنم بــــه بطريقة سلسة ، يبدو ممتعا ومطربا للغاية . عندها أسرعت للوصول الى منزلي لتسجيل اللحن قبل ضياعه من ذاكرتي ، وفعلت ، وكنت أحسبه أفضل ما لحنت حتى تلك الليلة !! لا أدري لماذا !! ولكن لعل « لطراوة الجو » وارتياحي النفسي ،

واعجابي اللامتناهي بكلمات القصيدة كبير دخل في تصور ذلك اللحن ممتعا ومطربا !! وفي الصباح الباكر ، وقبل أن أتناول وجبة الافطار ، استمعت اليه ، وبعد ترديده عدة مرات اتضح لي أمرا مضحكا ، فقد اكتشفت انني لم أضع حتى تلك الليلة لحنا أسخف ، ولا أضعف ، من ذلك اللحن الذي حسبته أفضل ما عملت ، وقد شككت في مقدرتي الفنية ولكنني علمت أن تأثير كلمات القصيدة ، هو ما جعلني أعتقد علاوة اللحن وقوتـــــه !

يبدو ان هذه الحكاية ، أوجدت نشازا فيما نتحدث عنه ، ولكن لا بأس !! فان ذلك مجرد مثل فني ــ يصح على ناظم القصيدة ، أو كاتب المقالة ــ سأقرنه بمثل كتابــــي :

فلقد قرأت كما قرأ بعضكم « الفن من يعرفه » الصفحة السابعة ، عكاظ العدد « ١٣٨٥ » ٢٠ ربيع الاول ١٣٨٩ هـ تلك مقالة لا تخلو من خفة الظل ، والفائدة المزدوجة لفن الأغنية وللاسماء الواردة فيها ، ولكنها أيضا مقالة مبتورة ، وخصوصا اذا علمنا انها بقلم رئيس التحرير الذي يفترض فيه أن يكون أكثر ادراكا والماما مما أظهرته أو ابرزته عنه هذه المقالة . فقد تحدث كاتبها الاستاذ عبد الله عمر خياط ، عن فـــن الأغنية ، وهى مبتورة لأنها جاءت نتيجة ذلك الانطباع الذي خلفته مناسبة عابــرة ، وليس عن معاناة أو ملاحظات ــ متراكمة ــ قديمة ، يقول الخياط : « وبمحض الصدفة التقيت ليلة في منزل الفنان طلال مداح بمجموعة من الفنانين الذين أتحفونا بشيء من الفن ، منهم الفنان محمد عبده ، والفنان طلال ذاته ، وفنان آخر من آل الككتاوى لا يحضرني اسمه الآن ، ولكن الفرحة ما تمت فقد نكد أحد مدعي الفـــن الليلة » انتهى . وهي ــ أي المقالة ــ مبتورة أيضا لأنها تحمل عنوانا أكبر منها وكان يجب أن تعنون بـ « فن الأغنية ، من يعرفه » ذلك أقرب لواقعية الموضوع ، لأنهـــا لم تتحدث سوى عن الاغنية ــ ليس ذلك مهما الآن ــ وانما الذي يهم أو يؤخذ على الاستاذ الخياط كغير مدرك لجوانب موضوعه ــ حيث كان يجهل الكثير من أهل الفن ــ قوله « لا بد لنا من التصفية ، فهناك طارق عبد الحكيم الذي يشكل مدرسة بحالها في الفن ، وطلال الذي استطاع أن يثبت أن في الجيل الجديد فنانون ــ فنانين ــ بحق وحقيقة ، ومحمد عبده بصوته الحالم ، وعبد الله محمد بصوته البلدي ، وفنانون من بداية الطريق سمعت أن فيهم عبادي الصاعد ، ولكن حتى اليوم لم أستمع اليه .. وليس مهما هذا ، ولكن المهم هو الارتفاع بالفن » انتهى ما أريده مثلا أو ألمح اليه

بالتسرع . فقد كان يجب أن نحدد ما نعني على الدوام ، اذ ليس الفن كما يفهمه الاستاذ سلفا ، هو الأغنية فحسب ، ثم أن ما ذكرهم ليسوا كل شيء مع تقديري لطارق ولطلال . وهو يتحدث عن التصفية وذلك يعني بالتالية تصفية البقية التي لم ترد في مقالته ، وانــه ليبدو مؤسفا أن يسقط من حسابه سعد ابراهيم ، والحمادي وغازي علي وغيرهم ممن يواكبونهم في المستوى اذ انهم لا يقلون بحال عن عبد الله محمد و « الكلكتاوي » وعبادي الجديد بل ان الفنان سعد ما فتيء ينشر لونا شعبيا محببا ويحافظ عليه مــن الضياع مع تطويره حريصا على جوهره ــ وكذلك يفعل الحمادي وغازي علي .

على مستوى الكتب

ثمة حكاية وأخرى ، لا تروقان لبعضكم ، ولكن أعذروني في ايرادهما ، لأن سياق الحديث لا يزال عن التسرع في الانتاج !!

ــ والتسرع في الانتاج يأتي كذلك في التأليف تماما كما يأتي في المقالة العابرة ، وتلك من عيوب الأدب حقا ــ !! في مقالة عن المؤتمر السابع للادباء ، بقلم الاستاذ عبد العزيز الربيع قرأت « لقد التقيت بنزار ، قبل أن يلقي قصيدته ربما بيوم أو يومين، فقد أقلتنا سيارة واحدة . أعني نزارا والاستاذ القرشي وأنا .. حملته هو الى حيث ينــزل في فنــدق « جلجامشــس » الفخــم وحملتنــا الــى حيــث نــزل علــى ضفــاف دجلــه . . وكانــت فرصة للحديــث ، وتحدث نزار طويلا عن الكويت .. كان يحسب أن عباءاتنا من الكويت .. فقد كنا في زينا الرسمي ، وعندما علم اننا من المملكة العربية السعودية ، قال : ان المملكة هي البلد العربي الوحيد الذي لم يزره » .. انتهى ما يهمنا نقله . وفي مقالة كتبها صالح جودت عن الشاعر « أبو القاسم الشابي » قال : حديثي هذا عن شاعر ساحر عرفه العالم الأدبي لأول مرة عام ١٩٣٣ م حــين بعث لمجلة أبوللو التي كانت تصدر في القاهرة ولا تنشر غير الشعر ودراساته ، بقصيدة عنوانها « صلوات في هيكل الحب » ما أن طلعت هذه القصيدة على الناس حتى هزتهم من أعماقهم ، وتلفت اليها أدباء العالم العربي ، وشعراؤه كبارا وصغارا ، وتساءلوا جميعا : من يكون أبو القاسم الشابي هذا وأين موطنه ؟ وما عمره ؟ ! وأين كانت هذه الشاعرية الضخمة مستخفية عن عيون الأدب حتى اليوم ؟ » انتهى .. هذا الحديث تعبير لصدى قصيدة واحدة ، أليس كذلك ؟ ! بينما ينتج الاستاذ القرشي ثمانية ــ أو تسعة ــ دواوين شعرية ، ويلتقي بشاعر معاصر فلا يعرفه ، أهو سعودي أم كويتي !! ولنتفق على أن الحالة الأدبية اليوم تختلف عنها بالامس ، اذ أن طابع « الحالة » أو المزاج أو النظرة العامة هذه الايام نظرة حربية ، فيما كانت النظرة أو المزاج العام آنذاك ، مزاجا أدبيا ــ بالدرجة الاولى ــ . ولكن ألا تشفع ثمانية دواوين شعرية وأربعة كتب نثرية ، بتعريف أديب سعودي كالقرشي بشاعر معاصر كنزار قباني . لا شك انهم قدموا أنفسهم لبعض ، ومع ذلك كان القباني يعتقد أن الاستاذ القرشي كويتي الجنسية ، مستدلا بالعباءة أيضا !! ماذا نفسر ذلك ؟ !

وأود الآن أن أقف قليلا لأوضح أن هذا لا يعني ــ بحال ــ نظرتي الذاتية لهذا

الشاعر — القباني — فلم أكن معجبا به ذات مرة !! وأعلم أن هذا لا ينال من قيمته الأدبية ، اذ هو ليس في حاجة الى اعجابي — لأن اعجابي من عدمه لا وزن له — — بالنسبة لمثل نزار قباني — فله احتفظ بالتقدير دون الاعجاب — ذلك لا يهم الآن ، لأن .. « للناس فيما يعشقون مذاهب » ولأننا بصدد حكاية الاستاذ الربيع .

أجل !! لقد كانت هذه الحكاية طريفة للغاية في نظر البعض ، ولكنني لا أعتبرها كذلك اذ ليس من المنطق أن نزارا لا يقرأ لشعراء العربية ، ولأنها — أي الحكاية — لا توحي على أي حال بأن أدبنا يضاهي أو حتى يقف على قدم المساواة مع الآداب الاخرى ، وما ذلك الا لأن أفكارنا سريعة ومتلاحقة في غير ما عمق أو تعمق ! لأن ليس فيها ما نرى تأجيله الى الغد ، حتى ينضج ويتخمر في أذهاننا ، ويستكمل صوره ومضمونه ومقوماته التي تتيح له — امكانية — البروز والصمود ، ودواوين القرشي لا تخلو بحال من النفحات الممتازة ، والصور الرائعة المعبرة ، كنتاج ناضج من موهوب مجرب ، ولكن ماذا يكون صدى هذه الصور لو لم تكن متفرقة — ومبعثرة — بين دواوينه الثمانية ؟ ماذا لو كانت في ديوان واحد ؟ ألم يكن ذلك أحرى وأدعى للجودة والروعة ، لأن ديوانا واحدا يشمل — أو يحوي — تلك القطع الممتازة والصور المعبرة، يعادل في انتشاره ولفت الأنظار اليه ، كلما يمكن أن تخلفه أو تحدثه — من صدى — مثل هذه الدواوين الثمانية بين جمهور الأدباء والقراء ، ولم يكن في رأيي سيئا أن يصدر الشاعر أو الكاتب ديوانا أو كتابا عاديا للمرة الاولى . لأن ذلك كبطاقة تعريف بــه للقراء ، على أن ذلك ليس مناسبا لعشرين مرة . ولعل منكم الآن من يقول : ولكن الكاتب يتدرج بثمة مراحل هي من حسن الى أحسن ، ولا بد بالتالي أن يختلف آخر نتاجه عن أوله . وفي هذا من الصواب ما يجعله مقبولا ، ولكن ذلك يحدث لناشـــر الاتقان والطموح ! أما الآخر فربما استهوته الكثرة ، والشهرة فخلط « الغث بالسمين» وربما عاد — ان هو أفلس — لأوراق قديمة ، فضمها كآخر انتاج !

يتضح مما تقدم أن ليس له علاقة وثيقة بجوهر العنوان — أدب الشفره — ، وأدب الشفره هو ذلك اللون الذي لا يفقهه سوى كاتبه ، ولكنه — أي ما تقـــدم — كنافذة أو مدخل يفضي بنا الى الموضوع اياه ، لأن ما تقدم يعنى التسرع وعدم تقدير النتائج الأدبية الآتية بعد النشر ، وان كان على نطاق أوسع من أدب الشفره الذي لا يمثل أكثر من مقالات عابرة — أو كتيبات لا تترك مفهوما أو أثرا ما — لأننا نتعجل في نشر أفكارنا ، قبل نضوجها ، لأننا نود أن يخرج انتاجنا الى خارج الحدود — نود فحسب — فيما كان يجب أن نود ، ونعمل على ابداع الخصائص التي تجعل هـــذا الانتاج قابلا للتصدير ومقبولا لدى الأذواق الأدبية الاخرى ، وكان يجب أن لا نهتم ، بالكم أكثر من الكيف ، ولكن ذلك لم يكن ، وهو ما جعل كتبنا تدور في فلك مثلث !!

ان الضحالة في الانتاج الأدبي ، تنشأ بسبب الارتجال والتسرع في النشر . وهو ما اعتبرته كمدخل لهذا الحديث ، وما سيأتي بعده ، وأوردت بعض الأمثلة الدالة ، لأن لذلك — في رأيي — علاقة وثيقة بـ « أدب الشفره » الذي يختلف مع مـــا ذكرت في الشكل — وربما في المضمون — ولكنهما يلتقيان في السبب .

والسبب هو الارتجال والتسرع وعدم تقدير النتائج الأدبية الآتية بعد النشر — كما تقدم — وأضيف هنا مع حرصنا على المظهر دون الجوهر !!

والحديث عن « أدب الشفره » هذا لا ينتهي — أيها الاعزاء — لأنه دخيل غريب، وغير ذي جدوى ، ولأن الكتابة تختلف كثيرا عن تلك الاعمال المسلية ، لأنها تعنى ذلك الاحساس المختلف ، الذي يحسه الكاتب ، ولأنها بالتالي نتيجة ، ترجمة ذلك الاحساس أو المعاناة ، في قوالب مناسبة ، بكلمات مهضومة ، وأفكار مقبولة نافعة ، — وليست المسألة الكتابية ترجمة احساس الكاتب على نحو ما فحسب — ونخطىء الفهم ، عندما نعتقد أن الكتابة احدى الهوايات التي نمارسها أوقات فراغنا . وهي وان كانت تنشأ عن « هواية » أو رغبة في مبدئها ، الا انها تتحول الى طوفان من الجدية والاحتراق ، حيث تطغى على كل المهمات أو الهوايات أو الميول الاخرى ، في نفس عاشقها !!

وقبلا قلت : « ان الكاتب كالمصاب بمرض السكر ، لا يستطيع منع نفسه من تناول المأكولات والمشروبات والأطعمة بالسكر ، وهو وان تركها لبعض الوقت ، فانه لا يلبث أن يعود اليها ، وفي نفسه حنين وشوق ، وفي مخيلته أفكار وأفكار !!

ان الدخول في مجال الأدب ، أو الكتابة والصحافة ، يبدو سهلا ممتعا ، ولكن الخروج منها ليس الا اصعب تلك الأمور المعقدة ! على أن هذا لا يعنى بحال تجار الكلمة والتأليف ، وانما هو يعنى — فقط — الكاتب الحق ، الكاتب بشعوره وطبعه ومزاجه وفكره .

ان أيا منا يستطيع أن يكون كاتبا — فقط — بعد سنوات من الممارسة والتجارب، رغم أن الكتابة — كما تفهمون وقلت — أصعب تلك الأمور التي نميل اليها بشغف ، هذه حقيقة ! ولكنهم قليلون منا هم الذين يملكون المقدرة على اقناع الآخرين ، بانهم يكتبون باحساس الكاتب « الحق » فيما يبقى الكتاب الآخرين — الأقل — منشئين وحفظة نصوص !! تماما كما يستطيع عالم النحو والصرف والعروض أن ينظم أبياتا يخال أنها من الشعر ، ولكن عندما تخلو مثل تلك الأبيات من الابداع . وعندما تفقد الشعور « الحسي » الذي يتميز به الشاعر المطبوع ، وعندما تبدو عليها سمات الصنعة والتصنع ، فان كاتبها ليس أكثر من ناظم فحسب .

أجل !! نستطيع أن نكتب اذا . ولكن المحظوظين منا هم أولئك الذين يملكون المقومات السليمة لمعنى الكتابة .

ان الثقافة والادراك ، وقوة « الحجة » وسلامة المنطق ونزاهة الاداء ، ووضوح الأفكار ، متمثلة في سلاسة الاسلوب ومرونته في طريقة العرض ، مع واقعية في اعتناق المثل العليا والمباديء السامية التي تسندها عقيدة صحيحة راسخة قوية ، هي — في نظري — أولى مقومات الكتابة ، التي تكفى لأقناع القاريء بأصالة الكاتب — أو كاتبها — ولأن الكتابة جزء من الأدب ، ولأن الادب جزء من الفنون الجميلة ،

ولان الفنون الجميلة ليست جميلة ، في أشكالها فحسب ، وانما في كونها تخدم مشاعر الانسان ، وحياة الانسان ، فان الأدب ، أو الانتاج الأدبي ، ليس انتاجا أدبيا ما لم يكن كذلك . ذلك أن الأدب ، يجب أن يخدم الحياة بجانب خدمته لذاته أيضا ، لنقول أن الأدب « للادب وللحياة معا » وأن ذلك يفرض في هذا الأدب ، أن يكون نافعا ، وانه لن يكون نافعا ما لم يكن واضحا ومفهوما من الجميع — ولدى الجميع — اذ أن الكاتب أو الشاعر ، ليس كاتبا أو شاعرا عندما يكتب لنفسه . يقول « امرسون » : ان الافصاح الواعي عن الفكر لفظا أو فعلا لغاية ما ، هو الفن » وفي ايضاح أشمل يقول « سانت بيف » الكاتب الفرنسي — « ان الأديب هو الكاتب الذي يغنى العقل الانساني ويزيد من ثروته ، وهو الذي يعينه للسير قدما ، وهو الذي يكشف حقيقة أدبية ويعرضها واضحة أو ينفذ الى العاطفة الخالدة في قلب الانسان ، فينشرها في حين يظن الناس أن كل ما فيه مرتاد ومعروف ، وهو الذي يؤدي فكرته ، أو ملاحظته أو رأيه في صورة دقيقة معقولة جميلة ، ومن يخاطب الناس جميعا بأسلوبه الخاص ، ولكنه أسلوب الجميع ، أسلوب حديث وقديم معا ، وصالح لكل زمان ومكان » انتهى « ومن يخاطب الناس جميعا بأسلوبه الخاص ، ولكنه أسلوب الجميع الخ » أجل ذلك هو الكاتب النافع ، وهو صديق القراء لأنه يخاطبهم عن كثب وقبلا فاني أعتذر للكاتب عبد الله عبد الرحمن جفري عما سيأتي الآن كشاهد ينطبق على مقتضى الحال ، وهو مما ينشره في الصفحة السابعة بعكاظ « يا عيونا مشرعة على سفوح شوكيه .. على وهاد من الحنظل .. زمنا مات ، « وما زال الحنين لظى » ! عمرا يتطاول على الأماني « المتواضعة » ساعات من ليل تتوه .. يدوسها الذهول بأقدام جندي على ثلوج سيبيريا .. والعيون بيضا الرؤيه .. ناصعة الانتظار !! » لا أعتقد أن الكاتب يخاطب الناس جميعا ، واستبعد أن يكون على وفاق مع القراء !! ومع أني أعترف بقصر فهمي لمعرفة ماذا يعني الا أني لا أشك بأن أحدا لا يقاسمني عدم الفهم هذا « عمرا يتطاول على الأماني المتواضعة » تلك جملة حسنة أضاعها الكاتب بين كلمات أقل اشراقا ووضوحا . أنا لا أستطيع أن أحكم في ماذا يتحدث الكاتب ، ولكني أجرب مع مثل آخر ، وربما فهمنا منه شيئا معينا . وأن جاءت طريقة التعبير عنه عكسية ومشلولة — « قالت وقد ارتفع الحاجب المقرون من الحجج عن عينين اتسعت — اتسعتا — عمقا في بحور ياقوت كأنها الذكاء » يتضح من السياق أن هناك حوارا دائرا ، ولكن متى كان الذكاء يشبه بحور ياقوت ، وما تكون هذه البحور الياقوتية التي كأنها الذكاء لا أدري أفهمتم شيئا ؟ ! لعل الذكاء هنا يعنى غير « الفطنة » لقد كتبت هذه الجمل بكلمات مقروءة ، ولكنها وردت في غير أماكنها المناسبة . وبدأت وكأنها غير واضحة المعاني ، والآن فأني أكتفى بهذين المثلين واهمس : انهما ليسا « أغمض » ما قرأت من هذا النوع فهناك بعض كتابات لا أظن أن كاتبيها يفهمون ماذا تعني ، أو يعنون بها ، لو أنهم عادوا لقراءتها بعد حين !! ثم أني أسعد بالأفكار الواضحة التي أقرؤها لكاتبي هذين المثلين ، ولعل ذلك ما جعلني أنكر منهما هذا « الغموض » ! ان التعبير الواضح للبوح بشحنات الشعور الذي يحسه الكاتب تجاه أمر أو أمور ما ، هو ما يحدد قدرته على الاصالة من عدمها ، والذي أفهمه أن الاسلوب

ليس — مجرد — كلمات تتخللها مجموعة من الفواصل والنقط وعلامات الاستفهام والتعجب أو التأثر فحسب ، ولكنه كما يقول « سويفت » : الاسلوب كلمات مناسبة في مواضع مناسبة » المواضع المناسبة هي تلك الأكثر وضوحا بالنسبة لمقاصد الكلمات ، وما الكتابة الا اخذ وعطاء ، أخذ من الناس وعطاء للناس ، وما الكتابة الا عملية ايصال أفكارنا الى الآخرين بأسلوب اكثر رصانة واجتذابا . وعندما يبدو « التعبير » مشلولا ، كذلك تكون الأفكار مشلولة أيضا .

في كتاب أصول النقد لمؤلفه احمد الشايب « فاذا ما أردنا بعث عاطفة وتصوير احساس ، كان علينا أن لا نكتفي بمعاني الكلمات وانما نستعين برشاقتها وتأليفها ومسيقاها ومواقعها في التراكيب ، ومعانيها المجازية وغير ذلك كثيرا مما يعين على تصوير العاطفة ، فالمعاني الحرفية للكلمات نافعة في تحديد الأفكار وتحقيق الوضوح » انتهى . . ولعل أكثر ما يهمنا من هذا القول ، دعوته لتحديد الأفكار وتحقيق الوضوح .

لقد قرأت أن الاشياء لا روابط بينها في الرسوم « السريالية » فهل يعنى ما يكتب الآن من هذا النوع اتجاها سرياليا بحتا ؟ ! لقد قال أحد الظرفاء : ان هذه الكتابات لا تعنى كونها « سرياليزم » فحسب ولكنها « لخبطيزم » والآن الا تكون هذه الكتابات من الأدب الرمزي ، أو الرمزية في الأدب ؟ !

ان « أدب الشفره » هذا نمط غريب ، وقد يتبادر الى ذهن قارئه أول وهلة ، انه من الأدب الرمزي ، أو الرمزية في الأدب ، ولكنه سرعان ما يدرك ويتفهم أن ما يقرؤه ، أو قراه ، ليس شيئا من ذلك على الاطلاق ، وربما كان كاتبوه يعتقدونه من الأدب الرمزي أيضا ! لأنهم فعلا يرمزون الى اشياء في نفوسهم — يغلب — عليها الطابع أو النظرة أو التجربة الذاتية — من زوايا خاصة ، قد لا يتفهمها أو ينظر منها سواهم . والأدب الرمزي ، أو الرمزية في الأدب ، فن قائم بذاته ، وقد وجد قبولا وأرضا صلبة ، وقف ولا يزال وسيبقى ثابتا عليها ، شأن كل جديد له صلة بالنفس البشرية المعاصرة ، ومع ذلك فانه لم يعم الجميع ، ولم يطغى بعد على الطابع « الكلاسيكي » في الأدب ، وفي محيطنا الشرقي ربما بقى كحال الشعر الحر ومصارعته « المضحكة » مع الشعر المقفى ؟ ! :

ان الأدب الرمزي — اقول هذا وانا لا أميل اليه ، لا يتحدث عن اشياء عدمية الوجود . وان أتخذ من زوايا الكلمات اشكالا « سريالية » مبهمة وقابلة للتحوير والتأويل ، الا انه جلى الفكرة ، نجد ذلك واضحا في القصيدة أو المسرحية الرمزية ، والمسرحية أو القصيدة الرمزية بلا فكرة تبدو ذلك العمل المستهجن . بل لا تبدو شيئا ذا أهمية أو جدوى . وعندما تتناول المسرحية ، قطاعا من الحياة ، أو جزءا من الزمن، فانها لا تقتصر على مساحة من الارض ، وتبعا لذلك يتعين على قارئها ، أن يكون ملما بأشياء وألوان شتى من الثقافة الواسعة ! يقول « مارى م كولم » — بضم اللام — عن أصحاب هذا اللون من الأدب : « فكأنهم يقولون للقاريء : لا يتألف ذهنك من الأفكار المتوارثة والعواطف التي يشترك فيها معظم البشر فحسب ، ولا من التجارب المادية

العامة المشتركة فحسب ، بل انه يتألف من الكتب التي قرأتها والموسيقى التي سمعتها والصور التي رأيتها ، والأقطار التي طوفت فيها ، والتاريخ الذي فقهته ، انه يتألف من هذه كلها ، بالاضافة الى ما لقنته من معتقدات ، وما ورثته أو تلقيته عن بيئتك من جهاز عصبي ، ان شخصيتك في أي لحظة من لحظات الوجود تتألف من كل شيء تعرض له وعيك » . وهكذا يساعدنا هذا القول على أن كتابة الأدب الرمزي وفهمه أيضا عملا ليس بمقدورنا أن نلم به من أول تجربة أو عاشرها ، أو نكتبه ببساطة التعبير عن أشيائنا الخاصة ، كتجاربنا في الحب ، أو الحياة ، دون أن نكون في مستوى يسمح لنا بذلك ! ثم أن كاتب الأدب الرمزي ليس بمقدوره أن يدخل أفكاره ومشاعره في رأس القاريء ، بأسلوب أو كلمات رمزية بحته ــ كخالص الذهب ــ وعندما تكون المسرحية أو القصيدة رمزية بحتة ، فانها لا تحسب عندئذ كنتاج يخدم الانسانية لأن رابطها بالحياة غير موجود ، اذ يكون كاتبها بذلك قد « شطب » أهم مقوماتها وهي حركة المشاعر المعبرة عن خوالج النفس ، وتخلو المشاعر المكتوبة من الحركة عندما تكتب بلغة نفهمها ، ولكن بكلمات نجهل ماذا تعنى ! لأن الكلمة تحدد المعنى ، وليس المعنى يحدد الكلمة سلفا !! ــ وفي الأوردية ترسم الكلمة بالحرف العربي ــ ومع ذلك نقرأ ولا نفهم ماذا تعنى !!

أهــو جديــد

ان الدقيقة الأخيرة من الساعة هي بقيتها ، والساعة الأخيرة من اليوم هي بقيته ، وآخر يوم من الشهر بقيته الخ . ثم ان فكرة اليوم تتبلور غدا أو بعد غد ، وقد تتأخر في الاتيان بنتائجها ، وانما يكون ذلك حسبما تقتضيه الظروف المحيطة والعوامل أو الدوافع ، وبالتالي المثابرة في انجاز هذه الفكرة ، أو الخمول في تأخيرها . وهكذا لا شيء يستجد في لحظة ما . لأن الحياة مجموعة من التراكمات والترسبات القديمة والحديثة ، الحياة عطاء مستمر ، وجديد يقدم . ولا شيء يندثر من ذلك ، وما الجديد الا بقية قديم . وغزو الفضاء أو القمر لم يكن ذلك الأمر المفاجيء ولكن ذلك نتيجة أفكار جديدة ، استقت روافدها من معين أفكار ودراسات ونظريات تراكمية قديمة ، وذات الأمر ينطبق في لحظة ما على زراعة القلوب والأعمال الجليلة الاخرى !!(١)

ان جديدا يطرأ كل يوم هو جديد في مظهره ، وليس في جوهره . ومهما بلغت الاشياء في تكاملها ، فانها لا تأخذ شكلها النهائي ، ولا تكاملاتها القصوى ! وعندما تبلغ الاشياء أشكالها النهائية من الوجهة « التقنية » فانها تأخذ في التراجع ــ التوقف ــ ليس الى الخلف ، ولكن أمام المنجزات المشابهة لها ، والتي تفوقها هولا وضخامة ، تماما كنسبة الطائرة الى الصاروخ ، والى المركبة الفضائية « وما أوتيتم من العلم الا قليلا » .

بالتأكيد : ان الاشياء الجديدة لا تقوم دونما جذور قديمة ، على أن الجديد قــد

---

(١) التراكم الحضاري دراسة معدة للكاتب .

يصل الى درجة من التكامل يحدث معها ، أن ينفصل تماما عن قديمه ويتخذ أشكالا تصبح المقارنة معها ضربا من الخيال ، فنعتقد عندئذ ان هذا الجديد لا قديم له .. ولعل هذا ينطبق على المخترعات العلمية ــ الآليات ــ اكثر من الاتجاهات الفلسفية ، أو الاستنتاجات الفكرية ــ ان جازت التسمية ــ كاكتشاف الجاذبية .

ان ماضي الحياة مصدر لحاضرها ، والأديب الذي لا يستقى معينه من الحياة لا يخدم بنتاجه الانسانية . ثم انه لا يمكن بحال أن نأتي بجديد مطلق !! اذ لا بد للجديد من صلة بقديم ما ، في كتاب « اليس ماريوت » ــ الجدات العشر ــ جاء في سياق الحوار الدائر بين اثنين « لا بد لك من أشياء جديدة ، لا بد لك من ينابيع جديدة لانماء العشب . ولكن العشب ينمو في الارض القديمة ، فلا بد لك من أشياء قديمة تمتد فيها جذور الاشياء الجديدة . هذا هو السبب في أن بعض الناس يحب أن يستمر بالقديم . وبعضهم يحب أن يدفع بالجديد الى الامام . كلاهما محق ، كلاهما لا بد له من ذلك » وعلى هذا القول يضيف « ج. دونالد أدامز » بقوله : « ولعله كان بوسعه أن يضيف « وبعضنا يستطيع أن يفعل الاثنين معا » .

أجل !! نستطيع أن نفعل ذلك لان الرمزية مزيجا من عطاء الحياة والتصورات الذاتية ــ لما يمكن أن يكون هو الأفضل أبد ــ « وأدب الشفرة » أيضا لا يخلومن عطاء الحياة ، ولكنه ذلك الاحساس الذاتي البحت ، في نفسية كاتبه ، ذلك الذي ينتج بالتالي عطاءا ذاتيا بحتا كذلك ــ انه لا يلتزم ، بل لا يحتمل الاضافات الجديدة أو الآتية من خارج الأنا ــ ان مثل هذا الكاتب يحس ما يهمه وحده . ويعبر عنه لنفسه وحده فحسب !! فيما يختلف العطاء والاحساس في الرمزية الحقة . اذ تستوحي الفكرة عن احساس أكبر وأشمل من احساس الذاتية المفردة ، فيكون العطاء أو الانتاج من ثم ترجمة عامة لفكرة محسوسة جماعيا .على أن الرمزية ذاتها لم تسلم كاتجاه أدبي بارز ، اذ لا يزال هناك من يرى عدم مقدرتها على أيصال الفكرة الى ذهن القاريء واضحة غير مشوهة ــ وفي ذلك كثير من الصواب ــ كما لا يزال هناك من يبدى استيائه من الطريقة التي نظم بها « ت. س. اليوت » ومن هم على طريقته بالنسبة للشعر و « لجميس جويس » و « فرجينيا وولف » وكثيرون بالنسبة للاغراق الرمزي في الرواية وهكذا يجب أن أقول في نهاية هذا الحديث أن « أدب الشفرة » هذا ليس جديدا مفاجئا ، ولكن قديمه ذلك المفهوم الخاطيء لمعنى الرمزية في الأدب . وأضيف أيضا انه لا جديد في لحظة ما ــ بالنسبة للفكر الانساني ــ ولكن لا تعمق بلا فهم ولا فهم لأبعاد الطيوف . وسلفا قلت : لا شيء كالخيال في المرآة !! والاسلوب مرآة تعكس مفهوم الكاتب !

نقد لديوان « ابيات غزل »

بقلم : فوزيـــة البكـــر

* * يعد النقد الأدبى مفتاحا يمكن عن طريقه ابراز قيمته الفنية والموضوعية وتحديد خصائصه الشعرية والتعبيرية ... وتسجيل ما أضافه الى تراث الأمة التى ظهر فيها ... والتراث الأنساني بشكل عام .

والنقد فى بلادنا كان مرافقا للمظاهر الأدبية التى يخدمها يصحو حين تصحو ... ويغفو حين تنام وتكسل ... يتناولها ان هى أنتجت ويجفوها ان آثرت السلامة !

وقد كان النقد الأدبى فى بلادنا ولا زال وقفا على الرجال ودون النساء تقريبا ، ليس لأن الرجل أراد ذلك أو عمل له ... ولكن لأن المراة لم تكن مؤهلة من الناحية الثقافية والأدبية من جهة ولانها لم تحاول خوض هذا الغمار من جهة أخرى .

غير أن الزمن الحاضر يشهد يقظة ليست بسيطة ، ستخلق لا شك مناخـــا ثقافيا منتجا ، ساعدنى على أن ألج بنفسى فى « محاولة » نقدية لعمل أدبى .

تلك هى تناولى ديوان د. غازى القصيبى « ابيات غزل » « دار العلوم » ببعض الملاحظات اضافة الى ما ذكره أخوة كرام تناولوا هذا الديوان بالنقد والملاحظة .

والذى يمكن أن أقول فى البداية أنه يمكن تقسيم هذا الديوان الى جزأين .

أولهما تلك القصائد التى نشرت حتى عام ١٩٦٠ م. ثم الأخر الباقيات اللواتى نشرت حتى عام ١٩٧٠ م.

وقصائد الجزء الأول لا يمكن تناولها على أنها تمثل مرحلة جديدة فى الحياة الشعرية للشاعر لمجرد أنها لم تنشر الا فى عام ١٩٧٦ م. ذلك أنها بعض مما أنتجه الشاعر بعد عام ١٩٦٦ م. « أى بعد تلك القصائد » قد نشرت فى ديوانه معركـــة بلا راية سنة ١٩٧١ م. دار الكتب فى بيروت .

وبذا يتضح سبب ضعف بعض تلك القصائد اذ هى تعتبر متقدمة بالنسبة للشاعر اغفلها لفترة ثم اظهرها ليتم ما بين يدينا ، ولتكون جزءا تابعا لغيره فى سياق شعره تتضح فيها خطوطه ومستويات تقدمه .

والشاعر بشكل عام ينهج أسلوب التجديد فى الشعر العربى الحديث رغـــم عدم اتضاح مناهج هذا الأسلوب وسماته المميزة نتيجة للمناخ العربى العام الملىء بتأثيرات ثقافية لا حصر لها وبنقلات سياسية مفككة . وان تمكن من .. اجادة استخدم هذا الأسلوب فى كثير من قصائد ديوانه معركة بلا راية وبعض من تلـــك التى ذكرت فى ديوان « أبيات غزل » .

يقول العقاد فى كتابه الفصول « الكلام العاطل ليس أدبا وانما الذى يستحق ذلك هو الذى يكسو ثوبا من الجمال والجلال » .

ويقول شبلى « للغة الشعراء لون خاص وصدى موسيقى يوافق الصوت وبدونه لا يكون الشعر » ، وعلى هذا وغيره مما اتفق عليه كثير من النقاد وسأقيس بعضا من القصائد والأبيات فى هذا الديوان والذى أشهد أنى أصبت بالذهول حين قرأته فمن استطاع أن ينفش الشوق ويغزو اللهفة فى قصائده السابقة لا يمكن أن ينحدر عند الغزل فيصبح بهذه الرداءة ! !

انمن قدر أن يسكب لنا قصيدة « فى وداعتها » وقصيدة « معركة بلا راية » لا يمكن أن تصدر له وعنه قصيدة كالصيف والتى لا تعدو أن تكون محاولات تلميذ أعياه شيطان الشعر فلم يملك الا أن يخط بضع كلمات عادية تفقد حرارة المعاناة التى عرف بها الشاعر وينقصها جرسه الموسيقى المميز .

يقـــــول فيهـــــا :

مر بنا الخريف والشتاء
لم نحس بالخريف والشتاء
كنا نعيش الربيـــع
وعندما جـــاء الربيـــع
مر علينا مسرعا ... ولم يقف
لم يبقى الا الصيـــــف
فهل يضيع الصيـــــف ؟ ! !

✻ فهذه وان حملت بمعنى العاطفة الا أنها لا يمكن أن تعد شعرا اللهم الا أن أصررنا نحن العرب كعادتنا على التأثر بالألقاب والنعوت ومنحنا الشاعر القصيبى وساما على هذه الكلمات لمجرد انه يملك تقبلا كبيرا فى مختلف الأوساط ويتحلى بمكانة اجتماعية جيدة ؟ !

وفى قصيدة أين الحب يقـــول :
الحـــــب . . .
أيـــن الحـــب . . .
لفظ أجوف فقد المعانى
كقولنا ... فلان .... أن فلان
... مات وانتهى «

✻ ليست مهمة الشعر أن يعطينا حقائق جامدة أو رؤى فلسفية وانما أن يسكب كل هذا فى قالب موح مثير للطاقات الشعورية والانفعالية الوجدانية فـــى النفوس ، والشاعر هو من يمتلك القدرة على التقاط مشاعر الناس عامة كالرادار

تماما ... اللهم الا أن هذا يعنى بالألتقاط الموجات الصوتية وخلافه مما وضح من أجله ، بينما يلتقط الشاعر ما تعجز عنه تلك الأجهزة .. المادية من التقاطه ... روح الانسان ووجدانه ... أحاسيسه ومشاعره ... ليصور كل ذلك لنا في قالب يحقق الوجود الكامل لمن يقراه ، بحيث يحس معه أنه تصوير فعلى عن ذاته .

يقول الشاعر فى نفس المعنى فى ديوان معركة بلا راية بأسلوب بديع ص ١٧٠ :

رجعت اليك محروما
لأن الكون أضلاع
بـــلا قلـــب
لأن الحـــب الفاظ
مجردة من الحـــب
رجعت اليك مهزوما
لأنى خضت معركة الحياة
بسيف احساســـى

وواضح ما بين القولين من بون شواء فى الطاقة الشعورية أو الاسلوب التعبيرى ولعل ذلك عائد الى أن الشاعر كتب قصيدة ابن الحب عام ٥٩ م. بينما كتب الأخرى عام ٦٦ م.

وفى قصيدة الهوى يقول :

الهوى لا يسلب الانسان
شيئـــــا
من شقائـــه
من ثوانى يأســـه
من حقـــده
من كبريائـــه

فيما يقول من قصيدة أخرى فى ديوان معركة بلا راية : —

من جرب الحب لم يقدر على حسد
من عانق الحب ... لم يحقد على أحد

وبغض النظر عن راى الكثرة من الشعراء والأدباء من القدامى والمحدثين الذين تنضخ قصائدهم وأحاديثهم بقدرة الحب الخارقة على تخليص النفس مـــن أحقادها وان لم يقضى على كبريائها يمكن ارجاع ما بين مغزاة الشاعر من ... اختلاف الى اللحظة الشعورية التى انطقته القصيدة والى الطبيعة الانسانية المتناقضة.

ولكننا أيضا لا نغفل ان تلك القصيدة ككثير من قصائد الديوان تتميز بالبساطة التامة والوضوح فى الفكرة الى حد السذاجة أحيانا بحيث لا يحتاج معه القارىء الى أن يعمل فكره أو يجهد نفسه ، رغم أن هذا ما ينتظر من أى كاتب خاصة فـــى المراحل الحالية التى تمر بها والتى نقصت عن الكتابة صورة المفكر الخلاق المحمل برسالة عظيمة يمكن أن تهز الأمم .

وعلى الرغم من ذلك فقد تميزت القصيدة بقوة الألفاظ الموحية المؤثرة رغم خلوها من الخيالات والتأويلات التي تضفي على الشعر جمالا لا يخفى على الشاعر .

* * وفي قصيدة على الرصيف يبدو الشاعر كما لو عاوده أعباؤه الشعرى فجاءت قصيدة هزيلة تمثل مرحلة التلمذة في حياة الشاعر وتنبيء عن سذاجة لا تتوقها فيه ولعل ما يخفف وقعها فيه أنها من قصائد الجزء الأول !

وقصيدة رسالة تصلح بالتأثير النزارى وان كان الشاعر قد انجبها قبل أن يطبع نزار ديوانه « حبيبتي » الذي يحوى قصائد رسائل محترقة وفيها شيء من القصيدة المذكورة .

وقصائد ... سؤال ، ومثل صحرائى الحزن ، أين الحب ، كأنى خلقت لمسح الدموع ، يعانق فيها الشاعر بعضا من أوجاع « توماس هاردى » ... في تصوره عن نظم الكره التي يمكن أن تؤدى في الفناء ، الا أن شاعرنا أرحب صدرا وأقل قنوطا ويأسا وأوثق بمقدرته على معالجة آهات الآخرين .

وبتصفح الديوان نلتقط واحدة من أجمل القصائد التي وردت فيه وهي قصيدة « زعموا » حيث تحس فيها دفقا عاطفيا قويا وحرارة عرف بها الشاعر في كثير من ما يكتب فجاءت صادقة في التعبير عن ذات نفسه وان كانت في حدوده القريبة .. وتأتيك حنينا كنبع يفيض رقة وعذوبة ...

حملتك في فأنت الدماء
وأنت وراء الضلوع الوجيب
وأنت حروفي اذا ما نطقت
وأنت سكوتي الطويل الكئيب

قدرة فذة على اختيار اللفظ المناسب في المكان المناسب وتجربة شعورية صاغها لنا الشاعر في صورة حية قريبة ، استطاعت نقلنا إلى جزء من الكل الشامل المحيط، فجاءت كأكمل وأجمل ما يكون .

وقد ذكر أبو عبد الرحمن الظاهرى في « مجلة اليمامة » العدد ٥٠٨ ص ٤٨ بيت الدكتور القصيبي :

جمعت الاه في شفاهي والقى الليل في شعلتي ظلال الغروب

فظلال الغروب عند الدكتور « هذا قول أبو عبد الرحمن » اتباعا للمعاني العربية القديمة رمز ، لخريف العمر ، قال عبد الرحمن :

ولكنى أفضل معاندة التشبيهات العربية القديمة في هذا الباب لأن العصر الحديث عرف فضل المساء وأنه رسم الأحلام والبهجة والشفافية ولهذا أقول أن المساء ربيع العمر لا خريفه بالنسبة للمتيمين ... ولا احسب أن هذا يغرب من بال الدكتور ولأنه يقول :

وافرحى بالمساء يقطر أحلاما

وسناء واحقيات وورودا .... الخ

« انتهى »

وأقول هذا أن الشاعر انما يكتب تبعا للظروف المحيطة به ... وتبعا لما يعتريه من عوارض نفسية تتغير فى ناظرية كثير من قيم المعانى التى تخضع للحكم النسبى... ومن ثم لا يمكن الزامه بمعنى دون غيره فهو عرضة كغيره من الناس الى ظروف الحياة المتغيرة التى يتبعها اختلاف فى الحكم على الأمور .. والأشياء .

وبصفة عامة تميز الديوان بالبساطة والوضوح والسلامة وان خلا من التأويلات والكنايات المحببة الى الشعر العربى ، كما خلا من الأسلوب الفجائى وان حوى من التعليل ما اضاف جمالا ، كما فى قصيدته « مغرورة » وان لم يكن معناها مناسبا للحياة الحاضـــــرة .

** وبعد ... أرانى قد أوضحت ما أريد قوله ... ولا أعتقد أن د. القصيبى يغضب من النقـد .

فمن آمن بالنزاهة الأدبية والرغبة فى قول الحق قال دون مواربة رغم أنـــى لا أعرف د. غازى وان كنت معجبة به كغيرى ... ولا يعنى هذا تلييننا لما سبق ، فما أراه قوله فقط دون اى شىء آخر ولكن الأجواء الأدبية قد لا تألف مثل هذا خاصة حين يصدر من احدى الكاتبـــات .

الأدب السعودي الحديث .. في الميزان

بقلم الاديبة : أسيمة الشهيل

تاريخنا العربي الاسلامي ... سطر لنا صفحات المجد والبطولات الخالدة ... وتاريخنا الحضارى الاسلامي ... شهد لنا بأننا كنا السابقين في ارساء علوم الطب والرياضيات والكيمياء والفلك وغيرها من العلوم ... وتاريخ المرأة في الاسلام ... شهد لها بمكانة مشرفة رفيعة ، فهي المحاربة المجاهدة ... وهي البليغة الفصيحة لست هنا في صدد الحديث عن تاريخنا وأمجادنا وبطولاتنا ومشاهير نسائنا فقد كفاني ذلك الكتاب والأدباء والصحافة ... وكأن العقول العربية قد نضب معينها من الأفكار والبحوث .. وتضاءلت قدرتها على الابداع والابتكار .. فأصبح موضوع التغني بالأمجاد الغابرة قاسما مشتركا بين الجميع . ولئن دلت تلك الظاهرة على شيء فانما تدل على ثقة مزعزعة بالنفوس .. فالتفاخر بالماضي عادة جاهلية قطع دابرها الاسلام .. واحل محلها ثقة راسخة العمق تستقي متانتها وأصولها من الايمان بعقيدة سمت بالعقول العربية الى حد الكمال ! والآن ... ماذا عن تاريخ الأدب العربي في جزيرة العرب ؟ ... انه الأدب العريق في أصالته وخلوده ! فماذا اذن عن تاريخ الأدب السعودى الحديث ؟ بكل أسى نقول : لا بد لنا من الانسياق في نفس المسلك الذى سايره الكتاب والمؤلفون الصحفيون .. فلم يظهر في ساحتنا من نتغنى بأمجاد عطائهم وانتاجهم ... فلا بد اذن من الرجوع القهقرى مئات السنين لنرفع عقيدتنا ونقول : في يوم من الأيام ... وقف على أطلالنا أعظم الرجال ... ووصف نجومنا وسماءنا أفصح الأدباء ... وتغزل بجميلاتنا أرق الشعراء ... وخلد مثلنا وشجاعتنا أبلغ الفصحاء ! ... في يوم من الأيام ترجم أسلافنا ثقافات العالم ، فتلاقح فكرنا مع أفكار الشعوب ... فأخذنا عنها وأعطيناها ونقدناها فاكتسبنا ليونة الاخذ والعطاء ... ثم البسنا معارفنا ثوب الأصالة العربية الخالصة... في يوم من الأيام كنا مدرسة فكرية حضارية متكاملة أصلها في الارض ، وفروعها في السماء ... فأين نقف الآن ؟ . . .

أين أدباؤنا وشعراؤنا ومؤلفونا ومترجمونا ؟ أين شاعراتنا ومحارباتنا وفصيحاتنا وملهماتنا ؟ بالأمس كان ضياء نجومنا يفتق ظلام من عميت أبصارهم وكانت صحراؤنا برمالها وتلالها وأطلالها تفجر المواهب وتطلق المشاعر فما بالنا اليوم ؟؟ ..

ان ظاهرة القحط والجدب في حقل الأدب في بلادنا لظاهرة مفجعة اذا ما قورنت بخصوبة العطاء الأدبي لتلك الديار ... وبما أن قصة العظمة والأصالة للادب العربي قديمة قدم التاريخ وغير خافية على أحد ... فان هذه الحالة من الاعسار لتستلفت النظر ، وتثير التساؤل وتستدعي وقفة كبرى . واذا كان معظمأدبائنا ومفكرينا يعزون تخلفنا في مجال القصة والرواية والمسرحية الى كون هذه الفنون

الأدبية مستحدثة ولا أصول لها في الأدب العربي ، ويرجعون تفوق البلدان العربية الأخرى علينا في هذا المجال الى سبقهم وتقدمهم علينا بالانفتاح على الثقافات الأجنبية ... واذا كان في هذا الدفاع حجة ملؤها الصحة والاقناع .... فما هو تفسير تخلفنا الواضح في مجال احياء التراث العربي القديم ... ؟ فطلابنا في الجامعات يقرر عليهم الرجوع الى أكداس من الكتب كمراجع لدراساتهم وأبحاثهم ، ولكن يكاد يكون من النادر أن تعثر بين أسماء المؤلفين على اسم واحد أو اثنين من الكتاب السعوديين . . . . . !

ولئن كان رواد الأدب السعودي في العصر الحديث أكثر نشاطا وعطاءا في مجال الشعر والمقالة ، الا أن ذلك لا يمنع اعترافنا مجددا بأن عطاءنا في هذا المجال اذا ما قورن بعطاء الدول العربية الشقيقة عطاءا هزيل كشجرة أصابها المن فعريت الا من بعض وريقات متناثرة على أغصانها هنا وهناك ... أما اذا ما قورن بتاريخ هذه الأمة وعراقة هذه الديار بالفصاحة والبلاغة والعطاء لساقتنا النسبة الى نتائج غاية في السلبية والجمود . ولئن شعرنا برغبة في أن نشير الى حاملي النهضة الفكرية والأدبية في البلاد بيد اللوم والعتب الا اننا لا زلنا نأمل تعويضهم ما أصابنا من التقصير والعقوق تجاه مكتبة الأدب العربي ونتلهف لظهور مواهب جديدة .. تملأ الفراغ وتزيح عبء القصور في الانتاج والتأليف هذا ... ولئن بدت ظواهر للانتعاش الأدبي السريع في السنوات الأخيرة الا أن ذلك لا يمنع مناقشة الأسباب والظروف التي لازمت حركة الأدب السعودي الحديث فكان لها أثر سلبي في حركة نموه وتطوره .

أولا — تدني منزلة الشعر والأدب في العصر الحديث :

فقد كان الشاعر في الجاهلية الناطق الرسمي بلسان القبيلة ، تحدد قصائده المعايير الاجتماعية والسياسية والأخلاقية ، وكان العرب يعشقون الفصاحة والبلاغة ، ويتذوقونها باحساس فني أصيل ففتح الخلفاء والولاة أبوابهم لأهل العلم والأدب وأجزلوا لهم العطاء وأولوهم المنازل الرفيعة والاحترام والتقدير .. الا أن هذه المنزلة الرفيعة بدأت بالانحسار التدريجي حتى بلغت أسوأ مراتبها في العصر ....

ولشرح هذا المعنى نستشهد بما قاله الدكتور غازى القصيبي في محاضرة ألقاها في نادى الطائف الأدبي بتاريخ ١٣٩٦/٨/٢٧ هـ :

« ان فترات التاريخ التي تلت الجاهلية شهدت انحسارا تدريجيا في مجد الشعر ودوره السياسي والاجتماعي ويكفي أن نتحدث عن أربعة أسباب ساهمت في عملية الانحسار :

١ — كان الشعر في الجاهلية الفن الوحيد ، ثم ما لبث أن نافسته فنون أدبية أخرى كالخطابة والكتابة بأنواعها ... ثم ظهرت علوم جديدة لم تكن معروفة من قبل كالعلوم الشرعية وعلوم النحو والرياضيات والطب والفلك والأحياء .

٢ ـــ كان أهم سبب لانتشار الشعر هو سهولة حفظه في مجتمع لا يحسن القراءة والكتابة ولقد كان من الطبيعي أن يؤدى انتشار الكتابة الى امكان تداول النثر بسهولة مما أفقد الشعر ميزة كبرى .

٣ ـــ أدى تطور الحضارة وتعقد المجتمع الى أن يفقد الشعر تأثيره السحرى على العقل العربي ، ولا أظن أحدا يشك في أن انسان العصر العباسي الذى عرف قدرا كبيرا من الثقافة وعاش في بيئة فكرية متطورة ، ما كان يمكن أن يستجيب للشعر بنفس الاندفاع والحماس الذى عرفه انسان العصر الجاهلي الذى كان ينام ويصحو ويسير على ايقاع الشعر .

٤ ـــ أدى انهماك معظم الشعراء في المديح ، وتحويلهم الى اجراء يقولون ما لا يعنون الى فقدهم بعض احترام الناس وبالتالي بعض قدرتهم على التأثير بالناس وبقدوم عصور الانحطاط فقد الشعر محتواه الفني ومضمونه الاجتماعي ، ورغم أن بداية القرن العشرين شهدت محاولات من الشعراء العرب للنهوض بالشعر واعطائه بعدا اجتماعيا سياسيا ... الا انني لا أجد أى دليل يقنعني بأن هذه القصائد كانت رافدا من روافد العمل السياسي العربي ، وأستطيع القول ، اننا اذا استعرضنا المؤثرات الفعالة في حياة المجتمع العربي خلال السبعين سنة الماضية .. لم نستطع ... رغم ما نكنه للشعر من محبة أن نعتبره أحد هذه المؤثرات . ولعل أحدا لا يجادل بأن كتاب المقالة السياسية والصحفيين والعاملين في أجهزة الاعلام الأخرى ، لعبوا دورا يفوق بكثير دور الشعراء في رسم خارطة العقل العربي » .

ثانيا ـــ تأخر أدبائنا عن الاتصال بالثقافات الأجنبية :

وبتعبير آخر خمود حركة الترجمة ، وعدم دراسة اللغات الأخرى ، مما سبب في تأخر اطلاعنا على الآداب العالمية الأخرى ... ! فماذا كانت نتيجة ذلك على أدبنا؟ ... اذا رجعنا الى الفكر العربي في عصر صدر الاسلام نجد انه كان يستقي علومه من رافدين : **جاهلي** واعظم مظاهره الشعر وانساب القبائل ، **واسلامي** يبدأ في القرآن الكريم والحديث وسيرة الرسول (ص) وغزواته ... ثم الفتوح الاسلامية وأحداثها ... ! وما أن اتى عصر بني أمية والعباس من بعده حتى ظهر رافد ثالث **أجنبي** وهو جدول الثقافة التي وردت على العرب من اختلاطهم بالأمم الأخرى بعد الفتوحات الاسلامية الكبرى . واندفع العرب يبحثون وينقبون عما لدى هذه الأمم التي سبقتهم بالحضارة .. يبحثون عن المعارف الجديدة سواء أكانت تطبيقية مثل تخطيط المدن والبناء والزراعة والرى وطرق جباية الخراج وضبط الدواوين وانشاء الأساطيل ... ! او المعارف النظرية التي تمثلت في ثقافات الأمم الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية .... وابتدأت حركة الترجمة الكبرى ... فانتقلت الكنوز الفكرية الى الأمة العربية ... وعرف العرب الفلسفة اليونانية ... والمنطق ... وأحبوا الجدل ... وكانوا ناشرين لدينهم ... يجادلون النصارى وأصحاب الملل الأخرى ... وبرعوا باستظهار الأدلة والبراهين ... وظهرت آثار تلك الثقافات والعلوم

الجديدة في شعرهم ونثرهم ... فكانت حركة الترجمة هذه وسيطا أضاف للفكر العربي الكثير من الدعم الذى زاد في اثرائه وتطوره رغم محافظته على أصالتـــه العربية والاسلامية !

أما في العصر الحديث ... فيبدو لنا أن دول العالم العربي قد تقدمت علينا في مجال استيراد الفنون الأدبية الحديثة الغربية بمختلف القوالب والاتجاهات فهذه مثلا مصر وبلاد الشام .. فقد تفوقتا في مجال القصة والرواية والمسرحية ، بسبب اتصالهما المباشر بمواطن هذه الفنون الحديثة ، عن طريق الاستعمار الغربي الذى نشر ثقافته ومدارسه في هذه المناطق ... ثم ما لبث أن ظهرت حركة الترجمة والتعريب لهذه الثقافات الواردة على مبدأ ابن خلدون القائل « يتشبه المغلوب بالغالب في ملبسه ومأكله ومركبه وسلاحه » ! أما بالنسبة للجزيرة العربية .. فلم تكن متأخرة عن غيرها بالاطلاع على الآداب الغربية فحسب ، بل كما قال الدكتور منصور الحازمي في احدى محاضراته بجامعة الرياض عن الأدب العربي الحديث عام ٩٥/٩٤ هـ : « لم يكن اتصال أدبائنا بالحضارة الفكرية الغربية متأخرا وحسب ، ولم يكن في معظمه اتصالا مباشرا ، بل كان عن طريق الوسيط اللبناني أو المصري أو المهجري ، وتلك حقيقة تكشف لنا المسار الذى اتجه اليه الأدب في بلادنا منذ بداية نهضته في الربع الأول من هذا القرن وحتى الآن ... وهو مسار ترفده مراكز الثقافة العربية المجاورة بكل ما فيها من عناصر متباينة ومزيج مركب من القديم والجديد » .

من هذه النظرة الخاطفة يتبين لنا أن الروافد الفكرية تدفع بالثقافات الـــى الحركة والتطور والنمو ... ولسنا هنا ندعو لأن فكرنا نقليا مقلدا ... كلا ... انما نعتبر في تلاقح المعرفة والثقافة المتنوعة حافزا للتطور والتحرك نحو التكامل . فقـــد استوردت أمريكا ركائز نهضتها الصناعية من مراكز القوة في أوروبا ثم ما لبثت أن طورتها حتى تفوقت بها على العالم كله ... واستوردت اليابان الحضارة الأمريكية ولا زالت دائبة بالعمل المتواصل .. حتى غدت منافسة لها ! ...

ثالثا ــ الوضع الاقتصادى والدعوة العلمية :

كلنا نعلم أن الحركة الانمائية التصاعدية في هذه البلاد ارتبط ظهورها بحدثين :

١ ــ توحيد البلاد وتأسيس الحكم الرسمي للمملكة العربية السعودية من قبل المغفور له جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود .

٢ ــ اكتشاف الثروة البترولية بعد أن كانت المنطقة تعاني من قحط الموارد بكل ما تحمل هذه الكلمة من أصول وفروع ...

وخلال تلك الفترة تضخم عبء العمل بصورة تصاعدية مستمرة ... ووجد المسؤولون أنفسهم وقد حملوا عبئا هائلا من برامج التنمية التي يجب تنفيذها في المنطقة بصورة سريعة ... ومما يزيد العبء ثقلا كوننا بدأنا بالتنمية والتطوير

في القرن العشرين ، الذى كانت سمته التفوق العلمي الهائل ، وطابعه السرعة المذهلة في تحقيق المنجزات العلمية وتطويرها في العالم ... فكان علينا أن نركض ونلهث لنلحق بالركب الذى تأخرنا عن مسيرته ... وانطلاقا من هذا الوضع ظهرت الدعوة الى التركيز على الاختصاصات العلمية البحتة ... فالوزارات التي امتلأت رفوفها بخطط التنمية ومشاريع فتح الطرق وانشاء المطارات وتوسعة الموانىء وبرامج الاسكان وتطوير الجيش وتحلية مياه البحر وانشاء المدارس والجامعات واقامة المدن ... أصبحت محتاجة بالضرورة للكفاءات العلمية والاختصاصات التي تسد احتياجات طور التأسيس الحضارى في البلاد ... وتضاءلت فاعلية الأدب ... وأصبح الرأى العام مشغولا عن انتاج الكلمة ... يحصي مشاريع الدولة وما حققته من انجازات . . .

ولا نستطيع أن ننكر ، أن هذه الدعوة العلمية البحتة جاءت نتيجة حتمية لأوضاع البلاد الحالية ... وما فرضته من حركة التطور السريع ... الا أنها ليست مقصورة علينا فقط ... بل هي قائمة في جميع الدول العربية الشقيقة ... بل وفي العالم اجمع ! فقد بهرت الانجازات العلمية الغربية المتفوقة .. العقول .. فدعت الناس الى غربلة أعمالهم ومراجعتها ... فقد حمل العالم العربي لواء الفكر والبلاغة والفصاحة والشعر والأدب زمنا طويلا ... والآن أعاد النظر بالماضي وقرر اللحاق بركب العلم والتكنولوجيا .

ولكن ... هل معنى ذلك اننا لا نوافق أمتنا في اتخاذ هذه الخطوة .. وهل معنى ذلك اننا نطالبها بالعدول عن اتجاهها نحو العلم والتطور .. ورجوعها الى عزة ماضيها في الأدب والشعر ... ؟ كلا ... ليس هذا ما أقصد في تلك اللفتة اطلاقا وانما ذكرنا ذلك لسببين :

١ ــ لأظهار هذا التحول العلمي كسبب قوى أدى الى تضاؤل فاعلية الأدب في العصر الحديث .

٢ ــ للتنويه ... بأن الحضارات لا يمكن أن تبنى على العلم وحده والمادة وحدها مع اغفال النواحي الفكرية والمعنوية . فقد كانت وستبقى معطيات الفكر الأدبية والمعنوية ... ميزانا لحضارة الشعوب وتطورها ... ولم ينم قط .. أدب رفيع عند الأمم المتخلفة ... والأمثال قائمة في صفحات التاريخ فالامم : الفارسية .. واليونانية .. والهندية .. والعربية .. عندما كانت أقوى شعوب عصرها ... كانت آدابها أعظم الآداب الانسانية قاطبة ... وصدرت الفكر والثقافة للعالم ... وعندما تخاذلت وتفككت ... انحدرت آدابها .. وانحسرت آثارها .. وانزوت في كهوف مظلمة !

رابعا ــ اهمال خطط التنمية للقطاعات الفكرية والمعنوية :

والتحدث في هذا الموضوع ذو ارتباط متكامل بالبند السابق الذى تحدثنا عنه

وهو الوضع الاقتصادى والحضارى في المملكة السعودية ، الا أننا سنأخذ بمناقشة وجه آخر لنفس الموضوع ، يختلف اختلافا كاملا عن سابقه .

فكما ذكرنا ... ان الظروف التي فرضتها الحاجة الملحة على المسؤولين عند دراستهم لخطط التنمية أن يكثفوا الاهتمام على النواحي المادية النفعية البحتة .. ونحن اذ نقدر ضخامة المسؤولية التي تفرض عليهم العمل الحثيث لوضع تلك الخطط موضع التنفيذ الا أننا نتساءل ؟؟؟ ماذا عن خطط التنمية الفكرية والمعنوية ؟؟ أيـــن يقف الأديب بفكره ... والشاعر بقصائده ... والرسام بلوحاته ... وسط زحام المادة ؟ .. وهل حظي هذا القطاع بنسبة معقولة من الميزانية كي تخصص لدعمه وتطويره ؟ بل هل حظي هذا القطاع بالدراسة والتخطيط لايجاد الوسائل التي يمكن توفيرها لاتاحة فرص أكبر لتشجيع العطاء والانتاج ؟

الحقيقة ان الاهتمام الذي لقيه أهل الفكر والقلم لا يتناسب مع ضخامة الخطط المرسومة للتنمية في البلاد وخاصة اذا ما نظرنا الى الاهتمام البالغ الذى حظيت به القطاعات الأخرى (القطاع الرياضي مثلا) .

وهناك حقيقة لا يمكننا أن نغمض الطرف عنها ... وهي أن أهل الفكر والقلم عندنا مجدون على العمل بصرف النظر عن نوعية الأعمال ... طلبا للقوت والرزق... فما هي النتائج التي حصدناها من ذلك ؟ :

١ ـــ عدم تواجد الظروف الملائمة للامتهان الأدبي والتفرغ .. فمهنة الأدب لا تسمن ولا تغني من جوع ، ومشاغل العمل تذهب فرص التفرغ للقراءة والاطلاع والبحث ومن ثم الانتـــــاج .

٢ ـــ اتجاه المتخصصين بالثقافات العليا الى مهنة التدريس الجامعي ... ولسنا هنا بصدد التخفيف من عظمة شرف التدريس الجامعي ، ومسؤوليته فـــي تعليم الأجيال وبناء الأساس الفكرى والثقافي للأمة ... وانما نقول : ان الأعباء الضخمة التي يحملها الاساتذة تقف حائلا دون تفرغهم للتأليف أو الترجمة أو احياء التراث أو طرح البحوث الهامة التي تتعلق بمجالات اختصاصاتهم .

٣ ـــ اتجاه الجزء الآخر من أصحاب الفكر والقلم الى امتهان الصحافة .. والصحافة لا تشبع من العطاء .. ولا تتوقف عن الأخذ .. فتلتهم الوقت والأقلام والجهود وما أكثر من فقدهم الأدب عندما تفرغوا للصحافة وأكبر مثل على ذلك كلمة اعتراف للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار في كتابه (كلام في الأدب) حيث قال : « نعم جنت الصحافة علي أفظع جناية ، حيث أجبرتني ان اترك الأدب الحق لأعمل بالصحافة، وما اشتغلت بها الا مجبرا لأعيش ، ولو كنت ذا ثروة أو مكيفا في المعيشة لما رضيت أن تلتهمني وتتحكم بي وتستبد وتظلم . وكان بين يدى بضعة أعمال أدبية ضخمة تركتها مضطرا منها : تحقيق كتب مطبوعة طباعة غير موثوق بها وبعضها مخطوطات

أدبية وعلمية ولغوية وتاريخية . ومنها دراسة الطبقات والاقتصاد في الاسلام ... ولكن جاءت الصحافة فشغلتني وصرفتني عن طريقي ... !

٤ ــ أدت الأسباب السابقة مجتمعة الى ظاهرتين :

الأولى : النقص الهائل في حقل التأليف والانتاج .

والثانية : اقتصار محاولات معظم أدبائنا وكتابنا على تجربة واحدة أو اثنتين أو أكثر قليلا عند قلة منهم في المدة الأخيرة ... فالكاتب الذى يخوض تجربة التأليف دون أن يكون متفرغا لها ، لا بد وأن يصادف كثيرا من الارتباك والارهاق لمحاولته التوفيق بين عمله ومسؤولياته من جهة وبين مصاعب البحث والتأليف من جهة أخرى. فاذا انتهى بعون الله من تجربته الأولى تردد كثيرا قبل أن يغامر بالثانية .

ومن هنا نجد أن كتابنا بأقلالهم هذا لا يدعون المجال للتطور والنضج من خلال تكرار التجارب والمحاولات ... فتتوقف محاولاتهم عند البداية ... وتبقى تجاربهم عائمة على السطح عاجزة عن اكتشاف الأعماق .

خامسا ــ الارتباك في حركة النقد الأدبي :

عندما بدأت بوادر التحرك الأدبي في البلاد منذ أواخر الربع الأول من هــذا القرن رافقتها بطبيعة الحال بوادر لحركة النقد الأدبي .

وقد كان النقد منذ عرفه العرب بالجاهلية بصورة فطرية بدائية والى عهدنا الحالي غربالا يميز بين الجيد والرديء ، ودافعا لتهذيب المواهب وصقل الملكات ... وبما أن ظهور الحركات النقدية ملازم أصلا لظهور الحركات الفكرية والأدبية ، فان خمود الفكر وضمور الأدب بالتالي يستدعي ارتباكا وخمودا في حركات النقد .

وقد بدأت حركة النقد في أولها في أواخر العقد الثالث من هذا القرن كما ذكر الدكتور محمد الشامخ في كتابه (النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية) عندما ظهرت الدعوة للثورة على الأدب التقليدي والانتماء للمدرسة الأدبية الحديثة . الا أن الكتابات التي طرحت في هذا المجال كانت متسمة بالغموض والتعميم والاندفاع ولم تعرف العمق والموضوعية وأصول النقد . ثم ما لبثت أن ظهرت جريدة « صوت الحجاز » في أوائل العقد الرابع من هذا القرن ... فتحولت معظم أعمدتها الــى المعارك الأدبية النقدية التي لم يقم معظمها لخلاف حول مفاهيم نقدية معينة بل تحولت الى معارك ذات دوافع شخصية ونزعات ذاتية .. مما جعل محرر صوت الحجاز في العدد ٨١ ــ تاريخ ١٩٣٣/١١/١ م. يعلن بأن الجريدة لن تنشر شيئا من مقالات النقد الهجومية قائلا : « وكأنهم بذلك يريدون القضاء على تلك الروح الأدبية في مهدها».

ومن الزلات التي وقع فيها النقد الأدبي عندنا في بداية ظهوره .. نظرة الترفع عن كتابة الأدب والشعر بصورة خاصة ... ففي فترة زمنية معينة نظر الناس الــى

الشعر ... والقصة ... على انها تجارب شخصية بحتة وترجمة ذاتية لمشاعر الأديب وعلاقاته الخاصة ... مما سبب حرجا لبعض الكتاب والشعراء في طرح انتاجهم ونشره خوفا من انتقاد المجتمع لهم . وفي هذا يقول محمد سرور الصبان في كتاب « أدب الحجاز » بالصفحة السادسة : « قرض الشعر وروايته ... والنظر في كتب الأدب مما لا يليق ... والترفع عنها من الكرامة ... » .

هذا ولئن تلاشت النظرة في الوقت الحاضر ... الا أنها لا زالت تحجب عنا الكثير ... الكثير ... من الأدب النسائي !

ولا يفوتنا أن نذكر ، أن حركة النقد قد أخذت بالانصاف والنضوج والموضوعية وتدرجت نحو الكمال والوعي للاصول والأسس التي بني عليها النقد الهادف الصحيح، وابتدأت حركة النضج هذه في تصاعدها منذ العقد الخامس من هذا القرن الا أن ما عاناه النقد الأدبي السعودى قبل هذه الفترة من الارتباك والضعف كان له أثر سيء على التحرك الأدبي وقد أسلفنا سابقا شدة الالتصاق والترابط بين النقد والأدب .

سادسا ـ الدعوة الحديثة للأدب الحر :

لسنا هنا في صدد المناظرة والموازنة بين الأدب القديم والحديث أو الانتصار لأحدهما على حساب الآخر ... وانما سنأخذ من الموضوع الجانب الذى نشعر بارتباطه وأثره على الأدب السعودى الحديث . فمنذ أن قامت حركة التجديد في الأدب الحديث بثورتها العارمة على القيود التي التزم بها الأدب العربي لقرون طويلة من الزمن ... نتج عن تلك الدعوة المتجددة ظواهر متعددة طرحت جوانب ايجابية وسلبية على حد سواء ... ! فمن ايجابياتها حركة الابداع الفكري والتجديد العقلي التي بعثت الفكر العربي من رقاده بعد أن احتواه الضياع ولفه العقم ودخل في جحور مظلمة قاتمة قرونا طويلة من الزمن ، امتدت منذ سقوط الدولة العباسية الى انتهاء الحكم العثماني ، حيث أصبح الأدب العربي حلقة مفقودة سقطت من سلسلة التاريخ .

أما السلبيات للدعوة الحديثة للأدب الحر فتجلت في ظاهرتين :

الأولى ـ أنها فتحت باب الأدب ، ونزعت عنه الحجاب والحراس وسمحت دون استثناء بدخوله وارتياد حرمته من قبل الجميع ... فاختلط الحابل بالنابل وأتيحت الفرص أمام الموهوبين والمدعين على حد سواء ... وامتلأت المكتبات بأكداس من الانتاج ندر جيده ... وكانت غالبيته من انتاج زمرة المتطفلين على الفكر والأدب ... فكتبوا ما يشبه النثر وأسموه أدبا ... وجمعوا كلمات غثة متنافرة متناقضة ، واسموها شعرا حرا وطليقا وانحدر مستوى اللغة العربية ... وأثقلت السطور بالأخطاء النحوية والتراكيب الركيكة ... وأصبح معظم الانتاج المطروح في الأسواق مكتوبا باللغة الثالثة ونعني بها لغة جديدة مفهومة من قبل الجميع ولكنها لا تحمل هوية واضحة ، فلا هي بالعامية الدارجة لمراعاتها للأصول اللغوية العامة ، ولا هي بذات قربى الى اللغة العربية الفصحى . وسبب كل هذا انحدارا في المستوى العام للانتاج

الأدبي ، فابتعد الجيل عن الأصالة في الأدب ولم يعد يجد في المكتبات ما يغذى فكره ويهذب مواهبه فكان في ذلك جناية على الذوق العام عند الناس ، واحباط للمواهب الفتية التي ابتعدت عن الأصالة الفنية فتوقفت تلك المواهب حيث هي ... وقد حرمت من أسباب الارتقاء نحو النضج والتكامل .

الثانية ــ ظهور مهنة حديثة لم يعهدها الأدب العربي ولا الآداب العالمية الأخرى وهي مهنة « التجارة الأدبية » فقد قام بعض الأدعياء بطباعة كتب رخيصة الفكرة والمعنى والأسلوب تدور موضوعاتها في مجالات مختلفة لا علاقة لها بالمفاهيم الانسانية أو المغامرات السطحية المفتعلة ، أو البطولات الخارقة الخالية من الغاية والمعنى ، أو الكتب المأجورة التي كان الغرض من تأليفها نشر مبادىء أو عقائد معينة ، ولا علاقة لها بأصول الأدب ومفاهيمه وغاياته .

وصرفت الأموال لترويج الدعاية لهذه الكتب ... للاسراع في جني الأرباح والأموال من ورائها وهكذا دخلت التجارة في نطاق الأدب ، وقذفت المطابع أكواما من الكتب الرديئة نثرا وشعرا ... وكانت النتيجة ، أن افتقدت أجيالنا القدرة على الانتقاء فدفعت بهم تلك الظروف الى متاهة البحث عن الجيد حينا ... ومتاهة الانسياق وراء الانتاج الردىء أحيانا أخرى !

والآن ... وبعد ذلك المرور على مناقشة أسباب آفة الجمود التي أصابت الأدب السعودى لفترة طويلة فاننا نود أن نعقب القول ببعض الملاحظات .

ان الارض التي شرفها الله واصطفاها لنزول القرآن الكريم باعجازه وكماله لن ينضب فيها العطاء ... وان الأصالة التي اتصف بها الفكر العربي الذى انطلق من هذه البلاد لن تتلاشى مهما جنت ... وان الحضارة الفكرية العريقة التي صدرتها تلك الديار فأصبحت مدرسة يأخذ عنها العالم لن تمحى وان بهتت ألوانها .. فالجوهر موجود ... كامن في رمالها وتلالها ... وما علينا الا نفض الغبار عنه ليعود الى لمعانه ويستدعي ذلك اتخاذ بعض الحلول والخطوات مثل :

* اهتمام الاعلام بكل أجهزته في زيادة البرامج الأدبية سواء في التلفاز أو الاذاعة أو الصحف والمجلات ... وعلى سبيل المثال فهناك برنامج تبثه اذاعة بغداد تحت اسم (رسائل جامعية) يناقش فيها الاساتذة طلابهم برسائل الماجستير والدكتوراه في مجالات الاختصاص ... ومثل هذا البرنامج يطرح فوائد هائلة ، ان لم ينتفع بها الجميع ... فانها ولا شك تنفع طلاب المراحل الثانوية والجامعات والكليات والدراسات العليا .

* محاولة النهوض بتلك البرامج الأدبية سواء أكانت في الصحف والاذاعة والتلفاز أو في الندوات الأدبية والشعرية ، وذلك باستقطاب الاساتذة المتخصصين وأهل الفكر والأدب والشعر ... ومثال ذلك أننا لم نشاهد الشيخ حمد الجاسر

على الشاشة الصغيرة سوى مرة واحدة حتى الآن ... ولطالما شاهدنا الدكتور غازى القصيبي والدكتور ابراهيم العواجي وغيرهم من أهل الفكر والأدب يتحدثون عن التصنيع والتنمية وبرامج الدولة ... فلماذا لا تستضيفهم الشاشة في ندوات عن الشعر والأدب ؟

* التركيز على زيادة النوادى الأدبية وزيادة دعمهـــا المادى ، وايجـــاد الوسائل لخلق التنافس بين هذه الأندية ... كتخصيص مكافآت مالية ومنح أرض واقامة مبان واهداء كأس رمزى لأحسن ناد يثبت جدارته بالعمل والنشاط والانتاج .

* تخصيص مكافآت مالية مرتفعة لأوائل الطلبة في جميع مراحل التعليم ومثلها لأجود كتاب ... وأحسن قصيدة ... وأنفع بحث ... وكل انتاج يعود بالفائدة والنفع للمصلحـــة العامـــــــة .

* اصدار مجلة أدبية ثقافية على مستوى عال رفيع ، يستكتب فيها أهل الفكر والعلم والأدب ... ويثار فيها النقاش النقدى السليم المتصف بالموضوعية والبعيد عن الهجوم الشخصي واللهجة العنيفة ، وتأمين ايصال هذه المجلة الى الطلبة .

* ادخال طريقة البحوث الثقافية في مناهج التدريس ابتداءا من المراحل المتوسطة فيعهد للطالب بقراءة بعض الكتب .. أو نقدها .. وتقديم بحث عن معلوماتها ومن ثم احتساب جزء من العلامات (مثلا علامات أعمال السنة) لجهود الطالب في تلك البحوث بعد مناقشته والتأكد من استيعابه لهـــــا .

* توجيه الاهتمام في خطط التنمية المرسومة للنهضة الحالية الى طرح خطط تنمية مماثلة تهتم بتطوير القطاع الفكرى ودعمه .. الى جانب القطاعات المادية والعملية الأخرى .. بحيث تتماشى اليقظة الفكرية مع التطور الحضارى الهائل والسريع .

* اصدار قانون « بدل التفرغ » لأهل الفكر والتأليف والبحوث والترجمة والنشر وقد صدر هذا القانون فعلا في السنوات القليلة الماضية (........) والأمل الكبير معقود على نتائجه التي ظهرت بوادرها في السنوات الأخيرة بشكل مشجع وعظيم .

* محاولة دعم حركة الترجمة والاطلاع على الآداب العالمية الراقية حتى تعمق ثقافتنا بمعرفة الثقافات الانسانية المتعددة الجوانب مع التركيز على الاحتفاظ بالأصالة العربية . ومن ثم فتح المجال أمام احياء حركات النقد الأدبي **الموجه** لأن النقد دليل على وجود الأدب والاهتمام بالنقد دليل على الاهتمام بالأدب ، أما الصمت وخلو الميدان من الآراء فهو دليل على الجمود وضعف الحاسة الأدبية . واحياء النقد في الساحات الأدبية ذو ارتباط كامل مع سعة الاطلاع والقراءة المتنوعة والشاملة لجميع ما أنتجه الفكر سواءا في النطاق المحلي وذلك بالاطلاع على التراث العربي قديمه وحديثه ،

او في النطاق العالمي بالاطلاع على الآداب الأخرى في العالم قديمها وحديثها ... وكثرة القراءة واتساع المعرفة تعطي المجال للانتقاء والمفاضلة والتفريق بين الجيد والرديء ... وفي هذا المعنى قال الدكتور محمد مندور في رابطة الأدب الحديث في القاهرة الكلمة التالية « ان الكتاب الناشئين يكتبون أحد عشر شهرا ويقرؤون احدى عشرة ساعة وكان الواجب أن يقرؤوا أحد عشر شهرا ويكتبوا احدى عشرة ساعـــــة » .

واذكاء هواية القراءة والاطلاع بحاجة الى التوجيه والرعاية من عدة قطاعات :

١) **الأسرة :** وتشكل المهد الأول لتربية النشىء وتوجيهه وذلك بجعل المكتبة احدى الأركان الرئيسية في المنزل ، مع الابتداء بعادة اهداء الكتب للاطفال في المناسبات ومحاولة مناقشتهم وتبسيط المعلومات لهم واثابة الطفل المحب للقراءة بالهدايا الرمزية.

٢) **المدرسة :** ويتوجب عليها الاهتمام بانشاء المكتبة المدرسية كاهتمامها بانشاء المختبرات العلمية والألعاب الرياضية وغيرها من مظاهر النشاط المدرسي مع اثابة الطفل القارىء ببعض العلامات أو بخطاب تقدير وشكر وما شابه ذلك من الوسائل التشجيعيـــــة .

٣) **المعاهد والكليات والجامعات :** فمعظم المكتبات في تلك القطاعات الهامـــة تعاني من أزمة النقص في الكتب والمراجع الهامة ، ويضل طلابها في متاهة البحث عـــن الرئيسية المقررة لدراساتهم مما يضطرهم لاستيرادها من خارج المملكة أو لكتابة ملخصات عن محاضرات الاساتذة .

٤) **الدولـــــة :** ويربطنا الحديث مرة أخرى بخطط الدولة للتنمية الفكرية . فاقبال التجار على تجارة الكتب نادر جدا ، لأن التاجر يسعى — معذورا — لرزقه وما يعود عليه بالربح الأوفر .. ولذا نجد معظم الأحياء في مدننا وقد خلت من المكتبات العامة والخاصة على حد سواء . فلنأخذ مثلا الأحياء التالية في الرياض : السليمانية العليا — البديعة — الناصرية — المربع — الشميسي — عليشة — الوشم ... وغيرها نجدها خالية تماما من دور الكتب . أما المطار والملز فنعثر فيهما على ثلاثة متاجر صغيرة تبيع الأدوات المدرسية والهدايا والألعاب والصحف والمجلات . وفي نفس الوقت نجد الشوارع في هذه الأحياء وقد اكتظت بالمتاجر المتنوعة وفي مقدمتها متاجر اشرطة التسجيل الحافلة بالمزامير والطبول وهذا ما دعانا للقول بأن على الدولة أن تراعي في خططها الاهتمام باقامة المكتبات في الأحياء المختلفة .

وفي الختام نقول ... ان مسحة التشاؤم التي لازمت السطور في هذه المحاضرة لا تعني الاستمرارية والثبات ... وان الآفات التي أصابت الحركة الأدبية السعودية لآخذة بالضمور والانحسار . ففي السنوات الأخيرة ظهرت بوادر للتساؤل المقرون بالاهتمام والتحرك ... فتساءل الجميع ... أين الأدب السعودى ؟ وبنفس الوقت

ظهرت بوادر الاهتمام بالرد على هذا السؤال من قبل الجميع ... الدولة وأهل الفكر وأصحاب المواهب الناشئة والصحافة والمواطنين والطلبة ... وبدأنا نسمع بولادة النوادى الأدبية .. .والدعوة الى احياء سوق عكاظ ... وتخصيص الصفحات الأدبية في الصحف ، واحياء الندوات والمحاضرات في الجامعات والكليات والنوادى ، وأصدرت الدولة قانون بدل التفرغ للأدباء والاساتذة ، كما التزمت بالانفاق علـــى تأليف الكتب الجيدة ... وبدأت أسواقنا تشهد ورود سيل من الكتب القيمة التي تبحث في معظم النواحي الفكرية شعرا ونثرا . ورافق ذلك كله الانتشار الهائل الذى تشهده حركة التعليم والثقافة ، مما أدى الى اعادة تقييم النظرة لرواد الفكر والأدب واعطائهم حق التقدير والريادة كبناة لأسس النهضة الفكرية والثقافية التي تشكل حجر الأساس في النهضة الحضارية العامة التي تمر بها البلاد الآن ، كما أدى الى اعادة تقييم النظرة لأدب المرأة الذى قبع في الكهوف المظلمة سنوات طويلة دون أن يلامس خيطا من نور ! وبذلك دخل الأدب السعودى في مرحلة الانتقال نظرا لحداثتهـــا والعطاء ... وقد ملنا الى تسمية تلك الفترة باسم مرحلة الانتقال نظرا لحداثتها وقصر مدتها ... فالحركات الأدبية بعيدة العمق واسعة الشمول يتعذر الحكم عليها في فترة قصيرة المدى .. ولكنها سحائب غيث انعقدت فوق سماء الأدب ... حاملة بشائر الخير والبركة التي نأمل أن تبدد برذاذها حالة القحط والجدب التي عانت منها ديار كانت موطن قوم تجيش البلاغة والفصاحة في صدورهم فتقذفهـــا السنتهم بالفطرة والسليقة ومهبط لغة القرآن التي هي من الأصالة والاعجاز والكمال بحيث استطاعت أن تحتوى اللغات .. وتصهر الحضارات في بوتقة الحضارة الاسلامية العربية الأصيلة ... من أقصى مشارق الارض الى مغاربها !



مراجع البحث

كلام في الأدب	الاستاذ أحمد عبد الغفور عطار
تاريخ الأدب العربي في العصر الاسلامي	د . شوقي ضيف
شعراء نجد المعاصرون	عبد الله بن ادريس
النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية	د . محمد عبد الرحمن الشامخ
محاضرة ـ هل للشعر مكان في القرن العشرين	د . غازى القصيبي
من محاضرات جامعة الرياض الأدب العربي الحديث ٩٤ / ١٣٩٥ هـ.	د . منصور الحازمي
اللهجات العربية في شرقي الجزيرة	ترجمة الدكتور أحمد الضبيب

النقد العربي إلى اين يسير ؟

بقلم : مناحى ضاوى القثامى

متى نعقد العزم على استكمال المسيرة الثقافية ومواصلتها دون خواء أو شلل فكرى فيه تيه وتقصير يرجع بنا الى مزبلة التاريخ .

وحتى لا يكون ذلك متواجد فى الساحة الأدبية وخاصة فى النقد الأدبى ، يجب على الناقد الأدبى الترفع عن الاسفاطات الرديئة المبتذلة من أجل أن لا تذوب أعماله الناجحة ، وأن يكون فى حسبانه احترام قدسية الحرف وشرف الكلمة التى تؤثر فى حياة الأمـــة .

وتكريس حياة هذا الكاتب الناقد للخير والسلام وانتهاج خط سير معين مستهدفا فيه ابراز الأعمال الناجحة دون الحط من قيمة الآخرين والتقليل من شأن أعمالهم ، والدخول فى مهاترات جانبية وفردية ذاتية لا تخدم الأدب عموما .

وألا يحاول الناقد الصيد فى الماء العكر والنفخ فى القرب المثقوبة وأن يراعى معايير ومضامين تكفل له السير بخطى ثابتة وحسب قواعد معروفة فى النظام الهرمى للنقد الحق الثابت مع اصطناع مناهج ومفاهيم جديدة بالدراسة النقدية الأدبية ضمن اطارات وحسب مقاييس وضوابط منهجية صادرة من الوجدان ومتجهة للوجدان.

والعودة الى الذات الأولى الصافية ، وأقصد بالذات الأولى الرجوع الى الفطرة البدوية الأولى السليمة التى لا تعرف الكذب والرياء والمحسوبية والمجاملة ضـد المصلحة العامـــة .

وحتى لا نحيد عن جادة الحق والصواب فى أعمالنا النقدية ، يجب أن تعمل مراكز الثقافة فى عالمنا العربى من أجل خلق المثقف العربى القادر على استقبال المعرفة والاحتواء لها ، والارتفاع عن سمات ومظاهر الانحراف والنفاق والرياء والتحيز لفئة دون أخرى ، والابتعاد عن سمات الكراهية والغيرة والأنانية الرذيلة التى يرفضها المنطق ، والعصبية الأقليمية الذميمة التى تبعد بين الأدباء العرب وتعمل فى شرخ وشائج الروابط الأخوية والعرقية والتاريخية ... بين الأمة الواحدة.

وأن يكون النقد ممثلا للنزاهة والخلق الرفيع ، فيه صبر وذكاء وفطنة واتزان ، وأن يتحلى الناقد الأدبى بالشجاعة والصراحة مع النفس والاصالة الخلقية والمقدرة الأدبية المبدعة مع التركيز على عوامل عدة منها محاولة الكشف عن المواهب الشابة ان وجدت ، وانصاف ... المغمورين وعدم التعصب والتشيع لشىء لا يخدم الحق والفضيلة ، وأن لا يبنى نقده على عوامل مترهلة واهية ضعيفة البنية لا تسندها الحقيقة لأن النقد والناقد لا شك مقيد بمذاهب وايدلوجيات معينة ، وخط سير معين .

وأقصد بهذا الناقد الأصيل ، وهو علاوة على ذلك خادم مخلص وأمين لتراثه ومجتمعه الذى تربى فيه ، وأن يترك الناقد الغموض والابهام فى الكتابة ، فالغامض لا يخدم الحقيقة ، ولا يمثل مسار معين ومنهج علمى يدلنا على شخصية ذلك الناقد الذى يجب أن يصب نقده من أجل ابراز بمجهره الأعمال النافعة ، مع تلاقى السلبيات ، وتمجيد الايجابيات الصالحة واعطاء فرص كافية فى التجربة الجادة من أجل الابداع والكشف عن القدرات والمهارات الجديدة والنظر من جديد فى تحريك البنية الاجتماعية والتربوية والثقافية والاعلاميـــة ...

وأن تكون هذه المؤسسات الذى يجب أن يسير عبرها الناقد الأدبى ممثلة بحق فى تحمل مسؤلياتها كاملة ، متقبلة لما يصدر اليها من توجيه صحيح من قبل النقاد.

لأن الانسان العربى الذى يجب أن تمثله مؤسساته الثقافية والعلمية والاجتماعية والسياسية هو ذاته الهدف الأعظم والأنبل ، مع ايجاد الحس الوطنى والاجتماعى فى بناء شخصية عربية متكاملة ليكون لدينا قابلية ذهنية من أجل تحسين المرامى الجديدة الذى يجب أن تهدف نحو العمل على تخطى العوائق والعقبات والصعاب .

وحسب الظروف القائمة مع التركيز على القضايا الوطنية المصيريـــة لهـــذه الأمة الخالدة ، والذى يجب أيضا أن يسير النقد مع أطوار هذا الانسان حسب مفاهيم واضحة ايجابية تعطى فرصا كافية فى التجارب الجادة ، وعدم الهروب من النقـــد والمسئولية ، حتى نتمكن أن نثرى عن طريق الانتاج الدسم ممثلا لمسار الميادين الحياتية عامة ، وميدان الأدب الجيد خاصة والمتسم بالرصانة والجزالة والجودة ، وأن يكون نقدنا مرتكزا على المنطق العقلى وايراد البراهين والحجج التى تبرهن على الصدق .

وبذلك تمدنا بالحجة التى ترفض اللجوء الى العاطفة السريعة وأن يكون لدينا فى النقد الفطنة والذكاء فى دقائق الأمور وخفاياها ، وأن يتذوق الناقد القطعة الذى يريد نقدها وتقويمها ضمن منهج علمى صرف ، مع الدراسة والتحليل لهذه القطعة بطرق مبتكرة فيها الجديد النافع ، والقديم الأصيل ، وأن يتوفر فى الناقد احاطة وشمولية وخبرة مع الذوق الفنى .

والناقد ان لم يكن كاتبا أو شاعرا ، أو قصصيا ، فأنه لا يحسن النقد ، لأن الشاعر والكاتب يشعر بما لا يشعر به غيره من القول ، فيفصح عما فى نفسه الممثلة للنفس البشرية ، وليعبر عن آمال وآلام أمته بصدق ومعرفة .

وقد قيل ما معنـــــاه :

« ان الناقد الأدبى هو أديب فاشل لأنه لم يستطع التعبير عن تجربته الأدبية فسلك النقد للتقليل من أعمال الآخرين والحط من شأنهم ، وأن يظهر أنه فاهم وقادر على الانتاج ، وربما مصدر ذلك عقدة النقص أو مركبه » .

لذلك الأديب الحق هو من يقول كلمته بصراحة متناهية ، فيجد من الأوساط الأدبية والعلمية الجحود لانه لا يجامل ولا يخشى فى الحق لومة لائم .

« وقال الأديب العربى الراحل » : (محمد كرد على) « ما معناه للناقد العربى المعروف (مارون عبود) زرت معظم دول العالم فوجدت الناس يكرهون الناقد ، ووجدتهم يقيمون تمثالا لكل ذى شأن ، الا الناقد لم أجد تمثالا واحدا له » .

فمن هذا ومن خلال تتبع مسارات الثقافة العربية والحركة النقدية نجد أننا غير متبصرين فى عالمنا العربى ، وبجدية واثراء بخط نقدى معين لأننا لا شك قد بليت مدارسنا النقدية العربية بمن يدعى المعرفة النقدية وهو فاقد لها « وفاقد الشىء لا يعطيــه » .

فهل فقدت القدرة على التعبير عن مكونات النفس البشرية التى يجب أن يكون مصدرها الحق والصدق الواقعى مع النفس .

وهل محررى كل صفحة أدبية فى مجلة أو صحيفة معرفة تامة عن اتجاهات المدارس والمذاهب الأدبية أمثال : ــ

١ ــ الكلاسيكية (الاتباعية) التى قامت أولا عند الأغريق ثم الرومان وظهرت بواكيرها حقيقة أبان عصر النهضة الأوروبية الحالية ، وهى كلمة تعنى الطبقة العليا من الناس تمجد القديم وتحافظ عليه ويغلب عليها التقليد ، يمثلها فى عالمنا العربى من الشعراء .. « زهير بن أبى سلمة ، والحطيئة ، والمتنبى ، وأبو تمام ، والبحترى ، والشريف الرضى ، والبارودى ، وشوقى ، وحافظ ، والجارم ، وغنيم » .

٢ ــ المدرسة الرومانتيكية (الابداعية) ظهرت حديثا فى فرنسا وبالتحديد فى القرن التاسع عشر الميلادى ، وهى تمجد الجمال والطبيعة وغير مقلدة ، مبتكرة ، تسعى الى التطوير ، يمثلها فى شعرنا العربى « أبو نواس ، والمعرى ، وابن الرومى، ومطران خليل مطران ، وأبو القاسم الشابى ، وشعراء المهجر عموما وشعراء الارض المحتلـــــة » .

٣ ــ الى جانب هذا توجد المدارس النقدية الأدبية التى منها الواقعية والرمزية والسريالية والوجودية لها تمثيلا أكثر فى العالم الأجنبى .

أننى أطالب من هنا أن يدرك النقاد ومشرفى الصفحات الأدبية فى الصحف العربية دورهم فى رفع البنية الثقافية والمعدلات الأدبية العريقة وأن تنطوى رسالتهم الأدبية بالالتزام بالمثل والفضيلة ، والبحث عن المستويات الجادة الأكثر ابداعـــا واشراقا ، وادراكا للمسئولية من أجل اثراء الساحة الأدبية العربية بكل جديد مفيد ، والتركيز على الاحتواء للحقيقة وتسليط الأضواء الدالة عليها ، وعدم التعرض لمواضيع لا يعرف الناقد عنها الشىء الكثير ، وأن يستكمل جوانب الموضوع قبل نقده حتى لا تحصل هفوات وهنات تحط من مكانة الكاتب الأدبية ، والا يغالط الواقع والحقيقة المنشـــــودة .

مع عدم ميل الناقد للهوى لما فى نفسه ، واتباع أسلوب الانحياز بالعواطف والأحقاد لتحقيق مصالح ذاتية خاصة له .

وأيضا عدم الهذيان والهوس والرقص على طبول أمجاد زائفة لا تقوم على خلفيات وأرضية صلبة ، بل تقوم على أرضية هشة لا تقوى على الصمود وبالتالى يصبح مصيرها الذوبان على جنبات الواقع .

وأن تكون المسيرة الأدبية الخيرة هى هدف الناقد الأدبى . ومشرفى الأدب فى الصفحات الادبية مع التركيز على الحقائق الواضحة المعالم والخصائص التى تفصح عن المضمون فى صدق كاتبه ، والبحث عن أسرار الجمال الفنى لأن الناقد لا شك صانع مبدع ، يقدم للبشرية خلاصة التجارب الفلسفية ويقدم أيضا الأعمال النافعة التى تستحق منه الاشادة والتعريف .

كل ذلك فى ومضة فكرية جيدة خلاقة تركز على مسارات الأمة الحياتية والشمولية منها متخذة من التجارب الانسانية الوقود المساعد على الابداع والعطاء ضمن وعلى ضوء المعادلة التاريخية للامة بقدر ما يقدم الناقد من أعمال جيدة صادقة تبرز أهميتـــــــه .

فيكون نقده ممثلا للقوة والصدق والمتوهج بحرارة نحو الهدف الأسمى والتفاعل مع المجتمع ، فتكون أعماله نابعة من القلب ، فيها الخير والمردود الحسن .

وحتى نبسط المناهج والمفاهيم النقدية يجب أن نتبع المنهج العلمى والعملى الصرف المستند على ايراد الحقيقة العقلانية والبحث عنها وحدها واستقصاء جزئيات الموضوع المنقود ، بواقعية لا مغالطة فيها ، والالمام بمختلف النظريات النقدية والتيارات الفكرية النقدية ، والتمثيل بشواهد منها والصدق والاخلاص لهذا العمل ، والسعى من أجل تطويره مع وضوح الرؤيا لطريق الكاتب .

وأيضا تطبيق المناهج الحديثة الأكثر مواكبة للعصر على النصوص التراثية والحديث منها ، بهدف الانطلاق بذلك لتكوين المدرسة النقدية العربية الجديرة بالتشجيع.

وحتى لا نساهم فى قبر وانحطاط هذه المدرسة الثقافية العربية الرصينة الرائدة، يجب التطبيق السلوكى للاخلاقيات العربية والامتصاص الثقافى فى مثالية سلوكية وبعد فهم ، وعدم الشح فى بلورة التفاعل الصالح مع اجراء تطبيقات منهجية جديدة، والمرور بمرحلة استيطان داخلى يؤكد الانتماء الى عملية معرفية تقرر مستقبلنا فى النقد العربى ، وضمن اطارات ومسارات تاريخية عميقة الجذور تجسد قاعدة متينة مـــن الابـــــداع .

وبخلفية مشبعة بالاخلاص والرغبة المبطنة للعمل الجاد والتفاعل ضمن هـــذا المسار دون اعوجاج ومراوغة ، وعدم الابحار ضد التيار العاتى وفى تموجات تذوب عليهـــا الواقعيـــة .

فمتى يدرك الأدباء وشداة الأدب المتأدبين أن القراءة الطويلة المضنية وأقصد بالقراءة هى قراءة كل دسم سمين وليس غث لا ينفع .

يقول أبو هلال العسكرى الناقد العربى الكبير فى كتابه الصناعتين ويقصد بها صناعة الشعر والنثر ، « ينبغى أن يتكلم الكاتب أو الخطيب بنادر الكلام ورصينه ومحكمه ، الى أن قال أيضا أجود الكلام ما يكون جزلا سهلا لا ينغلق معناه ولا يستبهم فهمه » .

ومتى أيضا تبرز المدرسة النقدية العربية الواضحة المعانى المستندة علـــى التذوق الأدبى الفنى الخلاق ، والتى تقدر أعمال الآخرين وتقيم وتوجه هذه الأعمال بحق وحقيقة ، وأن يكون هذا الناقد ذواقا لا يقلد أو يتبع مدرسة نقدية أجنبية بعيدة عن الأجواء العربية ، ومتى أيضا نحدد هويتنا الأدبية العربية ، ومتى يكون تعبير الناقد العربى حى لا خمول فيه ولا تقليد مخل له ، لنقده طابع خاص ولتفكيره وتعبيره مميزات ومؤهلات تميزه عن غيره .

وأن يكتب الكاتب كما كتب الجاحظ الذى تعلم كتبه العقل أولا ، وكذلك كما كتب أبو بكر بن دريد والأصمعى والعسكرى ، وابن قتيبة ، وابن الأثير وابن المبرد ، وغيرهم ... أصحاب أبجديات النقد الأول .

أنه من المحتم أن يكتب الناقد بريشة الرسام الفنان ، وليس بقلم الكاتب المتقاعس.

ويجب أن يستند ويسير نقدنا العربى ضمن ومدرسة الفن للحياة مع الأخـــذ بالقيم الاسلامية الخالـــــدة .

كل ذلك لهدف خدمة رسالة الحياة الانسانية ، وابراز جوانب الخير التـــى تمثل المجتمع العربى فنيا وأدبيا واجتماعيا وصحيا وثقافيا مع تقديم كل ما يخـــدم الحقيقة واظهار المحاسن ومعالجة العيوب واتقان العمل النقدى وتقبله . وقد قيل :ـــ

« من المناقشة ينبثق النور » ، وأن تظهر لدى الناقد مميزات منها ، قوة الفكر ، والاحساس بالمشكلة ، ووضع الحلول لها ، وأن تكون عاطفته فى النقد علمية صرفة وليست تبعا للهوى والميل النفسى حتى لا يكون فى تيه وضياع من أمره مثل السفينة التى لا تستطيع الرسو على الشاطىء بسلام .

وأن يكون رأيه هادىء وصائب مع السمو ودقة وجمال التعبير ، وابداع فى اظهار الحقيقة والصورة الجلية ، وعشقه للحكمة والكلمة الطيبة مع مواصلة القراءة الجادة الطويلة النافعة لتكون وسيلة قادرة أن يجتاز بها الناقد متاهات الخـــواء الفكرى ، وأن يهتم بتنمية قدراته الأدبية والفنية وتنويع مصادر معارفه .

فمن أين يستمد الناقد مقوماته النقدية وهو لا يقرأ كل جديد فى التراث المعرفى، فالقراءة الجادة تنبىء عن قناعة فى التجربة المرحلية وترسم مساحة السير العريض بخطة ثابتة بمستقبل الكاتب ، وتلقى فيه شحنة دافعة تظهر ميلاد معارف جديدة يستطيع بها صياغة فنية فى قالب جيد ، يمنعه من التلاشى بفنه واندثاره وذوبانه مـــــع الزمـــــــن .

وعلى الناقد أن يعمل لقضية يسعى اليها تجعله ينصهر فى بوتقة الجماهير العريضة ، لأن الشعب هو المادة الخام لأبداع الأديب الناقد الذى يريد الدفاع عن جذور حضارته على ضوء الواقع الملموس ، وعلى أرضية صلبة وخلفية تسندها الحقيقة والواقع العلمى والبراهين والأدلة المستمدة من التجارب الحياتية والمعاناة والتعب اللذان يكسبان الناقد رصيدا من الخصائص المساعدة في الحياة .

وأخيرا أقول مع الأديب المبدع والمدرسة الفذة فى الأدب العربى « مصطفى صادق الرافعى » (ان لم يكن البحر فلا تنتظر اللؤلؤ ، وان لم يكن النجم فلا تنتظر الشعاع ، وان لم تكن شجرة الورد فلا تنتظر الورد ، وان لم يكن الكاتب البيانى فلا تنتظر الأديب » .



المضيفات والممرضات في الشعر المعاصر

بقلم الاستاذ : عبد الرحمن المعمر

أيها الجمع الكريم

ليست هذه محاضرة وانما هي خاطرة ادبية عنت لي وخطرت ببالي وأنا أقلب بعض الوان من الشعر وشيئا من نثر قليل . فقد رأيت تشابها كبيرا بين المستشفى والطائرة وتوالفا غير منكور بين المضيفة والممرضة . وشبه اجماع بين نزلاء المشافي وزوارهم ومرافقيهم وركاب الطائرات ومستقبليهم أو مودعيهم على تصرفات ونظرات ليست كلها بريئة . وهذه طائفة من عناصر التشابه .

● يحجز الناس سررا بالمستشفيات ومقاعد بالطائرات ويتصلون قبل الحجز وبعد

●يتمنى الناس لمن يدخل المستشفى السلامة والخروج معافى ولمن يدخل الطائرة النجاة والوصول سالما .

● يحضر القادم للمستشفى معه حقيبة ملابس وأدوات حلاقة وأمشاط شعر وفرش أسنان ومناشف وكذا راكب الطائرة يصحب معه بعض اللوازم اليومية للاستعمال في الجو .

● تقدم الشوكلاطه والحلويات ليمصها ركاب الطائرات ويهدي الزوار للمريض علب الحلوى والعصير يوزع على من يزوره ويأكل ويشرب منها في ساعات الخلوة .

● ينام الانسان ويشخر بالطائرات وكذا بالمستشفيات ويحدث الناس اذا استقيظ بما مر عليه ورأى في المنام من أحلام .

● كثيرا ما نسمع عن اناس لا يحبون السفر بالطائرة بل يخافون من دخولها وهي واقفة كما يقول الشاعر :

« أركب الليث ولا أركبها » .

ويتحملون وعثاء السفر بالبر او دوار السفينة بالبحر ومثلهم قوم آخرون لا يحبون الذهاب الى المستشفيات مهما كانت الاصابات ويتحملون الكي بالنار ومعالجة الكسور بالاخشاب والجبائر ومداواة الصدر والبطن والرأس بالنشوق والصعوط والمروخ والبخور ويجدون لذة عجيبة في تحمل كل هذا العناء ويهربون من تناول ملعقة من الدواء أو وخز ابرة من يد ممرضة حسناء .

● يحتفل الناس بوصول المسافر وخروج المريض ويفرحون ويحضرون للسلام عليهما وتهنئتهما بالسلامة ودعواتهما للولائم والاكلات .

● بعض النساء يلدن بالمستشفيات وأخر جاءهن المخاض وهن يعتلين متن الريح مسافرات .

● يعطى المرء اسعافا بالمستشفى وفي الطائرة يتداركون المصاب بالاكسجين وسريع العـــلاج .

● يقدم الطعام والشراب في أطباق نظيفة على عربات تدفع بالايدي وتسير على عجلات بين الدهاليز والممرات هنا وهناك .

● يكثر نزلاء المستشفى وركاب الطائرة من ضغط الأجراس ولمس أزرة اللمبات رغبة في تكرار الطلبات وتكرار النظر معا ولو شاؤا لطلبوا مرة واحدة ولكنه الخبث والمكر من البعض والرغبة في التمتع بالنظر الى بدائع صنع الله بالجملة والقطاعي .

● الصحف والمجلات تسلية المسافر والمريض والسرر والكراسي والسلالم والنقالات منظر غير مستنكر في الاثنين .

● توحيد زي العاملات في الجو والارض ووضع أوسمة وشارات على الاكتف والرؤوس .

● يتعارف بعض الناس لأول مرة في المستشفيات أو بالطائرات وقد تتطور هذه المعرفة الى علاقة وصداقة متينة يكون من نتيجتها تجارة رابحة أو زواج موفق أو اصلاح بين متخاصمين أو غير ذلك .

● تدرس العاملات في المشافي والطائرات العلاقات الانسانية وطرق التودد الى الزبائن والرفق بالمرضى وتحمل مطالبهم الكثيرة وممازحاتهـم ومعاكساتهـم السمجة ولكن الى حد « فليحذر الذين يبالغون في المعاكسة والمزاح أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم » .

● الممرضات والمضيفات من أعرف الناس بالناس فهن اللائي يرين الناس في الكوارث والفواجع ومواقف الخوف فيعرفن كيف يجزعون أو يحتملون وكيف يفزعون أو يصبرون وكيف يضعفون أو يقوون وكيف يتجلدون أو ينهارون اما خارج المستشفى وخارج الطائرة فكلهم شجاع وكلهم قوي وكلهم ليث غضنفر وأسد هصور .

● يدخل المرء المستشفى وقد لا يخرج حيا ويركب الطائرة وقد لا يصل سالما . ويكون في السرير تحت العلاج القاسي يغذى بأنابيب ويخرج منه البول بواسطة الشفط وحالته بين اليأس والرجاء ومع هذا نلاحظ بعض أولى العزم من المرضى يحملقون في الممرضات وهم في تلك الحالة . . والمسافر يكون معلقا بين السماء والارض يتأرجح بين الرعب والدهشة قد شد بالحزام فيقرأ آية الكرسي ويتمتم بالمعوذتين وأحيانا ينظر الى المضيفة خلسة بطرف العين .

والان تعالو نطف مع بعض الشعراء ونسبح بأجنحتنا في السماء ثم نهبط الى الارض .

في عام ١٩٥٩ سافر الى دمشق طائفة من شعراء مصر لحضور مهرجان الشعر الذي أقيم بسورية وفي جوف الطائرة كانت المضيفة الحسناء « فاندا » تخطر بين الصفوف بهندامها البديع وقوامها المشوق ووجهها المشرق وثغرها البسام فتخلق جوا رقيقا مشبعا بالأريج المسكر وتهاويل الاحلام المبهجة وكانت ابتسامتها الوديعة مبعث الامن والطمأنينة في النفوس .

وكانت حلوياتها التي توزعها على الركاب تنسيهم محاذير الشر وكان سمتها الباهر الذي يشبه سمت الملائكة في هذا الافق الشعري الموشى الذي نحس فيه قربنا من الملأ الاعلى والذي يؤمن فيه الكافر ويتقي الفاجر ، يضفي على القلوب بشاشة الايمان ويصلها بمصدر الجمال وخالق الجمال ومحب الجمال البارىء المبدع المصور . **تبارك الله أحسن الخالقين .**

كانت « فاندا » تقدر ما وهبها الله من سحر وفتون وكانت تعرف ان هذه العصابة التي تناوشتها من كل جانب هم شعراء يستهويهم الجمال ويدركون من مفاتنه ما لا يدركه غيرهم .

وأخرج أحدهم ورقة كتب فيها الشاعران محمد فوزي العنتيل ومحمد محمد علي قصيدة مشتركة :

يا حلوة كالسكر	وغضة كالزهر
تخطري تخطري	فوق الربيع الأخضر
وخالطي أرواحنا	مثل نسيم السحر
يا مشرق النور الذي	هفا اليه بصري
وجنة الخلد التي	أهدي اليها عمري

ومرت الورقة على جماعة آخرين من الشعراء فأضاف اليها علي أحمد باكثيرقوله:

رحماك شاعر هنا	جودي له بالنظر
جودي بنصف قبلة	تنقذه من سقر
سافر يبغي وطرا	وأنت كل الوطر

ومرت الورقة على الاستاذ علي الجندي فنظم قصيدة طويلة نختار منها هذه الأبيات :

رعاك الله يا « فندا »	وحاط جمالك الفردا
الى أكبادنا الوجدا	وصان محاسن أهدت
ولا برحت عنايته	« لطيرك » في السرى جندا
واجراه على الاقبال	اما خب أو شدا
رأينا الحسن في وجهه	تجلى كوكبا سعدا
فكبرنا وسبحنا	وأزجينا له الحمدا
وقلنا هذه حوراء	شاهدنا بها « الخلدا »

وقال الشاعر عبد الرحمن صدقي بعد هبوط الطائرة وكأنه يودعها ويودع مضيفتها اللطيفة :

مضيفة تخطر في الأعالي	كأنها الملاك في خيالي
لطيفة الخطوة والتثني	في غير ما كبر ولا اختيال
بسمتها الحلوة في حياء	طارت بعقلي وقضت خبالي
أنت التي أعليت من تحليقنا	فزاد أميالا على أميالي
يا ليتنا في الجو ما برحنا	لم نهبط الارض من الأعالي

وهكذا يتمنى الشاعر لو بقي محلقا في الجو مع من أحب قريبا من عالم الصفاء وسماء الملائكة حيث لا حاسد ولا عذول مبتعدا عن الارض وعالم الطين حيث الصدام والصراع الرهيب بين الآدميين .

ونترك « فندا » وحزبها لنلتقي مع الشاعر السعودي محمد بن علي السنوسي في قصيدته التي عنوانها « شد الحزام » وركوب الطائرة أسر واعتقال فالانسان أسير المقعد لا يستطيع التحرك الا بأذن من جاره وفك لحزامه فاذا انفك من أسر الحزام والمقعد وقع في أسر آخر وقيد معنوي ذلك هو فتنة المضيفات الحسناوات فالله ما أعجب هذه الحياة التي طوقت الانسان بالقيود الحسية والمعنوية في الارض والجو .

رسمت على الشفتين بسمة	جذابة كشعاع نجمه
ورنت رنو الظبي أبصر	في يد القناص سهمه
تتزاحم الالحاظ حول	لحاظها والحسن زحمه
ومشت فما خطو الحمام	وما اليمام يهز جسمه
تهتز اعطافا وتغري	فتنة وترق خدمه
وتكلمت فسمعت أرخم	نبره وأرق نغمه
تتساقط الألفاظ تحت	لسانها كعصير كرمه
شد الحزام تقولها	وأقول لست أجيد حزمه
أنا خصم كل يد سواك	تشده وتفض ختمه
مدت أناملها تزيح	خصائلا كالليل ظلمه
فبدى ضياء الفجر	فوق جبينها نورا ونسمه
قلبي يحب وانما في	حبه خلق وحشمه
ويهيم بالغيد الحسان	ولا يبيح لهن حرمه

ونعود للشاعر عبد الرحمن صدقي فقد كان يكره الخروج للمطار في وداع أو استقبال ولكن مضيفة في الخطوط الجوية السورية جعلته يسعى للمطار طرفي النهار وزلفا من الليل لعله يراها أو يرى من رآها .

بنفسي سقيم الطرف مهضومه القد	جنوني بها سيان في القرب والبعد
فهل بك منه يا ابنة الشام بعضه	أو أني حمال لأهواله وحدي

لقد كان يمضي العام منذ لقائنـــا وقلبي بليــل مـــن جهالتــه مــردى
فما اختلفت بيني وبينك في الهــوى رسـول ولا جــادت رسائل بالــرد
أيا جارة الـــوادي هـــواي كعهـــده فهل أنت مثلي ما برحت على العهـــد
كرهت ركوب الريح من قبــل موفـــدا فأصبحــت أسعى للمطـــار بلا وفـــد
وكان اتفاقـــا ان تطرقـــت للحمـــى ولكن عودي للحمى اليوم عن عهــد
أعاود فـــوق السحب حجى قاصـــدا ولا علم لي ان كنت مبلغتي قصـــدي

والآن وقد أعيانا التحليق والطيران فلنهبط الى الارض بسلام (فما طار طير وارتفع الا كما طار وقع) ولنتجه من المطار الى المستشفى لنزور شاعر العرب الكبير أحمد الصافي النجفي فقد طال مكثه في المستشفى وهو لا يريد الشفاء السريع لئلا يفارق من أحب .

بخديــك أحببت زهـــو الـــورود وفـــي مقلتيــك عشقــت الذبــولا
اذا ما نظـــرت سبيــت القلـــوب وامـــا نطقــت سلبـــت العقـــولا
ينافس فيـــك العليـــــل الطبيـــب ويحســـد فيــك الصحيح العليـــلا
تمرض كفــــاك أهـــــل السقـــام وحبــك يولـــى الضنـــى والنحـــولا
عليلـــك ليس يريـــد الشفــــاء لئــلا يكابــد عنـــك الرحيـــلا

ولا يبعد شاعرنا النجفي عن نظيره صدقي فتحمل الألم بقرب الحبيب خير من الشفاء الذي يبعده عنه فهو لا يريد أن يبرأ حتى لا يبارح من نظراته تسبي القلوب ومسة منه تجري الكهرباء في الجسم .

مـــــرض الحبيـــب فزرتــــه فمرضـــت مـــــن حـــذري عليـــــه
وأتـــى الحبيـــب يزورنــــي فشفيـــت مـــن نظـــري اليــــه

وأصيب الشاعر محمود سليم الحوت بكسور في الأضلع وشرخا في الجسم عطله عن الوثب والقيام ولكن من تقوم بتمريضه أنسته ذلك العذاب وكانت له عوضا عن نشاطه فتمد له يدها اذا رغب القيام وترفده بصدرها اذا مال وتعضد له اذا سار فلا تثريب عليه اذا هتف قائلا :

ممرضتـــي كدت أنســـى المرضـــ وكســـرا بضلعي وشرخـــا أرضـــ
وأوجـــاع صـــدر وهـــي عظمـــة وجرحـــا بداخلـــه قـــد امضـــ
وآلام نفـــس تعـــاف الرقـــاد وان كـــان جفني لـــه مـــا غمضـــ
كرهـــت انطراحي وليـــس الطريـــح علـــى ظهـــره كالـــذي قـــد ربض
اذا شـــاء نـــام قريـــر الجفـــون وان شـــاء كالليـــث وثبـــا نهضـــ
فلولاك أنـــت ملاكـــي الحنـــون لضاقـــت بجسمـــي روحي مضضـــ
لقـــد كنـــت لي شمس عمر جديـــد وقـــد كنـــت لي عن نشاطي عوضـــ

ونلتقي بالشاعر ابراهيم طوقان الذي هام بناعمة اليدين واستشفت مهجته

بالغيد الحسان حتى قرر أن نظرة من الممرضة تشفي قبل ابرة الآسى . وأقول يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا اذكر ما قاله الاخر :

ويلاه ان نظرت وان هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

ولكن شاعرنا المعلم ابراهيم يقول والله لو اقترفت أعظم ذنب في الوجود ثم جاءتني بعده بعذر واه لغفرته لها على ما كان منها ولا أبالي .. ومن هنا صدق من قال « الحسن مرحوم » وكلما يفعل المحبوب محبوب .

يا حلوة العينين يا قاسيه سرعان ما أصبحت لي ناسيه
أما أنا فلست أنسى يدا ناعمة تجود بالعافيه
لئن شفي الطب ضنى عارضا فمهجتي أنت لها شافيه
وابرة الآسى على نفعها افعل منها نظرة ساجيه
تبثها عيناك في أضلعي فياضة بعطفها آسيه
تلأم قلبا نكأت جرحه فعاد يهوى مرة ثانيه
وتطفىء النار التي حركت فأرجعتها زفرة حاميه
قيصرة الحسن الا اشتكي اليك من جورك يا طاغيه
هل كان نسيانك لي هفوة أم خطة اشراكها خافيه
سيدتي ذنبك مهما يكن تغفره أعذارك الواهيه

ولطوقان في ملائكة الرحمة قصيدة أخرى شبه فيها الحمائم بالمحسنات الى المرضى وهو تشبيه جد موفق فالمرضة في مشيتها ونعومة ملمسها وبياض ثيابها ورقة صوتها تقترب من الحمامة كثيرا وتلتقي معها في أوصاف عدة . وأشباه متعددة :

بيض الحمائم حسبهن اني أردد سجعهنه
رمز السلامة والوداعة منذ بدء الخلق هنه
في كل روض فوق دانيه القطوف لهن أنه
ويملن والاغصان ما خطر النسيم بروضهنه
فاذا صلاهن الهجير هببن نحو غدير هنه
يهبطن بعد الحوم مثل الوحي لا تدري بهنه
فاذا وقعن على الغدير ترتبت أسرابهنه
صفين طول الضفتين تعرجا بوقوفهنه
كل تقبل رسمها في الماء ساعة شربهنه
يطفئن حر جسومهن بغمسهن صدورهنه
يقع الرشاش اذا انتفضن لآلئا لرؤوسهنه
ويطرن بعد الابتراد الى الغصون مهودهنه
تنبيك أجنحة تصفق كيف كان سرورهنه
ويقر عينك عبثهن اذا جثمن بريشهنه

وتخالهـــن بـــلا رؤوس حـــين يقبـل ليلهنــــه
أخفينهـــا تحـت الجنـــاح ونمـــن مـلء جفونهنــــه
كـم هجننــي ورويــــت عنهـــن الهديــــــل فديتهنــــه

* * *

المحسنـــــات الـــى المريضـــ غـــــدون أشباهـــا لهنــــه
الـــروض كالمستشفيـــات ، دواؤهــــــا ايناسهنــــه
مــــا الكهربــــاء وطبهــــا بأجـــل مـــــن نظراتهنــــه
يشفـــي العليـل عناؤهـــن وعطفهـــــن ولطفهنــــه
مـــر الـــدواء بفيـــك حلـــو مـــن عذوبـــة نطقهنــــه
مهـــلا فعنـــدي فـــارق بيـــن الحمـــام وبينهنــــه
فلربمـــا انقطـــع الحمائـــم فـــي الدجـــى عـــن شدوهنــــه
امـــا جميـــل المحسنـــات ففـــي النهـــار وفـــي الدجنــــه

ونغادر الشاعر المتيم طوقان الى القاهرة ونلتقي بالشاعر السعودي الشيخ محمد بن بليهد حيث كان يستشفى من داء لم ينفع فيه نطس الاطباء وانما أجدى معه لمس كف « سعاد » وطلعة « فائزة » وهما ممرضتان مليحتان كانتا تقومان علـى خدمة الشيخ والعناية به فقد كان يأخذ علاجا بواسطة الجلسات الكهربائية فيحس أثر ذلك في الكتفين والركبتين . وكان يشاركه في العلاج بنفس المستشفى اللواء منصور العساف من رجال الجيش السعوديين . وهكذا اجتمع على الشيخ واللواء هز الكهرباء وانتفاض الشوق . نلاحظ ذلك في القصيدة الأولى التي نظمها الشيخ . وفي القصيدة الاخرى التي قالها أيضا على لسان صديقه منصور في المرضتين نفسيهما :

رأيت غزالا في الضحى كامل الوصف كوتني بنار في فـؤادي وفي كتفـي
فاما التي بالكتف تذكـي بكهـرب وهاتيـك تذكي بالملاحـة واللطـف
تفاءلت مـن كفي سعـاد سعـادة وفائـزة فـوزا فطلعتها تشفـي
خليلي هـل تأسو المراض خريـدة بقامتها الهيفاء سهـم مـن الحتـف
لعمـري مـا دائي سوى نظراتهـا وبلسمي الشافي لديهـا ومـا أخفـي
وقد عالجـوا نصفي بكف رقيقـة وبالسحر من عينيهما أهلكوا نصفـي
اذا طفقت كلتاهمـا فـي علاجهـا رأيت المنايـا من أمامي ومن خلفـي
وما أنـا الا فـي هواهـم متيـم ضعيف القوىشيخ فهلرحموا ضعفي

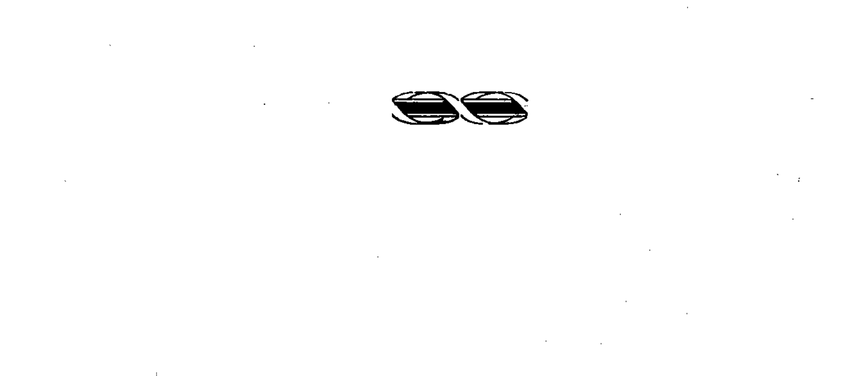
وجاء في القصيدة الثانية على لسان زميله منصور العساف :

اذا دعينـاك فاهـــرج أيها القمـــر هل عندكم مـــن علاج الكهربا خـــبر
أمـــا محمـــد قد زالـــت شكيتـــه وليس فـــي كتفـــه ممـــا شكا أثـــر
قال احـــترز من غزال كلما طلعـــت فليس فـــي عودها طول ولا قصـــر

اذا رأيت الثنايـــا الغـــر باسمـــة هناك مـــن بينهـــن المـــوت ينتظـــر
في ركبتيك تـــرى للكهربـــاء أثـــر يطـــير للقلب مـــن جرائـــه شـــرر

وهكذا أيها السادة لم يستطع المدفع مع اللواء منصور ولا القلم مع الأديب محمد أن يقفا في وجه الحسن والجمال واي قوة في الارض تستطيع أن تقاوم قوة الملاحة في الوجوه والجاذبية في الاجسام .

فاذا جاءت مواكب الوسامة والجمال فلا عاصم في ذلك اليوم من أمر الله من رحم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .



شبه الجزيرة العربية

تهدي الحكمة للعالم قبل قرون طويلة

بقلم الاستاذ : حمد الزيد

يسر النادي أن ينشر نص المحاضرة التي قدمها الاستاذ حمد الزيد رئيس نادي الطائف الأدبي للمؤتمر الرابع للكتاب الآسيويين الدولي المنعقد في تايبيه بالصين الوطنية في الفترة من ٢٥ ابريل وحتى ٢ مايو ١٩٧٦ م والتي ترجمت الى اللغتين الصينية والانجليزية وستصدر ضمن مطبوعات المؤتمر الذي اشترك فيه حوالي مئة كاتب آسيوي من عدة دول .

وقد سافر رئيس النادي الى الصين الوطنية ضمن الوفد السعودي الذي ضم ثلاثة أشخاص هـــــم :

١ ـ الدكتور عبد الله الزيد نائب رئيس نادي مكة الثقافي .
٢ ـ الاستاذ الشاعر حسن عبد الله القرشي عضو نادي جدة الأدبي .
٣ ـ الاستاذ الشاعر حمد الزيد رئيس نادي الطائف الأدبي .

وقد افتتح المؤتمر رئيس جمهورية الصين الوطنية واشترك الاستاذ فوزي شبكشي القائم بالأعمال السعودي في تايبيه في جلسة الافتتاح ضمن الوفد السعودي.

(شبه الجزيرة العربية تهدي الحكمة للعالم قبل قرون طويلة)

أيها السـادة :

في البقعة الواقعة في جنوب غربي قارة آسيا توجد منطقة جغرافية تسمى شبه الجزيرة العربية وتبلغ مساحتها قرابة ثلاثة ملايين كيلو متر مربع ويسكنها الشعب العربي الذي ينحدر من العنصر السامي وهو من سلالة البحر المتوسط ويحدها من الغرب البحر الاحمر ومن الشرق الخليج العربي ومن الجنوب المحيط الهندي .

من هذه البقعة التي تشغل معظم مساحتها اليوم دولة فتية هي ((**المملكـة العربية السعودية**)) التي أتم وحدتها سنة ١٩٣٢ م. **مناضل عظيم هو الملك عبد العزيز آل سعود** بعد نضال مرير دام حوالي أربعين عاما وحقق بذلك أول وحدة عربية في التاريخ المعاصر من هذه البقعة خرجت الحكمة قبل قرون طويلة واستمرت تصدرها للعالم حتى اليـــوم .

قبل خمسة آلاف سنة ظهر من هذه البقعة المباركة أول هجرة بشرية اتجهت الى الشمال وسكنت الساحل الشرقي للبحر المتوسط وهو المعروف اليوم ببلاد الشام (سوريا ولبنان وفلسطين والاردن) وعرفت هذه الأقوام السامية من أجدادنا بالفينيقيين .

والفينيقيون هؤلاء هم أول من ركب البحر وبنوا السفن وصنعوا الزجاج وأقاموا المستعمرات التجارية كأرواد وجبيل وقرطاجة وغيرها وأصبح البحر المتوسط بفضل نشاطهم التجاري بحيرة فينيقية .. لكن أعظم انجاز قدموه للحضارة الانسانية وأحدثوا به ثورة فكرية لم يتكرر مثلها حتى الان وأقصد بذلك اختراعهم **للأبجدية** ... لقد كـــان العالم المتحضر قبل الفينيقيين يكتب حضارته ويسجلها بالصور أو ما يسمى بالهيروغليفية ثم أصبح يكتبها بالأبجدية بفضل الفينيقيين الهجرة السامية من الجزيرة العربية وبذلك تقدم الفكر وانتشرت الثقافة وتكونت اللغات وانتشرت الأديان والفلسفات .

وهاجر من الجزيرة العربية أقوام سامية أخرى كونت حضارات زاهرة علمت العالم الحكمة واقصد بهم ((**البابليون**)) الذين سكنوا ما يسمى بالعراق حاليا وكـــان قانون ((**حمورابي**)) قبل ثلاثة آلاف سنة من ميلاد المسيح عليه السلام خير شاهد على عظمة الحكمة السامية ودقة تفكير أجدادنا الساميين وينظم هذا القانون العلاقات الاجتماعية وحقوق الأفراد بما فيها حقوق المراة والحقوق السياسية والقضائية ويقع في مائتين وثمانين نصا قانونيا لا تختلف في جوهرها عن القوانين المطبقة في أرقى الدول اليـــوم .

ليس هذا فحسب بل اثر سكان **الجزيرة العربية** على الحضارة **الفرعونية** في

مصر اذ هاجر الهكسوس أو بما يسمى « ملوك الرعاة » اليها وحكموا مصر فترة من الزمن في الألف الثاني قبل الميلاد .

وقبل الاسلام استطاع **عرب اليمن** جنوب الجزيرة العربية أن يصدروا حكمتهم الى آسيا وافريقيا وحوض البحر المتوسط اذ أسسوا حضارة متقدمة اعتمدت الى جانب الحكمة على تنظيم الزراعة والري حيث بنوا أول سد في العالم وهو المسمى بسد **مأرب** وبنوا أول **ناطحة سحاب في العالم** وهو **قصر « غمدان »** وامتد ملكهم الى غرب الصين حيث فتحوا **مدينة** « سمرقند » الموجودة في جنوب الاتحاد السوفياتي اليوم وظهر لهم دول عظيمة كسبأ ومعين وحمير وقتبان ، وبسطوا نفوذهم على الساحل الشرقي لافريقيا والحبشة (أثيوبيا) .

وتتجلى حكمة العرب الذين عاشوا فترة تاريخية محدودة تسمى بالجاهلية وهي الفترة التي سبقت ظهور الاسلام بحوالي قرن ونصف وسميت **بالجاهلية** نظرا لجهل العرب **بالدين** وليس لجهلهم بالعلم أو الحكمة اذ كان فيهم **شعراء عظام وحكماء** لا زلنا نقرأ آثارهم الفكرية ونعجب بحكمتهم حتى اليوم .

كأكثم وقس بن ساعدة وأمية بن أبي الصلت وزهير بن أبي سلمى وامرىء القيس وعنترة وطرفة ابن العبد ولبيد بن ربيعة والحارث بن حلزة وعمرو بن كلثوم وعروة بن الورد والشنفري والأعشى وعبيد بن الابرص وقيس بن الخطيم وغيرهم من عشرات الأسماء اللامعة في سماء الحكمة والشعر والقيم الانسانية .

وعلى سبيل المثال لا الحصر نقتطف بعض حكم هؤلاء العظام ليتبين للسامع الكريم كيف كان هؤلاء المفكرون يفكرون قبل حوالي ستة عشر قرنا من الزمان .

يقول الشاعر الجاهلي عبيد بن الأبرص :

افلح بما شئت فقد يدرك بالضعف وقد يخدع الأريب

والمعنى : « أبشر بالفوز وان كنت ضعيفا فقد يظفر الضعيف بمطالبه ويخدع العاقل فلا تتحقق مطالبه » .

وقوله :

لا يعظ الناس من لا يعظه الدهر ولا ينفع التلبيب

والمعنى : « ان الذي لا يرى في حوادث الدهر عبرة يعتبر بها لا يصلحه الارشاد ولا تكلف الرزانة والتعقل » .

وقوله :

لا ينفع اللب عن تعلم الا السجيات والقلوب

والمعنى : « لا يغني العقل عن التعلم الا في حالة ما تجود به طبيعة الانسان من ناحية القلب أو الغرائز » .

وقولـــــــه :

فلقــد يعــودن حبيبــا شانـــــىء ويرجعـــــن شانئـــا حبيـــب

والمعنى : « قد يصبح العدو صديقا مخلصا وينقلب الصديق المخلص الى عدو لدود » .

وقولـــــــه :

ساعــد بأرضــ اذا كنــت بهــــا ولا تقـــل انـــي غريـــب

والمعنى : « عاون الناس اذا حللت بديارهم وسايرهم في كل ما يعملون ويقولون ولا تقل انك غريب لا شأن لك بهم » .

وقولـــــــه :

مـــن يســأل النـاســ يحرمـــــوه وسائـــــل اللـــــه لا يخيـــب
واللـــــه ليســ لـــــه شريـــــك عـــلام مــــا أخفــت القلـــوب
باللـــــه يـــدرك كـــل خـــير والقـــــول فـــي بعضـــه تلغيــب

والمعنى : « واضح في هذا البيت فقد استطاع هذا الشاعر أن يدرك بحسه وعقله الوحدانية لله تعالى قبل ظهور فترة الاسلام » .

ثم يأتي حكيم آخر ولعله أشهر الحكماء من شعراء العرب قبل الاسلام ويدعى ـ زهير بن أبي سلمى ـ ونختار على سبيل المثال هذه الأبيات المشهورة له :

سئمت تكاليف الحيـــــاة ومن يعش ثمانين حــولا لا أبــا لــك يســأم
رأيت المنايا خبط عشواء مـــن تصب تمتـــه ومـــن تخطىء يعمــر فيهــرم
واعلــم علــم اليوم والأمس قبلـــه ولكنني عن علــم ما في غــد عــم
ومن لا يصانـــع في أمـــور كثيـــرة يضرس بأنيـــاب ويوطـــأ بمنســم
ومن يجعــل المعروف من دون عرضه يفــره ومن لا يتق الشتـــم يشتـم
ومـــن يــك ذا فضل فيبخل بفضلـــه على قومـــه يستغـــن عنه ويذمـم
ومـــن لا يذد عـــن حوضه بسلاحـــه يهـــدم ومن لا يظلـــم الناس يظلـم
ومـــن هاب أسبـــاب المنية يلقهـــا ولو رام أسبــاب السمـــاء بسلـم
ومـــن يفترب يحسب عدوا صديقه ومـــن لا يكـــرم نفســـه لا يكـــرم
ومهمـــا تكن عند امرىء مـــن خليقة وان خالها تخفى على الناس تعلـم

هذه الأبيات التي تطفح **بالحكمة الانسانية** قيلت قبل حوالي الف وستمائة سنة من **شاعر لم يدخل المدارس أو المكتبات لكن شعره وحكمته مصدر بحث ودراسة من قبل دارسي الدكتوراه والأدباء والفلاسفة في العصر الحاضر .**

فهو في البيت الأول من القصيدة يعالج **سأم الحياة** ولا سيما بعد بلوغ الانسان سن الثمانين وفي البيت الثاني يتطرق الى **القدر** . وفي الثالث يحث على **السلوك الحسن**

في التعامل وفي البيت الخامس يرى أن عمل **الجميل والكرم يعطي الانسان قيمة حسنة** ويجعل سمعته طيبة وفي البيت السادس **يحث ذوي الأموال على الانفاق على ذويهم وأصدقائهم حتى لا يذمون وتنقطع علائقهم بهم** ، وفي البيت السابع يحث على **القوة في الدفاع عن النفس والوطن** لأن الانسان اذا لم يكن قويا ويستطيع الدفاع عـــن نفسه يظلم من قبل الآخرين ولا يسلم من الأذى والاعتداء ، وفي البيت الثامن يحث الشاعر الانسان على **عدم الخوف من الموت والهروب من الواقع لأن الخوف لا يرد الموت** حتى ولو صعد الانسان الى السماء ونحن نرى في العصر الحاضر كيف يموت الناس في الطائرات بين السماء والارض أو في المركبات الفضائية خارج نطاق الجاذبية. وفي البيت التاسع يقول الشاعر ان الانسان عندما يغترب أو يسافر لغير دياره فانه لا يفرق بين الصديق من العدو لجهله بالبيئة وأن **الذي لا يحترم نفسه لا يحترمه الغير** . وفي البيت العاشر يعالج الشاعر قضية نفسية مهمة وهو أن **الانسان يجب أن يعيش طبيعيا بدون تكلف لأنه ان أخفى عيبه بواسطة الكذب أو النفاق فسيكتشف أمره بواسطة عمله .**

وهذا حكيم آخر لكنه ليس بشاعر قبل الاسلام ويسمى ((**أكثم بن صيفي**)) ويقول في رسالة طويلة وجهها الى النعمان ملك العرب :

((رب سامع بخبري لم يسمع بعذري ، كل زمان لمن فيه ، كفوا ألسنتكم فان مقتل الرجل بين فكيه ، ان قول الحق لم يدع لي صديقا ، الصدق منجاة ، في طلب المعالي يكون العناء ، ويل لعالم أمر من جاهله ، البطر عند الرخاء حمق ، والعجز عن البلاء أمن (أي ضعف الرأي والعقل) ، لا تجيبوا فيما لم تسألوا عنه ، ولا تضحكوا فيمـــا لا يضحك منه ، حيلة من لا حيلة له الصبر ، كونوا جميعا فان الجمع غالب ، تناؤا في الديار ولا تباغضوا ، الزموا النساء المهابة ، ان تعش تر ما لم تره ، لا تفرقوا في القبائل فان الغريب في كل مكان مظلوم ، الرسول مبلغ غير معلوم ، أساء سمعـــا فأساء اجابة ، الدال على الخير كفاعله ، قد تجوع الحرة (أي المرأة) ولا تأكل بثديها والتواني والعجز ينتجان الهلكة ، أحوج الناس الى الغنى من لا يصلحه الا الغنى وهم الملوك ، حب المدح رأس الضياع ، رضا الناس غاية لا تبلغ ، أقصر لسانك على الخير فان القدرة من ورائك ، من قدر أزمع ، جاز بالحسنة ولا تكافىء بالسيئة خير السخاء ما وافق الحاجة ، الصمت يكسب المحبة ، لن يغلب الكذب شيئا الا غلب عليه الصدق ، الانقباض عن الناس مكسبة للعداوة وتقربهم مكسبة لقرين السوء فكن من الناس بين القرب والبعد فان خير الأمور أوساطها ، خير القرناء المرأة الصالحة من لم يكن له من نفسه زاجر لم يكن له من غيره واعظ وتمكن منه عدوه على أسوأ عمله ، لا ينبغي لعاقل أن يثق باخاء من تضطره الى اخائه حاجة ، أقل الناس راحة الحقود ، من تعمد الذنب لا تحل رحمته دون عقوبته فان الأدب رفق والرفق يمن)) .

وهكذا رأينا من مثال واحد لحكيم عربي عاش قبل ستة عشر قرنا كيف كانت الأمة العربية تفكر وكيف كانت تحلم ، **ان القيم الحضارية والتمدن العقلي والروح الانسانية المتجلية في المقتطفات السابقة** تدل دلالة واضحة على **أصالة أمتنا العربية**

وقدرتها على الابداع والخلود ، ان هذه الأمة الآسيوية كانت وما تزال وستظل الى الأبد مصدر اشعاع حضاري انساني متوهج .

وجاء الاسلام على أحد أبناء شبه الجزيرة العربية « محمد » صلى الله عليه وسلم قبل أربعة عشر قرنا ليهدي حكمة السماء الى الارض ونور الله سبحانه وتعالى الى عياله من البشر ، وكان الاسلام الذي شع نوره في أرضنا المباركة أعظم هدية قدمتها أمتنا العربية الى العالم وأكبر تصدير عقائدي وحضاري في تاريخ العالم وليس المجال هنا مجال استرسال عن معطيات الاسلام ، ودوره التاريخي في تغيير العالم أو مجال شرح لفلسفة الاسلام وقيمه العليا التي حررت الفرد وخلقته من جديد لكن يجدر بنا القاء بعض الضوء على حكمة الاسلام كدين ونظام وحكمة «محمد» كرسول ونبي ومعلم ما دمنا بصدد الحديث عن الحكمة التي صدرتها شبه الجزيرة العربية للعالم قبل قرون وقرون .

فالله سبحانه يقول في كتابه الكريم « **القرآن** » الذي أوحى به للنبي محمد صلى الله عليه وسلم ليبلغه للناس كافة « **أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن** » .

ويقول الله تعالى :

« يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم » .

ويقول تعالى أيضـا :

« يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا » .

ويقول تعالى أيضـا :

« يا معشر الجن والأنس ان استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان » .

ان هذه الحكم الالهية السامية تشير الى جانب من جوانب التفكير الاسلامي والحكمة الاسلامية التي وردت في القرآن الكريم وتمهد السبيل للوحدة العالمية والاجتهاد الانساني في التقدم والبناء . . .

والقرآن مليء بالشواهد والأمثلة التي تعالج قضايا الانسان الفكرية والاجتماعية والأخلاقية والاقتصادية والسياسية وما يختص بسعادته في الدنيا والآخرة على السواء.

وعلى سبيل المثال لا الحصر نقتطف نماذج من **حكمة النبي « محمد » صلى الله عليه وسلم الذي لم يدخل مدرسة ولم يكن يعرف القراءة أو الكتابة لكنه كان يتمتع بعبقرية فذة ويكفي ان الله اختاره لحمل رسالة السماء الى الارض نورا وهداية .**

يقول « محمد » صلى الله عليه وسلم :

« **اطلبوا العلم ولو في الصين** » . ويقصد أن البعد الجغرافي يجب أن لا يحول بين الانسان وبين طموحه . ويدل هذا على تمسكه بالعلم وحثه عليه .

ويقـــــول :

« **الحكمة ضالة المؤمن** » .
« **بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .
« **والله لا يؤمن من بات شبعانا وجاره جائع** » .
« **رأس الحكمة مخافة الله** » .
« **المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده** » .
« **كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته** » .
« **التمسوا الرزق في خبايا الارض** » .
« **رحم الله عبدا قال خيرا فغنم أو سكت فسلم** » .
« **جبلت النفوس على حب من أحسن اليها** » .
« **لا يشبع عالم من علم حتى يكون منتهاه الجنة** » .
« **أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الآخرة** » .
« **اتقوا دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب** » .
« **ان الله يحب الرفق في الأمر كله** » .
« **ليس لك من مالك الا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأبقيت** ».
« **الخلق كلهم عيال الله فأحبهم الى الله أنفعهم لعياله** » .
« **العالم والمتعلم شريكان في الخير** » .
« **من تواضع لله رفعه** » .

هذه بعض أمثلة قصيرة من حكم رسول البشرية « **محمد** » ، أما سلوكه ورحمته وتسامحه وانسانيته فقد تجلت كأروع ما يكون التجلي فقد آخى بين القبائل العربية التي كانت الخلافات تمزقها ووحد شبه الجزيرة العربية كنواة لتوحيد العالم وكان عالمي النزعة والتفكير وقد تسامح مع من لم يدخل في دين الاسلام من النصارى واليهود فقـــال :

« **من آذى ذميا فانني خصمه يوم القيامة** » .

والذمي هو من لم يدخل في الاسلام . **وكان يؤمن بنبوة من قبله من الأنبياء كعيسى عليه السلام وموسى وغيرهما من الأنبياء الأطهار .**

لذلك عاش النصارى واليهود جنبا الى جنب مع المسلمين كرامتهم مصونة وحقوقهم محفوظة وكان اليهود في المدينة في عهد الرسول محمد صلى الله عليه وسلم يتمتعون بحقوق المواطنية ولم يحاربهم الرسول محمد الا بعد أن حاربوه وتآمروا عليه وخانوا العهود والاتفاقيات المعقودة بينهم وبينه فحاربهم دفاعا عن النفس .

واليوم وبعد مرور أربعة عشر قرنا على ظهور الاسلام الذي رسخ بفلسفته

أسس العدل بين المسلمين وغيرهم من الشعوب غير المسلمة نجد اليهود ـ الصهاينة ـ يحتلون أرضا عربية هي ـ فلسطين ـ التي كانت للعرب على مر التاريخ وطنا اذ سكنها الكنعانيون وهم من الأقوام السامية التي هاجرت من الجزيرة العربية قبل قدوم اليهود في عهد النبي موسى عليه السلام كما سكنها العرب المسلمون بعد ظهور الاسلام حتى قيام ما يسمى بدولة اسرائيل عام ١٩٤٨ م. وتشريد الشعب الفلسطيني من وطنه وأرضه أو تقتيله على يد هذه العصابة العنصرية الهمجية ذات التاريخ المجهول ، والدور الاستعماري الذي تؤديه اسرائيل في المنطقة العربية كحارس ومنفذ لمخططات الاستعمار دور معروف للجميع والحكمة من وجودها ليس حل مشكلة اليهود الذين لا يعرف لهم وطن على مر التاريخ وانما لتنفيذ هذا الدور والمخطط الاستعماري لأن الفلسطينيين ممثلين في « منظمة التحرير الفلسطينية » قد أعلنوا مرارا وتكرارا ومن منبر الأمم المتحدة بأنهم يريدون دولة علمانية تضم العرب من مسلمين ومسيحيين واليهود . لذا فان منطق الحكمة العربية واضح وحضاري أما المنطق الاسرائيلي الصهيوني العنصري فهو منطق معوج واستعماري ومصيره الزوال .

أيها السادة :

استميحكم العذر على هذا الاستطراد السريع الذي اقتضته المقارنة التاريخية وأقول بأن الحكمة العربية ظلت تتدفق من شبه الجزيرة العربية وتشع على آسيا وافريقيا وأوروبا والعالم لكن كما تقول المستشرقة الألمانية (الدكتورة ريغريد هونكه) في مقدمة كتابها **« شمس العرب تسطع على الغرب » :**

« . . . ان الناس عندنا وأقولها بمرارة ـ لا يعرفون الا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب ، لهذا صممت على كتابة هذا المؤلف وأردت أن أكرم العبقرية العربية وأن أتيح لمواطني فرصة العودة الى تكريمها » .

ويقول جوته الشاعر الألماني المعروف :

« وهكذا وجب أن يظهر الحق ويعلو كما نجح في هذا محمد الذي أخضع العالم كله بكلمة التوحيد » .

وهكذا فقد ولدت العبقرية العربية ولا تزال تلد الحكماء والفلاسفة والشعراء ممن يضيق بهم الحصر . فعلى سبيل المثال : **ابن سينا والفارابي والخوارزمي والبيروني وابن مسكويه ، وابن خلدون ، واخوان الصفا ، وابن رشد ، وابن ميمون وابن عربي أولئك الأفذاذ الذين عاشوا في فترات تاريخية متباعدة عبر التاريخ العربي الاسلامي الذي امتد من ظهور الاسلام قبل أربعة عشر قرنا وحتى اليوم .**

ومن الارض العربية صدرت الحكمة الى أوروبا ففي العصور الوسطى يوم كانت الامبراطورية العربية الاسلامية تمتد من الصين شرقا وحتى فرنسا والمحيط الأطلسي غربا فكانت بذلك أعظم دولة في العالم وكانت الأمة العربية الاسلامية أول

الأمم تمدنا وحضارة وكان الطلاب من أوروبا وآسيا وأفريقيا يفدون الى جامعات وجوامع مكة المكرمة ودمشق والقاهرة والقيروان وبغداد وصنعاء وغرناطة وطليطلة ومراكش ينهلون من العلم والثقافة والحكمة العربية . مما أدى الى ظهور عصر النهضة في أوروبا وما تبعه من تقدم صناعي .

أيها السادة :

واليوم وبعد اغفاءة تاريخية استمرت قرابة أربعة قرون تستفيق الأمة العربية من معاناتها التاريخية مع أعدائها الاستعماريين الذين أرادوا لها الهلاك والدمار لكنهم لم يستطيعوا بسبب أصالة هذه الأمة وتاريخها المشرق بالحضارة والحكمة وبدأت جذوتها تتقد من جديد وشمسها تبزغ وهي أكثر صفاء ونقاء وكما بدأت الحضارة من الشرق فهي تعود اليه اليوم ، **وكما كانت أرض العرب شبه الجزيرة العربية مصدر حكمة انسانية وعطاء رائع حضارة وعقيدة وقيما فانها اليوم تبني حاضرا مشرقا يقوم على العلم والثقافة والتقدم بقدر ما يقوم على العقيدة والتراث الحضاري والقيم العليا .**

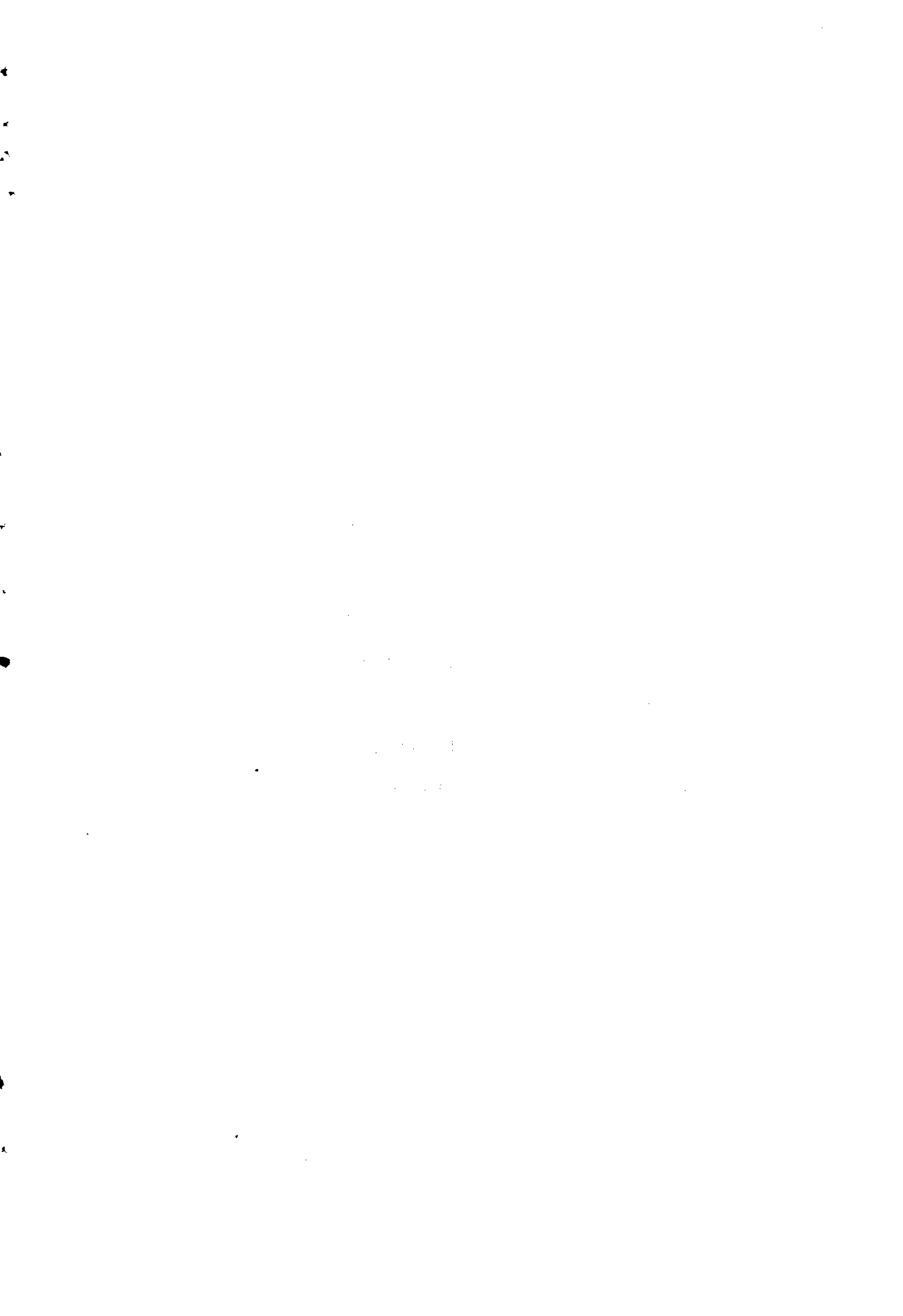
أيها السادة :

اننا في الماضي أهدينا للعالم رسالة الاسلام الخالدة ونور الحكمة النيرة ، والحضارة المتكاملة ، واليوم نستطيع ليس تصدير **البترول** للعالم فحسب وانما تصدير **العقيدة والحكمة والمحبة والسلام** . ولا أجد عبارة أختم بها مقالتي هذه أفضل من عبارة قالها الرئيس السابق للولايات المتحدة الامريكية **مستر نيكسون** عندما قابل **الملك فيصل رحمه الله** في جده .

قال نيكسون : « **لقد جئت الى هنا لأتلقى الحكمة من جلالتكم** » .

فهـــرس

ص	الموضوع	المؤلف
٣	في الأدب والحرب .	حسين سرحان
١٣	هل للشعر مكان في التاريخ .	د / غازي القصيبي
٢٣	خولة بنت الأزور .	عبد العزيز الرفاعي
٣٧	الرسول يربي الشباب .	عبد العزيز المسند
٥٣	جوانب من ذاتية المتنبي .	حمد القاضي
٦٣	علاقة اللغة الأدبية بالفنون الاخرى .	فهد الخليوي
٦٩	ثم يأتي أدب الشفره .	سليمان الحماد
٨٣	نقد لديوان أبيات غزل .	فوزيه البكر
٨٩	الأدب السعودي الحديث في الميزان .	أسيمه الشهيل
١٠٣	النقد العربي الى أين يسير ؟ .	مناحي القثامي
١٠٩	المضيفات والمرضات في الشعر المعاصر .	عبد الرحمن المعمر
١١٧	شبه الجزيرة تهدي الحكمة للعالم .	حمد الزيد



بسم الله الرحمن الرحيم

نادي الطائف الأدبي

في ١ / ٢ / ١٣٩٧ هـ

الطائف : المملكة العربية السعودية
تلفون (٢٣٧٧٦)

المكرم الاستاذ الفاضل

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد :

فيعتزم النادي الأدبي بالطائف اصدار كتاب عن القصة السعودية وآخر عن البحوث والمقالات وديوان للشعر السعودي في ثوب جديد يواكب النهضة والتطور في بلادنا على أن تضم هذه الكتب انتاج صفوة من رجالات الفكر والأدب .

والنادي هو يدرك تمام الادراك بأنكم من خيرة رجالات الفكر وأدبائنا الأعلام الذين يرتكز عليهم ، وهو في طريق اصدار هذه الكتب يسره أن يدعوكم للاسهام بتزويدنا بمختارات من انتاجكم مع كتابة نبذة عن حياتكم الأدبية .

واننا لعلي ثقة بأنكم ستقدرون عظم هذه المهمة ولن تتوانوا ان شاء الله عن المساهمة معنا في هذا العمل والوقوف بجوارنا ونحن نسعى الى هدف كبير نروم تحقيقه ولن نستطيع الا بتجاوبكم معنا .

وفي انتظار مقالتكم أو بحثكم او قصتكم أو شعركم ، تقبلوا تحيات أعضاء نادي الطائف الأدبي وشكرا .

نادي الطائف الأدبي

مطبوعات نادي الطائف الأدبي

	العنوان	المؤلف
١	ـ سوق عكاظ في الأدب والتاريخ	اعداد لجنة التراث
٢	ـ البحث عن ابتسامة (مجموعة قصص)	محمد المنصور الشقحاء
٣	ـ مسيكينة (شعر شعبي)	سعد الثوعي الغامدي
٤	ـ شبه الجزيرة تهدي الحكمة للعالم (محاضرة)	حمد الزيد
٥	ـ هل للشعر مكان في القرن العشرين (محاضرة)	د / غازي القصيبي
٦	ـ رحلة العمر (شعر)	علي حسين الفيفي
٧	ـ فلسفة السلام	هشام محي الدين ناظر
٨	ـ ملف النادي الأول	اعداد النادي
٩	ـ خطرات في الأدب والفلسفة	حمد الزيد
١٠	ـ معاناه (شعر)	محمد المنصور الشقحاء
١١	ـ ذكريات	أحمد علي
١٢	ـ نظرات في الأدب والتاريخ والأنساب	علي حسن العبادي
١٣	ـ أجنحة بلا ريش (شعر)	حسين سرحان
١٤	ـ صور من المجتمع والحياة	علي خضران القرني
١٥	ـ رجل على الرصيف (مجموعة قصص)	عبد الله سعيد جمعان
١٦	ـ المضيفات والمرضات في الشعر المعاصر (محاضرة)	عبد الرحمن المعمر
١٧	ـ خواطر في التنمية (محاضرة)	د / غازي القصيبي

نادي الطائف الأدبي

الطائف ـ قروى

تلفون (٢٣٧٧٦)

مطابع الزايدي للأوفست ـــ الطائف